

. طبول في الليل .

. حياة جاليليو .

تأليف:

برتولت برشت

ترجمة وتقديم:

د. عبدالرحمن بدوي

العدد الحادي عشر

سبتمبر 2009

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



● طبوك في الليد

● حياة جاليو

تأليف:

برتولت برشت

ترجمة وتقديم:

د. عبدالرحمن بدوي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩

المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

المشرف العام:
بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي
الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

هيئة التحرير:

د. عبدالله الغيث

منصور صالح العنزي

عبد العزيز سعود المرزوق

almasrahalaalami@yahoo.com

almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

• طبول في الليل

• حياة جاليو

تأليف: برتولت برشت

ترجمة وتقديم: د. عبدالرحمن بدوي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ / الطبعة الأولى ١٩٨٩

دولة الكويت

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 283 - 8

رقم الإيداع: (٠٢٧/٢٠٠٩)

● طبوك في الليك

● حياة جاليو

برتولت برشت



الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣	١- مقدمة عامة بقلم المترجم
٢٥	٢- مسرحية «طبول في الليل»
٢٩	٣- مقدمة مسرحية «طبول في الليل»
٣٧	٤- شخصيات المسرحية
٣٩	الفصل الأول
٥٧	الفصل الثاني
٨١	الفصل الثالث
٨٩	الفصل الرابع
٩٩	الفصل الخامس
١١١	٥- مسرحية «حياة جاليو»
١١٥	٦- مقدمة مسرحية «حياة جاليو»
١٢٩	٧- شخصيات المسرحية



مقدمة عامة

بقلم المترجم

برتولت برشت

حياته ومؤلفاته

برتولت برشت، واسمه الكامل: أويجن برتولد فريدرش برشت، ولد في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٩٨ في مدينة أوجسبورج في وسط ألمانيا. وكان أبوه برتولد برشت (ولد في ٦ نوفمبر ١٨٦٩ في آخن Achen في الغابة السوداء) قد انتقل إلى هذه المدينة في سنة ١٨٩٣ ليعمل موظفاً في مصنع للورق. واستطاع بنشاطه ومهارته أن يترقى في المصنع حتى وصل إلى وظيفة مدير في سنة ١٩١٤. وكان هذا الأب كاثوليكياً، بينما كانت أم صاحبنا مسيحية إنجيلية. وعمد الابن على مذهب الأم، أي مسيحياً إنجيلياً. وهذه الأم تنحدر من أصل ألماني اشقابي (من جنوب ألمانيا) لا من أصل بافاري. وهكذا نشأ الابن في أسرة بورجوازية ميسورة جداً.

والتحق برتولت بالمدرسة الابتدائية في أوجسبورج في سنة ١٩٠٤، ومنها انتقل إلى المدرسة الثانوية في أوجسبورج بعد أربع سنوات (سنة ١٩٠٨)، ومنها حصل على شهادة البكالوريا في سنة ١٩١٧. والتحق بجامعة منشن (ميونخ) لدراسة الأدب والطب. وكان والده يود له أن يسلك سبيلاً مثل تلك التي سيسلكها أخوه الوحيد (ولد سنة ١٩٠٠) فلتر WALTER، الذي أصبح أستاذاً لصناعة الورق في كلية الهندسة في درمشات.

ولكن النوازع الأدبية كانت مبكرة الظهور عند صاحبنا برتولت، فلم يشأ أن يسلك الطريق اللاحب لابن من أسرة بورجوازية ثرية، بل جذبته الحياة البوهيمية الحرة التي يحيها الأدباء والفنانون. وبدأت تظهر هذه البوادر الأدبية والفنية منذ نعومة أظفاره: فقد كان مولعاً في صباه الأول بمسرح العرائس، وكان وهو في الثانوية يكتب في مجلة التلاميذ. كذلك كان لصداقته مع مصور المناظر المسرحية (فيما بعد) رودلف كسبر نيهير R. C. Neher الذي أصبح فيما بعد من أكبر معاوني برشت في تصوير مناظر مسرحياته، أثر كبير، وقد بدأت هذه الصداقة في سنة ١٩١٣ / ١٩١٤.



وأخطر من هذا كله أنه بدأ يكتب في الصحافة. وكان أول ما نشر له في ١٧ أغسطس ١٩١٤ في جريدة «آخر أنباء أوجسبورج»، وكانت كتابته في ذلك الوقت وطنية بالغة الحماسة تمجد الجيش الألماني وتحثه على الانتصار لتكوين مجد ألمانيا. وهكذا كان برشت وطنيا غيوراً وداعية إلى المجد الألماني.

ولم تتغير هذه النزعة إلا ابتداء من سنة ١٩١٦. وقد ظهر ذلك في موضوع إنشائي كتبه في المدرسة، وكان عن هذه العبارة اللاتينية المشهورة: Dulce et decorom est pro patria mori (ما أجمل وأعذب أن يموت المرء في سبيل الوطن). ولكن الطالب كشف في موضوعه الذي كتبه - عن نزعته إلى السلام وكراهيته للحرب، فاتهمته إدارة المدرسة «بالانهازمية» وكاد يفصل منها.

انتقل برشت إذن إلى منشئ للدراسة في جامعتها، فبدأ في الفصل الدراسي الشتوي ١٩١٧/١٩١٨، ولكنه ما لبث أن انقطع عن حضور المحاضرات، لأنه في خريف سنة ١٩١٨ جند للعمل في مستشفى الاحتياطي في أوجسبورج ممرضا في قسم الأمراض الجنسية.

ولقد بالغ برشت كثيرا - فيما بعد - في أثر هذه التجربة في نفسه، وادعى أنها هي التي أوحى إليه بكرهية الحروب وبالنزعة إلى السلام، لأنها كانت تجربة هينة لم تستمر طويلا. ومن المحتمل أن يكون قد انضم آنذاك إلى الحزب الاشتراكي - الديمقراطي المستقل (راجع وصفنا للأوضاع السياسية في ألمانيا عند نهاية الحرب، وذلك في مقدمتنا لمسرحية: «طبول في الليل». وقد أكد هو نفسه أنه انتسب إلى مجلس الجنود في أوجسبورج، الذي لم يعيش طويلا).

وأخفقت الثورة التي قام بها الاسبارتاكويون (راجع مقدمة: «طبول في الليل» على النحو الذي سنبينه تفصيلا). واستأنف برشت دراسته في جامعة منشئ، بأن سجل نفسه أولا في كلية الآداب (قسم الأدب الألماني) ثم بعد ذلك التحق بكلية الطب من جديد. كذلك كان يحضر بعض محاضرات في العلوم الطبيعية وفي اللاهوت.

وكان في تلك الفترة متأثرا بجيورج بوشنر Büchner وفيدكيند Wedekind وخصوصا هذا الأخير، وقد كان شاعرا وممثلا ومغنيا لبلادان Balladen، ولما مات فيديكيند في ربيع سنة ١٩١٨ كتب عنه برشت رثاء عميقا متحمسا في جريدة «آخر أنباء أوجسبورج».



وفي سنة ١٩١٩ نشر برشت أول مجموعة شعرية بعنوان: Klampfenfibel. ومن جو الهزيمة والجنود العائدين، واليأس المخيم على ألمانيا بعد الهزيمة ومن روح الثورة الاجتماعية التي أضرم نارها اليهود والاسبارتاكيون، استلهم برشت أولى مسرحياته: «بعل»، كما ستعرف فيما بعد، تحت تأثير مشاهدته لمسرحية هانز يوست بعنوان «المتوحد»، ثم خصوصا مسرحيته التالية، «طبول في الليل»، التي تتبع من الأحداث الدامية التي جرت في ألمانيا قبيل الهدنة وفي الشهور التي تلتها.

وتعرف إلى الكاتب فويشتفانجر Feuchtwanger بين نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن، وسرعان ما تصادقا، واستمرت صداقتهما حتى النهاية. وكانا يعملان أحيانا كثيرة معا، وكلاهما يلهم الآخر. كذلك تعرف إلى الممثلة بلاندين إبنجر Ebinger، وإلى المخرج إريش إنجل Engel، والشاعر الغنائي يوهانس ر. بشر Becher. وبهذا اندمج في الجو الأدبي الفني آنذاك في مدينة منشن غداة الحرب العالمية الأولى، ولهذا انصرف عن دراسة الطب والدراسة الجامعية بعامة، حتى ترك الجامعة نهائيا في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢١ من دون أن يحصل على شهادة، لا في الأدب ولا في الطب.

وتوفيت أمه في أول مايو سنة ١٩٢٠ فبدأت روابطه مع أهله وبلده تتحل شيئا فشيئا. واستقر به المقام في منشن.

ولكن لم يكد المقام يستقر به فيها حتى حاول الاتصال ببرلين، فسافر إليها في سنة ١٩٢٠ عدة مرات للاتصال بالناشرين. وفي بيت أوتو زارك Otto Zarek المحرر في «جريدة برلين اليومية» Berliner Tageblatt عرف المؤلف المسرحي التعبيري أرنولت برونن (أو برونن) فكانت علاقة وثيقة جعلت الأوساط الأدبية تتحدث عنهما على أنهما «الأولاد الأشقياء» في الأدب الجديد. وكان ما يجمع بينهما هو ولع كليهما بالاستفزاز والتمرد على الأفكار البورجوازية. غير أن صداقتهما لم تستمر طويلا.

وقبل أوتو فالكنبرج تمثيل مسرحية «طبول في الليل»: فعرضت لأول مرة في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٢ في مسرح Munchner Kammerspiel في منشن. فنجحت نجاحا هائلا وأسست شهرة برشت، حتى قال هيربرت إيبرنج Ihering: «إن الشاعر الذي في الرابعة والعشرين برتولت برشت قد غير الوجه الشعري لألمانيا بين عشية وضحاها».



وَمُنح برشت جائزة كلاسيك Kleist. ولكن الناقد الفرد كر Kerr (وهو الاسم المستعار لـ أ. كمبندر A. Kempner) حمل على برشت وشبَّتَ بينهما خصومة عنيفة استمرت طوال عشرين سنة بعد ذلك.

وكان برشت يشتغل في مسرحية ثالثة هي: «في أدغال المدن» Im Dickicht der Staedte. وقد استوحى فيها «ملاوة في الجحيم» للشاعر الفرنسي الرمزي الشهير أرتير رانبو Rimbaud، وفيها يصور حالة الاعتزال التام التي فيها يعيش سكان المدن ومثلت في مسرح الرزیدننس Residenz المشهور حتى اليوم في منشن، وذلك في مايو سنة ١٩٢٣. كذلك مثلت مسرحية «بعل» في ٨ ديسمبر من العام نفسه لأول مرة في «المسرح القديم» في ليبستك، فأثارت فضيحة وضجة عظيمة.

ونقل برشت مقره نهائياً إلى برلين في خريف سنة ١٩٢٤. وهنا تعرف إلى الشخصيات الأدبية والفنية المرموقة آنذاك في برلين: منهم جون هارتفيلد وفيلند هرتسفلده Hertzfelde وجيورج جروس Gross والشاعر كلابوند Klabund وزوجته الممثلة كارولا نيهر Carola Neher، والملاكم المحترف باول سمسون - كيرنر Samson-Körner الذي بدأ برشت في كتابة ترجمة حياته ولكنه لم يواصلها بعد الفصل الثالث. كذلك عرف جيورج كايزر Kaiser وألفرد ديبلن، وهما مشهوران في سماء الأدب الألماني. وأهم من هذا كله أنه صار، هو وكارل اتسكماير، من المؤلفين المسرحيين لمسرح ماكس راينهت الشهير.

وطوال سنة ١٩٢٥ ظل يعمل في مسرحيته التي كان قد بدأها في منشن، وأعني بها الكوميديا «الإنسان هو الإنسان» Mann ist Mann، التي مثلت لأول مرة في ٢٦ سبتمبر ١٩٢٦ في مسرح Landestheater في درمشات، وموضوعها هو دور الفرد في المجتمع الحديث، وفيها يبين المؤلف أن أي فرد يمكن أن يستبدل به غيره!

وفي هذه الفترة تأثر كل التأثر بمذهب السلوكية Behaviourism في علم النفس الذي دعا إليه واطسون Watson، والذي يقصر الدراسة النفسية على دراسة السلوك الإنساني، أي الأفعال الإنسانية. وعلى الرغم من ذلك لا نجد لهذا المذهب أثراً واضحاً في مسرحياته أو قصائده عن تلك الفترة.



على أن ثم شيئاً خطيراً في التطور الأيديولوجي لبرشت جرى آنذاك، أولاً، وهو دراسته المتعمقة للماركسية، التي بدأها على أبعاد تقدير في سنة ١٩٢٦. فحضر الدروس المسائية والمحاضرات في مدرسة العمال في برلين، ودرس نظريات النقد والمضاربات والمناورات في البورصة. وفي هذا المجال كان أكبر من أثر فيه شخصين هما فرتس اشتربنبرج Sternberg و كارل كورش Korsch، وكانا ماركسيين متحمسين، ولكنهما كانا معدودين من المبتدعة في نظر الشيوعيين. وتحت تأثير تلك المحاضرات والدروس وقراءاته الخاصة (التي بدأها فيما يبدو بكتاب «رأس المال» لماركس) تطور فكر برشت في اتجاه الماركسية ببطء ولكن برسوخ، حتى بلغ غاياته بعد سنة ١٩٣٠.

وابتداء من نهاية سنة ١٩٢٥ أخذ برشت ينشر مقالات نقدية عن وضع المسرح والدراما آنذاك. كذلك كتب مقالات عن شعراء وكتاب مشهورين سابقين ومعاصرين مثل: روبرت لويس استيفنسون، وجورج برنارد شو، وتوماس مان، والشاعر الغامض الكبير استيفن جيورجيه George أكبر الشعراء الألمان في القرن العشرين، وجورج كايزر، وغيرهم. وكان بعضها إطراء، والبعض الآخر لاذعا ناقدا، مما أثار عليه نائرة البعض، خصوصا مقاله الساخر عن استيفن جيورجيه، وقد لقي ردا عنيفا من رودلف بورشرت Borchardt.

كذلك اتصل برشت بإرفن بسكاتور Erwin Piscator ومسرحه السياسي الذي كان بسكاتور مديره، وقد جرب بسكاتور تجارب جديدة في المسرح والأفلام والإخراج، وفي هذا المجال كان له تأثير كبير في برشت. وشعار «المسرح الملحمي» أو «الدراما الملحمية» إنما يرجع إلى بسكاتور، أو هو على الأقل أول من جعله ينتشر ويشيع. وطبق أول ما طبق على مسرحية «الرايات» تأليف ألفونس باكيت Alfons Paquet سنة ١٩٢٤. وساعد برشت على إعداد مسرحيات لمسرح بسكاتور. ومن هذه الأعمال وأهمها قيامه بـ «مَسْرَحَة» قصة ياروسلاف هاشك Jaroslav Haschek وعنوانها: «مغامرة الجندي الشجاع سفيك»، ونص هذه «المسرحية» للقصة موجود في أرشيف برشت في برلين.



ولكن مكانة برشت بوصفه شاعرا لم ترسخ إلا في سنة ١٩٢٧، حين أصدر ديوانه بعنوان Hauspostille، وقد تحدثنا عنه في كتابنا «في الشعر الأوروبي المعاصر» (القاهرة سنة ١٩٦٥) فنحيل إليه^(١).

وفي نهاية سنة ١٩٢٧ طلق برشت زوجته الأولى، وكان قبل ذلك تعرف إلى الممثلة العظيمة هيلينه فيجل Helene Weigel، التي ولدت في فيينا في ١٢ مايو سنة ١٩٠٠، واشتغلت بالتمثيل في برلين من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٢٦ أولا في «مسرح الدولة» Staatstheater، وبعد ذلك في «المسرح الألماني» الذي يديره ماكس راينهرت Max Reinhart. ومثلت أول دور لها في مسرحيات برشت في العرض الأول لمسرحية «بعل»، وبعد ذلك مثلت دور الأرملة بجبك Begbick في مسرحية «الإنسان هو الإنسان»، ومن بعد ذلك في العروض الرئيسية في برلين سنة ١٩٣١. وقد تزوجها برشت في العاشر من شهر أبريل سنة ١٩٢٨، ووُلد لهما ولد هو استيفن (ولد في ٣ نوفمبر ١٩٢٩)، وهو اليوم فيلسوف وكاتب حر في نيويورك، ثم بنت، واسمها ماريا برباره (ولدت في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٠) وهي اليوم ممثلة في فرقة «البرلينر إنسامبل» في برلين. وقد لعبت هيلينه فيجل الأدوار الرئيسية للنساء في مسرحيات برشت، ولا يمكن أن يُنسى دورها الرائع في تمثيل الأم شجاعة في مسرحية «الأم شجاعة وأولادها». وهي بدورها أثرت كثيرا في زوجها، حتى قيل إن برشت تصور كثيرا من الأدوار النسائية الكبرى في مسرحياته تحت تأثيرها ولتتناسب معها، وكأنها كُيفت من أجلها. وقد توفيت في عام ١٩٧١ في برلين.

وتعاون برشت مع الموسيقي كورت فيل (ولد سنة ١٩٠٠) لوضع موسيقى لمسرحياته. وأثمر هذا التعاون خصوصا في «أوبرا القروش الثلاثة» التي عُرضت في «مسرح رصيف بناء السفن» في برلين في ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٨، كما ستعرف في مقدمتنا لهذه المسرحية.

(١) خير دراسة حتى الآن عن شعر برشت هي كتاب: Klaus Schuhmann Der Lyriker Bertolt Brecht. Berlin, Ruetten & Loening, Berlin, DDR, 1964. وقد ظهر في طبعة موسعة ومنقحة في ميونخ سنة 1971 عند الناشر Deutscher Taschenbuch Verlag في ٤١٨ صفحة.



وتناول برشت في سنة ١٩٢٩ موضوع «جيش الخلاص» في مسرحية من مسرحياته الشهيرة، وهي «القديسة جان في المذابح». وتناول موضوع تضحيات الفرد في سبيل مصلحة الجماعة في مسرحيتين: «من يقول نعم»، و«الإجراء» Die Massnahme، وكتب موسيقى هذه الأخيرة هانز إيسلر Eisler تلميذ أرنولد شينبرج، وكان ذلك أول تعاون بين برشت وبينه. ومسرحية «الإجراء» تُصوّر الانشقاق الرهيب بين المساعدة المباشرة للقريب، والمساعدة النهائية للجميع، مما يخفق فيه مهيج شيوعي شاب.

وفي هذه المسرحية يقر برشت لأول مرة علنا بإيمانه بالنظرية الشيوعية إيمانا مطلقا. وقد شاع بين الناس أيضا أن برشت قد انضم إلى الحزب الشيوعي عضوا رسميا في هذا العام، عام ١٩٢٩. ولكن يظهر أن هذا الخبر غير صحيح. وبرشت في أثناء التحقيق معه في واشنطن في سنة ١٩٤٧ في مسألة نشاطه الشيوعي أنكر إنكارا تاما، وبكل قوة، أنه كان ذات يوم عضوا في الحزب الشيوعي في أي مكان!

وفي سنة ١٩٣٠ كتب مسرحية تعليمية أخرى هي «الاستثناء والقاعدة»، وفيها يبين كيف أنه في المجتمع، العمل الشرير هو القاعدة، وأنه لو وجد عمل صالح في المجتمع فمن الضروري أن يسيء الناس فهمه. ولكن هذه المسرحية لم تنتشر آنذاك، بل نشرت لأول مرة في سنة ١٩٣٧.

على أن مسرحية «القديسة جان في المذابح»، وإن أتمها برشت في سنة ١٩٣٠، لم تعرض آنذاك على المسرح، ولم تعرض لأول مرة إلا بعد ذلك بثلاثين سنة في ٣٠ أبريل ١٩٥٩. في هامبورج، أي بعد وفاة برشت بنحو ثلاث سنوات. وذلك أن الدولة منعت عرضها، وكان المقصود بها أن تعرض في «اللانديس تياتر» في درمشتات. ومنعت الشرطة في يناير سنة ١٩٣٣ تمثيل مسرحية «الإجراء».

ثم جاء هتلر إلى منصب المستشار للرئيس الألماني في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣، فكان ذلك إيذانا لبرشت بأن الدنيا ستكون غير الدنيا، وأن عليه أن يمسك بعضا التشريد والنفي. وكان حريق «الريشتاج» (مجلس النواب) الألماني في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ آخر نذير لبرشت. فترك ألمانيا في اليوم التالي هو وزوجته. ولحق بهما ولداهما بعد ذلك بقليل.



سنوات المنفى (١٩٣٣ - ١٩٤٨)

لقد أدرك برشت أنه صار مهددا في عمله، إن لم يكن في حياته. فقد كان يعلم أن اسمه مُدرج على قائمة المطلوب سجنهم لما قام الانقلاب الفاشل في سنة ١٩٢٣ واشترك فيه هتلر، وكان من البارزين بين المطلوب القبض عليهم غداة نجاح الانقلاب.

ولما أفلت هكذا من ألمانيا قبل أن تقع له الواقعة، اتجه القوم إلى مؤلفاته فأحرقت كلها في ١٠ مايو سنة ١٩٣٣ في الساحة القائمة أمام أوبرا برلين، وبعد ذلك بخمس سنوات تكرر التنديد بها. وفي ٨ يونيو سنة ١٩٣٥ سُحبت من برشت الجنسية الألمانية. ويظهر أن النازية أخذت عليه منذ البداية تحقيره للجيش الألماني في قطعته التي بعنوان «أسطورة الجندي القتيل»، وقد كتبها في مطلع شبابه نحو سنة ١٩٢٠.

ترك برشت ألمانيا إذن هو وهيلينه فيجل، وتوجه أولا إلى براج، ثم مرّ بفيينا في طريقه إلى زيورخ في سويسرا، وكان فيها في ذلك الوقت جماعة من المهاجرين الألمان، على رأسهم: هيرزش مان وأنا سيجرس، وفلتر بنيامين وليونهرد فرانك.

وكانت المرحلة الثانية في حياة المنفى هي إقامته في جزيرة ثورو Thuro في الدنمارك، وكانت قد دعتهما إلى هناك الكاتبة كارين ميكائيلس Michaelis صديقة هيلينه فيجل، فوصل إلى هناك في نهاية يونيو أو أوائل يوليو سنة ١٩٣٣. وفي باريس، في سنة ١٩٣٤ طبع - بالألمانية - ديوان شعره الثاني بعنوان «أغان، وقصائد وكورسات» (مع ألحان هانز إيسلر). كما نشر في أمستردام «قصة القروش الثلاثة» في سنة ١٩٣٤، وفيها استخدام موسع جديد للمادة التي قدمها جون جوي John Gay في «أوبرا الشحاذ»

وهنا في الدنمارك عاش عيشة العزلة متفرغا لعمله. فألف مسرحية «الروؤوس المستديرة والروؤوس المدببة» التي مُثّلت لأول مرة في كوبنهاجن في ٤ نوفمبر ١٩٣٦، ثم عرضها مسرحيا بعنوان: «الخوف والبؤس في الرايش الثالث». وكلتا القطعتين هجوم مباشر على النازية. والواقع أن برشت اضطر إلى أن يتخذ موقف المحارب للنازية علنا كلما استطاع إلى ذلك سبيلا: في مؤتمرات الكتاب الدولية، وفي مسرحياته في تلك الفترة، ومقالاته، وكان في تلك الأثناء أيضا يقوم بالرحلات إلى



باريس ولندن (أبريل/ مايو سنة ١٩٣٥). وفي موسكو التقى بعالم المسرح الصيني، وفيه وجد تحقيقا لما كان يهدف إليه من «المسرح الملحمي».

وفي سنة ١٩٣٨ بدأت دار النشر Malik - Verlag نشر مجموع مؤلفات برشت بعنوان Gesammelte Werke في أربعة مجلدات. لكن لم يظهر منها غير المجلدين الأولين فقط.

وبدأت نذر الحرب العالمية الثانية تلمع في الأفق. فسافر إلى السويد في ٢٣ أبريل ١٩٣٩. ومات أبوه في ٢٠ مايو سنة ١٩٣٩.

ولكن إنتاجه في سنتي ١٩٣٨ و ١٩٣٩، كان غزيرا وممتازا، فلقد بدأ يضع التحرير الأول لمسرحية «حياة جاليليو»، في سنة ١٩٣٨. وفي سنة ١٩٣٩ بدأ في كتابة مسرحيتي « الأم شجاعة وأولادها» و«محاكمة لوكلوس» وأتمهما في العام نفسه، عام ١٩٣٩. وقد مُثلت «الأم شجاعة» لأول مرة في ١٩ أبريل سنة ١٩٤١ في مسرح زيورخ. كما بدأ في سنة ١٩٣٨ مسرحية «الإنسان الطيب في ستسوان» وأتمها في سنة ١٩٤١، في فنلندا. وهنا في فنلندا أيضا، وكان قد وصل إليها شريدا طريدا في ١٧ أبريل سنة ١٩٤٠، كتب مسرحية «السيد بُنتلا وخادمه ماتي». واضطر إلى مغادرة فنلندا في مايو سنة ١٩٤١. وسافر إلى موسكو. ولم يبق فيها، بل اخترق سيبيريا، وفي ١٣ يونيو سنة ١٩٤١ سافر على سفينة شحن سويدية من الساحل الشرقي لآسيا متجها إلى أمريكا، وبعد رحلة في المحيط الهادي دامت عدة أسابيع وصل إلى ساحل كاليفورنيا عند ميناء سان بدرو في ٢١ يوليو. فلجأ إلى ضاحية من ضواحي لوس أنجلوس هي ضاحية سانتا مونيكا، وأقام فيها مع أسرته، وهنا أقام أكثر من ست سنوات.

وفي كاليفورنيا لقي برشت صديقه القديم ومعاونه في الإنتاج ليون فويشتفنجر Lion Feuchtwanger، وفي خلال هذه السنوات الست اشتغل برشت في كتابة مخططات أفلام من أجل السينما في هوليوود، وساعده في ذلك لانج، وديترلي وكوتتر، وبوزنر، لكن لم ينفذ منها غير مخطط فيلم واحد هو: «حتى جلادو المشانق يموتون» Hangmen also die، وموضوعه هو مقتل هيدر كس في تشيكوسلوفاكيا ومقاومة الشعب التشيكوسلوفاكي ضد الغاصب.



وفي تلك الأثناء عرض مسرح زيورخ لأول مرة مسرحيتين لبرشت: في ٤ فبراير سنة ١٩٤٣ عرض مسرحية «الإنسان الطيب»، وفي ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٣ مسرحية «حياة جاليليو».

وغادر برشت الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩٤٧. واختلف الرأي في أسباب تركه لتلك البلاد. والرأي الشائع هو أن الذي دفعه إلى ذلك استدعاؤه أمام «لجنة النشاطات المضادة لأمريكا» Committee on Un-American Activities ومقرها في واشنطن، وكان من بين أعضائها رتشارد نيكسون، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة! وذلك للتحقيق معه في صحة ما ينسب إليه من ميول شيوعية، وقد أعلن أمام اللجنة أنه لم يكن في يوم من الأيام عضواً في أي حزب شيوعي وتبرأ من الانتساب إلى الماركسية. وقد نشرت أقواله كما سُجّلت في التحقيق أمام هذه اللجنة، وسبق أن عرضنا نص معظمها (في مقدمة كتابنا: «مسرحيات برشت» الجزء الأول، التصدير، القاهرة سنة ١٩٦٥). ولهذا برأته اللجنة من تهمة الشيوعية! ولكنه في اليوم التالي ركب الطائرة إلى أوروبا!

وكان هدفه الأول أن يذهب إلى سويسرا، فوصل إليها في ٥ نوفمبر ١٩٤٧، وأقام في قرية هرليبيرج Herrliberg بالقرب من زيورخ، وهنا التقى بكسبر نيهر مصور الديكور المسرحي وصديقه القديم، وبيتر سوركمب Peter Suhrkamp ناشره المعتمد حتى الآن^(٢).

وغادر سويسرا إلى تشيكوسلوفاكيا ومنها إلى برلين، فوصلها في ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨، فأقام بقية حياته فيها. وكان أول أعماله إخراج مسرحيته الكبرى «الأم شجاعة»، فُعرضت في ١١ يناير سنة ١٩٤٩، ومثلت فيها هيلينه فيجل دور الأم شجاعة فأبدعت فيها أيما إبداع، وذلك في «المسرح الألماني» ببرلين الشرقية. ومن هذا العرض نشأت فرقة «البرلينر إنساميل» Berliner Ensemble، التي أسست رسمياً في سبتمبر سنة ١٩٤٩، وتولت رئاستها زوجته هيلينه فيجل، بينما اكتفى برشت بمركز «عضو في اللجنة الاستشارية للمسرح». وظلت هذه الفرقة مدة طويلة

(٢) اعتمدنا في هذه الترجمة لمسرحيات برشت على طبعة سوركمب في ثمانية مجلدات فرانكفورت

- برلين Suhrkamp Verlag



ضييفة على «المسرح الألماني»، إلى أن اتخذت مقرا لها «مسرح رصيف بناء السفن» ذا التقاليد الفنية العريقة. ومنذ سنة ١٩٤٩ تركز تمثيلها على روايات برشت.

وقامت حكومة ألمانيا الشرقية بتهيئة كل أسباب النجاح والتشجيع لهذه الفرقة ولمسرح برشت. وحظي برشت بكثير من ألوان التكريم: ففي سنة ١٩٥٠ عُين عضوا في أكاديمية الفنون، وفي سنة ١٩٥٣ اختير رئيسا لمركز البين Pen (جمعية دولية للأدب: للشعراء، ومؤلفي المسرحيات، والناشرين، وكتاب المقالات وكتاب القصص. والحروف الثلاثة هي الحروف الأولى لهذه الكلمات بالإنجليزية). وفي ٧ أكتوبر ١٩٥١ منحته الدولة في ألمانيا الشرقية الجائزة القومية من الطبقة الأولى، وفي ٢١ ديسمبر ١٩٥٤ حصل على جائزة استالين الدولية للسلام، ولهذه المناسبة سافر إلى موسكو في مايو سنة ١٩٥٥.

وفي وسط هذه الألوان من التكريم فاجأه الموت في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ نتيجة نزف في عضلة القلب، ودُفن في مقبرة دوروتيا بالقرب من قبر فشته وهيجل.

* * *



فن المسرح عند برشت

أراد برشت أن يكون ثائرا على كل ما تواضع الناس عليه من أصول المسرح منذ قعد قواعده أرسطو طاليس في كتابه «فن الشعر»^(١)، ونماها النقاد والفلاسفة الجماليون في مختلف العصور حتى سنة ١٩٢٠:

١ - ففي مقابل المسرح التقليدي أنشأ ما دعاه باسم الملحمي episch، وقد سماه بهذا الاسم لأنه أراد من المسرح أن يكون كما كان يُروى في بلاط الأمراء اليونانيين والأمراء الجرمانيين وكأنه ملحمة يستمع إليها المستمع في تجرد بعيد عن الانفعال، واعيا بأن ما يمثل أمامه هو مسرح وليس واقعا حقيقيا. وبرشت يطلب إلى المشاهد ألا «يندمج» في دور الممثل، كما يطلب إلى الممثل ألا «يندمج» في الشخصية التي يمثلها، وهذا تماما عكس ما كان يجري عليه الأمر من قبل: من الحكم على براعة الممثل بالقدر الذي به «يندمج» في الشخصية التي يمثلها، ومن الحكم على المستمع المشاهد بقدر ما ينسى نفسه ويستشعر أنه أمام واقع حي يحياه كأنه أمر مشاهد في الطبيعة. إن برشت يريد من الممثل أن يكون بينه وبين الشخصية «مسافة»، ويريد من المشاهد أن يكون بينه وبين ما يمثل «مسافة».

٢ - وهذه «المسافة» هي ما نعته برشت بنعت «تأثير الأعراب» Verfremdungseffekt (ويختصر عادة إلى V-Effekt)، ويقصد بهذا أن يكون الممثل «غريبا» (أو بعيدا، أو على مبعدة، أو على مسافة) من الشخصية، وأن يكون المشاهد هو الآخر «غريبا» (أو على مبعدة) من المسرحية. وفائدة هذا «الإغراب» أو الكون على مبعدة هي أن يقف كلاهما موقفا نقديا موضوعيا من المسرحية.

وعلينا الآن أن نفصل هذين المعنيين:

(١) انظر ترجمتنا له في كتابنا «أرسطو طاليس: فن الشعر» القاهرة، سنة ١٩٥٣.



١ - المسرح الملحمي

ربما يكون من الخير، من أجل فهم خصائص المسرح الملحمي في مقابل المسرح الدرامي، أن نقدم هذا الجدول الشهير الذي وضعه برتولت برشتت لمسرحية «مهاجوني» Mahagonny وهي الأوبرا التي مثلت للمرة الأولى في سنة ١٩٣٠.

الشكل الملحمي للمسرح

يروى الفعل، ويجعل الجمهور مشاهداً، لكنه يوقظ نشاطه.
الشكل الملحمي يزود الجمهور بالمعلومات. يلزمه باتخاذ قرارات.
المشاهد يشعر بأنه في مقابل الفعل.
المسرح يؤثر بالحجج.
المشاعر تدفع إلى الفهم.
الإنسان موضوع دراسة.
الإنسان متغير وقابل للتغيير.
الاستطلاع يتعلق بالتطور والنمو.
كل منظر مستقل بنفسه وقائم برأسه.
الأحداث تجري على هيئة منحنيات.
الطبيعة تقوم بطفرات.
العالم كما يصير.
ما لا بد للإنسان أن يفعله.
دواعيه ودوافعه.
الوجود الاجتماعي يحدد الفكر.

الشكل الدرامي للمسرح

المنظر «يجسد» الفعل، ويشرك الجمهور في هذا الفعل، ويستهلك نشاطه.
الشكل الدرامي يزود الجمهور بتجارب. يجعله قابلاً للعواطف.
المتفرج يجد نفسه في وسط الفعل.
المسرح يؤثر بالإيحاء.
المشاعر يحافظ عليها.
يفترض في الإنسان أنه معروف.
الإنسان ثابت.
الاستطلاع يتعلق بالحل.
كل منظر متوقف على الآخر.
الأحداث تجري على هيئة خط مستقيم.
الطبيعة لا تقوم بطفرات.
العالم كما هو.
ما يجب على الإنسان أن يفعله.
غرائزه.
الفكر يحدد الوجود.

ومن هذا الجدول يتبين:

أ - أن المسرح الملحمي يدعو إلى الفعل، ويزود بالمعارف، مستعينا بالحجج، محللاً العواطف إلى معان عقلية.



ب - أنه يدرس الإنسان في أحواله، ويجد أنه رهين بهذه الأحوال، فيتغير إذا ما تغيرت، وبعبارة أخرى يفترض أن الإنسان ليس طبعاً ثابتاً، بل هو كائن قابل للتغيير إذا ما تغيرت ظروفه الاجتماعية أو البيئية. وواضح ما في هذا من تأثير بمبدأ ماركس المشهور، وهو أن المطلوب ليس فهم الإنسان بل تغييره. وعلى هذا سنجد في المسرحيات الملحمية أن أحوال البطل وتصرفاته تتغير بتغير ظروفه الاجتماعية وأحواله المعاشية وملابس البيئ، بينما نجد في المسرحيات الدرامية ثابت الطبع، وعن هذه الطباع الراسخة يصدر كل ما يبدر منه من أفعال وتصرفات. ولا تفسير لهذه إلا بذلك الطبع الثابت. وهذه نقطة بالغة الأهمية في مسرح برشت.

ج - وعن هذه الخاصية تستتبط الخاصية الثالثة، وهي أن الأحداث ترسم خطأ مستقيماً في المسرحية الدرامية، لأن طبائع الشخصيات ثابتة، بينما هذه الأحداث في المسرحية الملحمية ترسم خطوطاً منحنية تتعرج وتدور وتتكرر وفقاً للظروف الاجتماعية التي يحيا فيها الأشخاص.

د - وكذلك تستتبط الخاصية الرابعة، وهي أن المناظر، لانعدام الاتصال الثابت، يقوم كل واحد منها برأس، وليس مجرد حلقة في سلسلة كما هي الحال في المسرح الدرامي. إذ إن كل منظر يعبر عن حالة برأسها وجدت فيها الشخصية وفقاً لإحداثيات اجتماعية ترتبط بها. إن الطبيعة في المسرح الدرامي لا تقوم بطفرات، لأن ثم منطقاً باطنياً نابعاً من طباع الشخصية، أما في المسرح الملحمي فلا طبع ثابت، وبالتالي لا منطق باطن، بل ثم انتقالات مفاجئة، أعني طفرات.

هـ - ولما كان الوضع الاجتماعي (الاقتصادي خصوصاً) هو الحاسم في إحداث التغييرات، فإن هذا الوضع الاجتماعي هو الذي يحدد الوجود، ويحدد الفكر، وعلى العكس في المسرح الدرامي نجد الفكر هو الذي يحدد الوجود، لأن الفكر - في نظره - هو الذي يغير الواقع الاجتماعي. وفي هذه الخاصية نرى التعارض المشهور بين دور الفكر عند هيجل (ويتمثل هنا في المسرح الدرامي)، ودور الفكر عند ماركس (وهو الذي يمثله هنا المسرح الملحمي أو مسرح برشت).

وهذا الفكر، في المسرح الملحمي، فكر «علمي»، بالمعنى المفهوم في الماركسية حين تتحدث عن الفكر العلمي والاشتراكية العلمية. ومن هنا كان الأشخاص يصدرون



ففي أفعالهم عن دوافع، أي أسباب موضوعية، لا عن غرائز كما هي الحال في أشخاص المسرح الدرامي.

و - وبسبب هذه الطفرات وذلك الاستقلال للمناظر، كثيرا ما نجد مسرحيات برشت مؤلفة لا من فصول actes ومناظر acenes كما في المسرح التقليدي أو غير البرشتي، بل من لوحات Tafeln tableaux: فمسرحية «ماهاجوني» تتألف من عشرين لوحة.

ز - كذلك يقوم بدور الفصل بين الفصول والمناظر بعضها وبعض: الأغاني، ولها دور هائل في مسرحيات برشت، يقرب بعض القرب من دور الكورس في المسرحيات اليونانية، ولكنه يزيد عليه كثيرا.

ح - وهنا نجد برشت يثور ضد مذهب فاجنر في دور الموسيقى في الأوبرا والمسرحيات. ذلك أن فاجنر كان يهدف من وراء الموسيقى في الأوبرا والمسرحيات إلى أن تكون عاملا فعلا في إحداث «السحر» الذي يريد أن يلف فيه المشاهد وينومه تنويما مغناطيسيا. وقد وضع برشت جدولا موجزا في المقدمة نفسها التي أضافها إلى مسرحية أو أوبرا «ماهاجوني» Mahagonny بين فيه الفوارق بين مذهب فاجنر وبين أسلوب الأوبرا الملحمية. وهاك هو:

في مذهب فاجنر	في الأوبرا الملحمية
الموسيقى تتعش.	الموسيقى تبلغ.
الموسيقى تبرز ملامح النص.	الموسيقى تفسر النص.
الموسيقى تفرض النص.	الموسيقى تعد النص أمرا مفروغا منه.
الموسيقى توضح وتزين.	الموسيقى تؤكد ذاتها.
الموسيقى تصور حالة نفسية.	الموسيقى تدل على أسلوب العمل.

ولهذا يرفض برشت الموسيقى الخافتة أو المصاحبة فقط للمناظر والتمثيل، ويريد منها أن تبرز بدورها قائمة برأسها، كأنها جزء مستقل قائم برأسه في المسرحية.

وقد جعل برشت الموسيقى في خدمة المسرح الملحمي في مسرحياته: طبول في الليل، بلع، حياة إدوارد الثاني ملك إنجلترا، ماهاجوني، أوبرا القروش الثلاثة، الأم، والرؤوس المستديرة والرؤوس المحدبة. وكان إدخاله للموسيقى، خصوصا في



المسرحيات الأولى من هذه، مصدرا لإشاعة التتويج والبهجة، وكما قال هو: «إن مجرد وجود الموسيقى، التي أدخلت بعض التغيير، كان وحده هجوما على الجوزيقي الثقيل الموجود في المسرحيات ذات النزعة الانطباعية impressionistisch وعلى التحيز للمسرحيات ذات النزعة التعبيرية expressionistisch. ثم إن الموسيقى فتحت الباب من جديد لشيء لم يكن يسير على ما يرام منذ أمد طويل، ألا وهو: المسرح الشعري... ومن ثم صار الجزء الموسيقي عملا فنيا حقا، وصارت له قيمته الذاتية Selbstwerk»^(٢). وفي أوبرا «القروش الثلاثة» التي مثلت في سنة ١٩٢٨ استخدمت الموسيقى لآفاق عصرية حقا. وكان التجديد الأكثر بروزا هو عزل الألحان الموسيقية. ولفت الأنظار إلى هذا التجديد ترتيب شكلي محض هو أن الأوركسترا الصغير وضع على المسرح بحيث يراه كل جمهور المشاهدين. وكان عزف «الأغاني» يسبق دائما بتغيير في الإضاءة، وكان الأوركسترا مضاء، وعلى شاشة نهاية المسرح ظهر عنوان كل لحن، مثلا: «أغنية عبث المجهود الإنساني»، وبأغنية موجزة أفهمت الأنسة بولي بيتشم أهلها أنها تزوجت قاطع الطريق ماكهيت. والممثلون كانوا يغيرون في وضعياتهم من أجل الإنشاد. فكان ثم ثنائيات، وثلاثيات ومنفردات وخواتيم ذوات جوقات. وكانت القطع الموسيقية، ومعظمها بلادات Balladen، أنواعا من التأملات الأخلاقية والوعظية.

ط - والمسرح الملحمي يهتم - قبل كل شيء - بسلوك الناس فيما بينهم، حينما يدل هذا السلوك على معنى تاريخي اجتماعي، أعني فيما هو أخص خصائص السلوك. وهو يعرض مناظر فيها يعمل الناس بحيث يرى المشاهد قوانين حياتهم الاجتماعية بكل وضوح. وفي الوقت نفسه ينبغي على المسرح الملحمي أن يحدد العمليات الاجتماعية من وجهة نظر عملية، يحددها للتمكين من التدخل في الحياة الاجتماعية. ولهذا فإن اهتمامه موجه خصوصا نحو الواقع العملي. وعنده أن السلوك الإنساني ليس ثابتا، بل يتوقف الإنسان دائما على أحوال سياسية واقتصادية في وسعه دائما أن يغير منها. ولتأخذ لهذا مثلا منظرا فيه رجل يجند ثلاثة آخرين لتنفيذ عملية غير مشروعة «الإنسان هو الإنسان». فهذا المنظر

Bertolt Brecht: Schriften Zum Theater, III, S. 267. Frankfurt am Main, (٢) Suhrkamp Verlag, 1963.



سيصفه المسرح الملحمي بحيث يمكن تصور سلوك آخر لهؤلاء الرجال الأربعة، وتخيّل أحوال سياسية واقتصادية أخرى فيها يتكلمون لغة أخرى. وبالجملة فإن المشاهد سيوجد لديه إمكان القيام بنقد للسلوك الإنساني، من الناحية الاجتماعية، ويمثل المنظر كأنه منظر تاريخي. ويجب إذن أن يكون المشاهد قادرا على تقرير مقارنات بين ألوان مختلفة من السلوك. ومن وجهة النظر الجمالية فإن هذا الاقتضاء يعني أن «البادرة» *gestus* الاجتماعية هي بالنسبة إلى الممثل ذات أهمية خاصة. ومهمة الفن هي تمييز البادرة. (وطبعا المقصود هو مجموع من البوادر ذو دلالة اجتماعية، وليس محاكاة تعبيرية إيضاحية). وفكرة المحاكاة تقوم مقامها فكرة البادرة.

«وتلك ثورة كبرى في فن المسرح. وحتى اليوم لا يزال فن المسرح متماشيا مع القواعد التي وضعها أرسطوطاليس من أجل إحداث «التطهير» *Catharsis* (أي تطهير نفس المشاهد). ووفق قواعد الفن المسرحي عند أرسطو فإن الأحداث تضع البطل في مواقف فيها يبدي عن أعماق باطنه. وكل الحوادث الممثلة تهدف إلى الدفع به في المنازعات النفسية»^(٣).

أما المعنى الثاني الذي عني به برشت فهو تأثير الإغراب *Verfremdungseffekt* (أو تأثير V اختصارا). وقد استمده برشت من المسرح الصيني. وخلاصته أنه ينبغي منع المشاهد من «الدخول في جلد» الأشخاص الذين يجري تمثيلهم في المسرحية، على حد تعبير برشت. «إن موقف المشاهد، وقبوله أو رفضه، أمام أفعال الأشخاص وأقوالهم، ينبغي ألا ينتسب إلى ميدان اللاشعور، بل أن ينتسب إلى الشعور الواضح». (الكتاب نفسه).

ذلك أن المسرح الصيني كان يستخدم كثيرا من الرموز، مثل أن يحمل القائد على كتفه من الرايات الصغيرة بقدر ما تحت إمرته من فرق، ولالإيحاء بالفقر تظهر في مواضع مختلفة من الثوب قطع من ألوان مختلفة مقطوعة في الحرير نفسه، بمنزلة رقع في الثوب، والأشخاص يصورون بالأقنعة فقط، أي باللون، وبعض حركات اليدين تمثل فتح باب بالعنف... إلخ.

(٣) برشت: «كتابات عن المسرح» ج ٣ ص ٢٧٠ و ٢٧١، فرانكفورت على نهر الماين سنة ١٩٦٣.



وحقيقة تأثير الإغراب تقوم «في أن نجعل من الشيء، المقصود فهمه، شيئاً غير متوقع وغريباً، بعد أن كان معروفاً مألوفاً معتاداً. وما هو مفهوم بطبعه يصبح - على نحو ما - غير مفهوم، وهذا يحدث فقط من أجل أن نجعله مفهوماً أكثر^(٤). ومن أجل إحداث هذا التأثير لا بد من كسر الاعتياد، أي جعل الشيء غير عادي أو غير معتاد بعد أن كان معتاداً. فمثلاً لو قلنا لإنسان: «هل تطلعت جيداً في ساعتك؟» ونحن نعلم أن هذا الإنسان كثيراً ما يتطلع في ساعته، ولكن هذا السؤال من شأنه أن يخرج الأمر من حالة الاعتياد والألفة إلى حالة من عدم الألفة وعدم الاعتياد. «والتمثيل الذي ينطوي على الإغراب هو ذلك الذي يمكن من تعرف الشيء الممثل ولكن مع جعله غير مألوف. والمسارح في العصر اليوناني والعصر الوسيط قد لجأت، ابتغاءً لإحداث تأثير الإغراب، إلى استعمال أقنعة الناس أو الحيوان... وتأثيرات الإغراب هذه تمنع المشاهد من الدخول في جلد الأشخاص»^(٥)

وخلاصة القول أن الهدف من «تأثير الإغراب» هو جعل ما هو عادي يبدو غير عادي، وما هو مألوف يبدو غير مألوف، وما هو غير مدهش يبدو مدهشاً، وما هو طبيعي يبدو غير طبيعي.

وتحقيق هذا التأثير، وتأثير الإغراب، يتم بعدة وسائل، منها: اختيار بلاد نائية مسرحاً للأحداث، مثل الصين بالنسبة إلى مسرحية «الإنسان الطيب في ستسوان»، أو فنلندا في مسرحية «السيد بنتلا وخادمه ماتي»، وإحداث صدوع في مجرى الحوادث بواسطة التغيير في الأماكن، وبالاستعانة بالقصائد والأغاني، وتضخيم الأحداث تضخيماً فعلياً.

وينعكس مبدأ «تأثير الإغراب» على الإخراج المسرحي فيما يلي:

(أ) الإكثار من الإضاءة على المسرح، حتى لو كان الوقت ليلاً. والاكتفاء في هذه الحالة من أجل الدلالة على الليل برسم قمر على الشاشة الخلفية. ذلك - كما يقول برشت - أن ظلال الأصيل تدعو إلى النعاس، بينما نحن في حاجة إلى

(٤) برشت: كتابات عن المسرح ج ١ ص ١٧٤.

(٥) برشت أورغانون موجز للمسرح برقم ٤٢.



مشاهدين يقظين، بل مستوفزين. دعوهم يحلموا في وضح النهار! والقليل من الليل الذي نحتاج إليه بين حين وآخر ستدل عليه الأقمار والمصابيح، كذلك ممثنا سيمكن من تبين في أي ساعة من اليوم نحن، إن كنا في حاجة إلى ذلك. إن الريف في ساعة الغروب قد صوره لنا المؤلف المسرحي في عهد اليصابات في أشعار لن يبدع مثلها أي كهربائي، وكذلك الريف نفسه! ولهذا إذن أضيئوا ثمرة عملنا، وليتمكن المشاهدون من رؤية المستأجرة المهانة وهي تجلس على أرض فنلندا^(٦) وكأنها أرضها^(٧)

(ب) كتابة عبارات ورسم صور على ستائر أو شاشات في خلفية المسرح، وقد كتبت عليها عبارات تتعلق بالمنظر أو الموقف الذي يجري تمثيله.

(ج) فصل الأغاني Songs عن سائر الفصول والمناظر واللوحات.

وفي هذا يقول برشت:

«افصلوا الأغاني عن الباقي

وإشارة موسيقية، وتغيير في الإضاءة

وعنوان، وإسقاطات (لصور الأفلام)، ستدل على أنه الفن الشقيق^(٨) هو الذي يدخل الآن على المسرح. والممثلون يصبحون مغنين، ويتوجهون إلى الجمهور في مواقف جديدة هم دائما أشخاص في المسرحية، وهم الآن مشتركون مع المؤلف علانية^(٩).

إن الممثلين ينبغي عليهم ألا ينتقلوا انتقالا غير محسوس من الكلام إلى الغناء، بل عليهم بالعكس أن يفصلوا فصلا واضحا بين كليهما. ولإبراز هذا الفصل أو الانقطاع ينبغي اللجوء إلى بعض الحيل الفنية المسرحية مثل تغيير الإضاءة أو العنوان المكتوب^(١٠).

(٦) في مسرحية السيد بنتلا وخادمه ماتني، اللوحة السابعة.

(٧) برشت: «شراء النحاس»، الإضاءة سنة ١٩٥١ في «كتابات عن المسرح».

(٨) أي فن الرسم والتصوير.

(٩) برشت: «شراء النحاس»، الأغاني سنة ١٩٥١ في «كتابات عن المسرح».

(١٠) برتولت برشت: أورغانون موجز للمسرح برقم ٧١.



(د) وعلى الممثل نفسه أن يتجنب كل الحيل التي تدعو الجمهور إلى الدخول في جلد الأشخاص الذين يجرى تمثيلهم على المسرح. ومن أجل هذا عليه أن يحافظ على مرونة عضلاته، وأن يكون إلقاؤه خاليا من كل غمغمة كنسبية ومن تلك الإيقاعات التي تهدد الجمهور هدهدة تجعل هذا الجمهور يفقد الإحساس بمعاني العبارات. وإذا مثل دور مجنون فليتحاش أن يكشف عن انطباع بأنه هو نفسه صار مجنونا حقا، وإلا، فأنى للمشاهدين أن يتبينوا ما في المجنون من جنون؟

ولا يحق له أبدا، وفي أي لحظة، أن يسلم نفسه للتحويل التام. وأسوأ نقد يمكن أن يوجه إليه هو أن يقال عنه: «إنه لم يمثل دور الملك لير Lear، بل قد كان هو الملك لير بنفسه». وعليه أن يقنع بإظهار الشخص الذي يمثل دوره، أو بعبارة أدق ألا يقنع بأنه يعيشه. لكن ليس معنى هذا أن يظل باردا حين يمثل أشخاصا انفعاليين متحمسين. وكل ما هنالك هو أنه ينبغي على عواطفه ألا تختلط أبدا بعواطف الشخصية التي يمثلها حتى لا يعتقها الجمهور تلقائيا وآليا. وفي هذه النقطة ينبغي أن ينعم الجمهور بكامل حريته^(١١)

* * *

(١١) برتولت برشت: أورانغون موجز للمسرح برقم ٤٧ و٤٨



طبول في الليل

تأليف
برتولت برشت

ترجمة وتقديم
د. عبدالرحمن بدوي



العنوان الأصلي للمسرحية :

Bertolt Brecht:

Frühe Stücke

Trommeln in der Nacht

Deutscher

Taschenbuch

Verlag





مقدمة مسرحية «طبول في الليل»

بقلم المترجم

- ١ -

لفهم هذه المسرحية لا بد من الإحاطة بالظروف التاريخية التي تجري أحداث المسرحية في إطارها، ظروف ألمانيا عند نهاية الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨، وحتى ربيع سنة ١٩١٩.

لما أيقنت ألمانيا بالهزيمة، بدأت القوى الثورية اليسارية في إثارة الفتنة، وعلى رأسها الاشتراكيون اليساريون المتطرفون، واليهود. ففي ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ اندلعت الحركة الثورية في مدينة كيل Kiel وابتدأت بتمرد رجال الأسطول. وفي ليلة ٧ إلى ٨ نوفمبر اندلعت الثورة في منشن (ميونخ)، وكان كورت إيسنر Kurt Eisner الاشتراكي المستقل قد طالب في اجتماع حاشد باستقالة الإمبراطور فلهم الثاني (غليوم الثاني)، وأعلن سقوط الأسرة البافارية، وكون «مجلس عمال وجنود». وكان لينين قد بعث بالداعية الشيوعي يوفه Joffe إلى برلين لإثارة الجماهير. وأثرت هذه الدعاية في الشعب الألماني، لأنه ظل طوال أربع سنوات يعاني الحرمان ويبدل أعلى التضحيات بالنفس والمال، طمعا في الانتصار، ولكن ها هي الهزيمة قد حاقت بالجيوش الألمانية في مختلف الجبهات: فالجيوش التي تحت إمرة الأمير روبرشت البافاري قد انسحبت في نهاية شهر أكتوبر إلى خط جاندو فالنسيين، والجيوش التي تحت قيادة ولي عهد بروسيا تدافع عن خط لسرّ La Serre، وفوش يهاجم في جبهة الفلاندر بمساعدة فرق أمريكية جديدة، وفي موييج Maubeuge تحاول قوات المارشال البريطاني هيغ Haig أن تخترق الجبهة الألمانية. ولئن أفلح الألمان في حركة الانسحاب إلى جبهة تمتد بين أنفرس وبروكسل وشارلروا ومزييز، فإن الخطر كان لا يزال مستمرا. فإن فوش استعد لحملة على اللورين، واتجهت حملتان إلى ميونخ من النمسا: إحداهما عن طريق وادي إن Inn والثانية عن طريق زالتسبورج.



ولم تجد الحكومة الألمانية بدا من التسليم بأن الهزيمة النهائية على الأبواب. وطالب شيدمان، الاشتراكي في الحكومة، باستقالة الإمبراطور. وأمام انهيار الجيش الألماني، سنده الرئيسي، اضطر الإمبراطور إلى الاستقالة في ٩ نوفمبر. وفي اليوم نفسه أعلن شيدمان الجمهورية، وفر الإمبراطور فلهلم الثاني إلى هولندا. وتوالت استقالات اثنين وعشرين أميرا. وفي صبيحة يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ كون الحزبان الاشتراكيان الألمان مجلسا مؤقتا، مؤلفا من ستة مندوبين عن الشعب، وكلهم من الاشتراكيين: فمن الاشتراكيين أصحاب الأغلبية كان إبرت Ebert وشيدمان Scheidemann، ومن المستقلين كان هازه Haase الذي اغتيل بعد ذلك ببضعة أشهر. ولم يدخل الحكومة الثورية الجديدة كارل ليبكنشت Karl-Liebknecht زعيم الحركة السرية التي أطلقت على نفسها اسم «جماعة اسبارتاكوس»^(١) في Spartakusbund سنة ١٩١٦، وأخذت تبث الدعاية لوقف الحرب. وقد أعلن مندوبو الشعب هؤلاء حق التصويت للألمان من الرجال والنساء الذين يتجاوزون العشرين، وأن مدة العمل اليومي هي ثماني ساعات، وأعلنوا اشتراكية الصناعات، وتشكيل مجالس عمال تشارك في إدارة الأعمال والمصانع.

غير أن حالة من الفوضى الشاملة قد عمت أرجاء ألمانيا: فاندلعت الثورات وانهارت النظم، ولم يتعد سلطان حكومة برلين برلين نفسها. وصارت ألمانيا، على حد تعبير شيدمان نفسه، مجرد «مستشفى مجانيين». وفي شرق ألمانيا وقعت المصادمات مع البولنديين، وفي بوزنان وبروسيا الشرقية ثار البولنديون ضد السيطرة الألمانية، ومنذ نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ أعلن ضم هذه المناطق الشاسعة إلى جمهورية بولندا. وفي الغرب والجنوب ثار الناس على «سيطرة برلين»، وصاحوا: «لنتحرر من برلين!» Los von Berlin، وظهرت حركات انفصالية في مناطق الرين والألب.

(١) اسبارتاكوس Spartacus: زعيم الأرقاء الثائرين في إيطاليا. وقد جمع حوله في سنة ٧٣ قبل الميلاد جماعة من المصارعين من كابوا، وانضم إليه جيش حقيقي من العبيد المتمردين. وأصله من تراقيا، قد ولد حرا، لكنه صار عبدا نتيجة لفراره من الفرقة التي كان يخدم فيها. وقد احتاج أمر إخضاع هذه الثورة إلى عدة سنوات. ولم تخمد إلا بعد معارك طاحنة خاضتها الجيوش الرومانية بقيادة كراسوس، وانتصرت نهائيا على هذه الثورة في سنة ٧١ قبل الميلاد في معركة قتل فيها اسبارتاكوس.



وفي الغرب من ألمانيا عادت فلور الجيوش الألمانية من فرنسا وبلجيكا، ولكنها بدأت في التمزق: فراح الجنود يتركون فرقهم من دون انتظار أوامر التسريح الرسمي. وتشكلت في كل مكان «مجالس جنود» إلى جانب «مجالس العمال»، واستولوا على السلطات والمسؤوليات. وفي برلين تشكلت «اللجنة التنفيذية للمجالس»، وادعت أنها الحاكمة في كل ألمانيا، وتدخلت في شؤون الحكم من دون أن يحسب أي حساب للحكومة في برلين. ودب الشقاق بين المجموعات الاشتراكية.

هنالك تحركت حكومة إبرت لتخمد هذا الاضطراب الشامل. فتفاهم إبرت Ebert سرا مع الجنرال جرينر Groener الذي خلف الجنرال لودندورف، بقصد القضاء على الحركة الثورية. وفي هذا السبيل رأى دعوة الجمعية التأسيسية الوطنية لتحل محل مجالس العمال والجنود. واستعان في هذا أيضا بالنقابات، وكانت تضم الملايين من العمال. وهذه النقابات انضمت إلى موقف المعتدلين ضد الثوريين المتطرفين، وبدلا من الدعوة إلى «صراع الطبقات» نادى بـ «المشاركة في العمل»، بالتعاون بين الأجراء ورأس المال. ومنذ ١٥ نوفمبر نشأ تنظيم هائل، اجتمع فيه ممثلو النقابات العمالية وأصحاب الأعمال، وقد قصد منه إلى استمرار النشاط الاقتصادي العادي.

لكن «جماعة اسبارتاكوس» بزعامة لبيكنشت، وروزا لكسمبورج، هذه المهيجة المثيرة للفتن، عارضوا دعوة جمعية تأسيسية من شأنها أن تأتي بنظام بورجوازي معاد للثورة الاجتماعية. وطالبوا بالدكتاتورية الكاملة لطبقة الأجراء (البروليتاريا) وتشبيد نظام من «مجالس العمال» على غرار نظام السوفييتات.

وأفلحت الاشتراكية الديمقراطيّة (أو الديمقراطيّة الاشتراكية) في دعوتها إلى انتخاب جمعية وطنية، واجتمعت هذه في ١٩ يناير سنة ١٩١٩. لكن كان الدم قد بدأ قبل ذلك يسيل بغزارة. ففي ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ نشبت معركة في برلين قتل فيها ستة عشر. وفي ٢٣ و ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ وقع الصدام بين الجيش الرسمي والبحارة الثائرين. غير أن الاشتراكيين المستقلين فزعوا من العنف الذي لجأت إليه الحكومة، فانسحبوا من «مجلس مندوبي الشعب»، ولم يبق فيه غير الاشتراكيين الديمقراطيّين، وعلى رأسهم نوسكه Noske - وكان في الأصل نجارا - الذي صار حاكما لبرلين. وقام نوسكه هذا بإثارة حمية البقية الباقية من الجيش الألماني القديم من أجل القضاء على حركة اسبارتاكين.



ثم كان «الأسبوع الأحمر» في برلين من ٦ إلى ١١ يناير سنة ١٩١٩. وفيه انطلقت كل القوى الثورية المتطرفة وعلى رأسها الاسبارتاكيون والمستقلون الذين احتلوا مقار الصحف الكبرى (حي الصحافة كما يسمى في مسرحية برشت هذه). لكن تولت الحكومة بمعونة الجيش القضاء على هؤلاء الثوريين المتطرفين، فسقط منهم المئات العديدة في معارك في الشوارع. ثم كان اغتيال ليبكنشت وصاحبته روزا لكسمبورج بعد ذلك بيضعة أيام هو النهاية لهذه الحركة الثورية. وهكذا وبعد شهور قليلة انزاح نهائيا خطر الشيوعية، بعد أن كان لينين، وقد انتصر في ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ في روسيا، يمني نفسه أوسع الأمان من انتصار الشيوعية في ألمانيا، ومن ثم يمتد ثم يمتد إلى سائر أوروبا^(٢).

— ٢ —

وهذه الأحداث كلها تفترضها هذه المسرحية التي تصور جنديا عائدا من الحرب بعد أن انقطعت أخباره طوال أربع سنوات عن خطيبته «أنا»، فيئست هي الأخرى، وانعدت أواصر العلاقة بينها وبين فتى يدعى فريدرش مورك، كان عاملا، واستطاع الاستفادة من ظروف الحرب حتى كون ثروة كبيرة. وعلى الرغم من أن «أنا» Anna لم تكن تحمل له أي حب، فقد تطورت العلاقة بينهما إلى حد أنها أثمرت جنينا في أحشائها. وكان لا بد من عقد الزواج. وتم الاتفاق على عقد الخطبة في مساء يوم به تبدأ المسرحية. لكن في الليلة ذاتها عاد أندرياس كراجلر، الجندي الحبيب المفقود منذ أربع سنوات، وحضر إلى بيتها. وعلم أنها ستعقد خطبتها بعد قليل في بار

(٢) لمزيد من الاطلاع راجع عن هذه الفترة:

- a. M. Baumont et Marcel Berthelot: L'Allemagne. Lendemain de guerre et de révolution, Paris, 1922;
- b. Albert Rivaud: Le relèvement de l'Allemagne 1918-1938; Paris, 1938.
- c. Hohfeld: Geschichte des deutschen Reiches, 1871-1926; Leipzig, 1926.
- d. M. Baumont: La Faillite de la paix, 1918-1939. Coll. Peuples et civilisations. PUF, 1951, Paris.



بيكادلي، فراح إلى هناك. وهناك شاهده أنا، ودارت مناقشات حامية بين كراجلر وبينها وبين الخطيب الجديد مورك. وعلى الرغم من أن «أنا» مالت إلى حبيبها القديم، فقد رأت أن ثم ما يحول بينهما، هو هذا الجنين الذي تحمله في بطنها من ذلك الشخص الآخر، مورك. فَيُسْقَطُ في يد كراجلر، ويهيم على وجهه. وفي تلك الليلة، ولا بد أن ذلك كان في «الأسبوع الأحمر» (٦ - ١١ يناير سنة ١٩١٩)، كان الاسبارتاكويون يحتلون حي الصحافة. فلم يجد كراجلر مخرجا، وهو اليأس البائس، إلا أن ينضم إلى الثوار - في أي صف، لا يخبرنا المؤلف. و«أنا» من ناحيتها لم تشأ الاستمرار في خطبة لا يهفو قلبها إليها، فراحت تبحث عن كراجلر، ويلتقيان أخيرا، فيصرفه هذا اللقاء عن الإقبال على مغامرته الثورية، لأنه لا يريد أن يكون مرة أخرى ألعوبة في أيدي الآخرين، وكفاه تجربته الأولى ألعوبة في أيدي مثيري الحروب، «لقد جاء الآن دور السرير، السرير الواسع الكبير الناصع البياض» كما قال داعيا «أنا» إلى الذهاب معه للعيش بسلام، والمحافظة على سلسلة نسبه.

- ٣ -

والمسرحية إذن سياسية تتعلق بأحداث جارية ساخنة، وقد أُلْفها في أوجسبورج مسقط رأسه، في سنة ١٩١٩، وهو في الحادية والعشرين. ومُثِلت لأول مرة في منشن، في ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٢، بإخراج فالكنبيرج O. Falkenberg، ومثل إ. فابر E. Faber دور كراجلر.

وكان برشت يريد أن يكون عنوانها «اسبارتاكوس»، ولكنه عدل عن ذلك. والعنوان الجديد «طبول في الليل» يدين به برشت لصديقه ليون فويشتفانجر Lion Feuchtwanger القصصي والمؤلف المسرحي الذي كان يكبره بأربع عشرة سنة، وكان برشت قد تعرف إليه في نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن، فتصادقا صداقة استمرت حتى النهاية، وكثيرا ما كانا يعملان معا، ويلهم كل منهما الآخر أو يستلهمه.

ولما أراد برشت أن ينقح المسرحية من أجل طبعتها النهائية بعد ظهورها بأربع وثلاثين سنة، كتب يقول:



«مسرحية طبول في الليل هي من بين مسرحياتي الأولى أشدها التباسا. فالتمرد ضد اصطلاح أدبي مذموم قد أدى، في هذه الحالة، إلى إدانة حركة اجتماعية كبيرة. لقد كان من شأنه التسيير العادي، أي الاصطلاح، للحكاية، أن يجعل الجندي العائد من الحرب، والذي انضم إلى الثورة، لأن حبيبته حُطبت إلى شخص آخر، إما أن يسترد حبيبته أو يتخلى عنها نهائياً، وفي كلتا الحالتين يستمر منخرطاً في الثورة. وفي مسرحية طبول في الليل، مع ذلك، يسترد الجندي كراجلر حبيبته، على الرغم من أنه أهين، ويدير ظهره إلى الثورة ويتخلى عنها. ويبدو هذا أحسن الأوضاع الممكنة، خصوصاً أنه يمكن أن يستدل منه على أن هوى مؤلف المسرحية هو مع هذا الحل.

وهأنذا أرى اليوم، أن روح المناقضة عندي قد أفضت بي إلى حدود اللامعقول، وإني لأكتب الرغبة في أن أنعت هذه الروح بأنها الشباب، لأنني أمل أن تكون لاتزال لدي حتى اليوم من دون نقص.

والتصورات الدرامية في ذلك العهد، بدعواتها العريضة «للإنسان»، وحلولها المصطنعة غير الواقعية، كانت كريمة إلى نفس طالب البيولوجيا الذي كنته آنذاك. وكانوا يبتكرون من الهواء مجموعة من الناس «الطبيين» غير المحتمل وجودهم، ولا أثر لهم على كل حال، لأنها كانت تزعم، بنوع من الإدانة الأخلاقية، أنها قادرة على القضاء نهائياً على الحروب، والحروب في الواقع ظواهر معقدة مفروزة بعمق في النظام الاجتماعي.

ولم تكن لدي عن الثورة الروسية غير معلومات غامضة جداً... ويبدو أن معلوماتي لم تكن كافية كي تمكنني من فهم أهمية الثورة البروليتارية التي وقعت في شتاء سنة ١٩١٨ - سنة ١٩١٩ (في ألمانيا): وإنما كنت أرى فقط أن مشاركة فتاي «البطل» في هذه الثورة لم يكن بالأمر الجاد. والذين بدأوا الصراع كانوا من الأجراء (البروليتاريا)، وهو استفاد منها. وهم، من أجل الثورة، لم يحتاجوا إلى فقد أي شيء، وهو كان يمكن تعويضه. وكانوا مستعدين لحل مشكلته بواسطة مشاكلم، ولكنه تخلى عن قضيتهم... كل هذا كنت قد أدركته آنذاك، لكنني لم أفلح في إبراز الثورة للمشاهد إلا بعيني «بطل» كراجلر، ثم إن الثورة كانت مغامرة رومانتيكية...



ولم يكن من حقي (وأنا أعيد النظر في المسرحية) أن أمس بالتغيير شخصية كراجلر، الذي يجسد البورجوازي الصغير. وكان لا بد أيضا من الاحتفاظ بالاطراد النسبي الذي ظفر به موقفه... غير أنني قويت الجانب المعارض، بأن أضفت إلى صاحب الحانة جلوب ابن أخ، كان عاملا شابا ثوريا سقط صريعا في أحداث أيام نوفمبر. وهذا الشخص، وإن كان باهت الشخصية هنا، هو بمنزلة مقابل موازن للجندي كراجلر.

وأرجو أن يتمكن القارئ أو المشاهد من أن يحوّل إلى كراهية ما استشعره من عطف نحو بطل المسرحية، من دون أن يساعده على ذلك تأثير الإغراب».

وقد اعتمدنا في هذه الترجمة على هذه الرواية المنقحة للمسرحية، كما أقرها برشت في مارس سنة ١٩٥٤، حين أعدها للطبع لدى الناشر سوركامب Suhrkamp (في فرانكفورت). على أن هذه الصورة المنقحة لا تختلف عن الصورة الأصلية التي ألفها برشت في سنة ١٩١٩ إلا في بعض جمل قليلة في الحوار الأخير، هي تلك التي تشير إلى ابن أخي جلوب. وإذن فالتعديلات هينة جدا.

وقد حصل برشت على جائزة كليست عن هذه المسرحية.

* * *



شخصيات المسرحية

Andreas Karagler	أندرياس كراجلر
Anna Balicke	أنا باليكة
Karl Balicke	كارل باليكة: أبوها
Amalie Balicke	أماليا باليكة: أمها
Friedrich Murk	فريدرش مورك: خطيبها
Babusch	بابوش: صحافي رجلان
Globb	جلوب: تاجر خمور
Manke	مانكه: نادل في بار بيكادلي أخوه ويدعى: مانكه - حب - العنب رجل مخمور
Bulltrotter	بولتروتتر: بائع صحف ينادي عليها
Augusta, Marie	أوجستا، ماريا: مومسان
Laar	لار: فلاح عامل خادمة الممثل نفسه يمثل دوري الأخوين مانكه (الكوميديا تجري أحداثها خلال ليلة من ليالي شهر نوفمبر، من الغروب حتى الفجر).



الفصل الأول

(أفريقيا)

في بيت آل باليكة

(غرفة مظلمة. في النوافذ ستائر من التُّل. وقت الغروب)

- باليكة : (يخلق ذقنه أمام النافذة) مضت أربع سنوات منذ أن اعتبر مفقودا. لن يعود الآن. لا ندري ما يخبئه لنا المستقبل. الرجل يساوي الآن وزنه ذهبيا. وأنا منذ عامين كنت سأبارك ذلك. لكن عاطفتك اللعينة غلبتني على أمري. والآن عليّ أن أمشي على جثث.
- السيدة باليكة : (أمام صورة فوتوغرافية لكراجلر بزيّ جندي المدفعية، وهي معلقة على الحائط) لقد كان رجلا طيبا، لطيفا، طفلا حقا.
- باليكة : إنه الآن يتحلل.
- السيدة باليكة : أه لو عاد!
- باليكة : لا أحد يعود من السماء.
- السيدة باليكة : بحق كل القديسين في النعيم، ستلقي بنتنا أنا بنفسها حينئذ في الماء!
- باليكة : إذا كانت تقول هذا، فهي إوزة، وأنا لم أشاهد حتى الآن إوزة في الماء.
- السيدة باليكة : إنني أراها في ذبول(*)).

(*) الترجمة الحرفية: تبدو لي كأنها تبصق في بحر.



- باليكه : ما عليها إلا أن تكف عن التهام لدائن التوت والرنجة على طريقة بسمرك! إن مورك Murk شاب ممتاز، وعلينا أن نحمد الله راكعين على أنه بعث إلينا به .
- السيدة باليكه : إنه يكسب أموالا، هذا حق. لكنه لو قورن بالآخر! عيناى تغرورقان بالدموع!
- باليكه : لو قورن بجثة؟ أكرر لك: إما الآن، أو أبدا. ماذا تنتظر هي. البابا؟ ربما تنتظر زنجيا؟ شبع من هذه القصة .
- السيدة باليكه : ولو عادت هذه الجثة التي تتحلل، كما تقول، لو عاد من الجنة أو من النار؟
- (اسمي كراجلر) فمن ذا الذي سيقول له حينئذ إنه ليس إلا جثة، وإن خطيبته تمام في سرير شخص آخر؟
- باليكه : أنا سأكلمه، أنا! وإلى أن يقع شيء من هذا القبيل اذهبي أنت وقولي لتلك البنية: كفى هذا. وسنعزف مارش الزفاف، وزفافها سيكون إلى مورك. لو قلت أنا لها هذا، لأغرقتنا بالدموع. حسن، الآن أشعلي النور، من فضلك!
- السيدة باليكه : أنا ذاهبة لإحضار المشمّع. بدون نور أنت تجرح نفسك دائما .
- باليكه : الجرح لا يكلف شيئا، أما النور... (ينادي) أنا!
- أنا : عند عتبة الباب) ماذا تريد يا أبتاه؟
- باليكه : أرجوك أن تصغي إلى ما ستقوله لك أمك، ولا تأخذي في النحيب في أجمل يوم في حياتك .
- السيدة باليكه : اقتربي يا أنا. أبوك يلاحظ عليك أنك شاحبة جدا، كأنك لا يغمض لك جفن طوال الليل .
- بلى، أنا أنام. : أنا أنام.
- السيدة باليكه : اسمعي، الأمر لا يمكن أن يستمر هكذا إلى الأبد. الآن هو لن يعود .



(تشعل شموعا)

- باليكه : ها هي ذي بدأت تبدي عن عيني التماسح!
- السيدة باليکه : كان أمرا فظيعا بالنسبة إليك، ولقد كان رجلا طيبا، لكنه الآن مات.
- باليكه : دُفِن وتحلل.
- السيدة باليکه : كارل! ولديك الآن مورك، وهو رجل مجتهد، سعيد الحظ.
- باليكه : ماذا تريدان أكثر من هذا؟
- السيدة باليکه : إذن عليك، في نظري، أن تقولي «نعم» أمام الله.
- باليكه : وخصوصا لا نريد منك أن تمثلي أمامنا هزلية.
- السيدة باليکه : عليك أن تتخذي زوجا أمام الله.
- باليكه : (غاضبا هائجا لأنه لا يستطيع أن يلصق المشمع على صدغه) بحق الشيطان، هل تحسبين أن من الممكن اللعب بالكرة هكذا مع الفتیان؟ قولي «نعم» أو «لا». أما أن ترفعي بصرك نحو السماء فهذا بلاهة.
- أنا : إي، بابا!
- باليكه : (متذمرا) هكذا! والآن خذي في البكاء، هَيَّا، قد فتحت السدود، سأضع حالا طوق النجاة.
- السيدة باليکه : مورك هذا، ألا تشعرين نحوه بأي حُب؟
- باليكه : هذا بكل بساطة يتنافى مع الأخلاق الحميدة.
- السيدة باليکه : اسمع يا كارل! قولي لي يا أنا، ألا تستشعرين ذرة من الحب لفريردش هذا؟
- أنا : بلس! لكنكما تعلمان جيدا حقيقة الأمر، ثم إنني أشعر بتقرزز...
- باليكه : أنا لا أعلم شيئا. وإنني أكرر لك: الشاب تحلل وأكله الدود، وهيكله العظمي انقسم إلى قطع صغيرة! ثلاث سنوات!



وكل طاقم المدفعية الذي كان فيه قد طارا! في الهواء!
وتمزق إربا إربا! مفقود! وسيكون عجيبا من يخبر أين
ذهب! كل هذا ناشئ عن خوفك اللعين من الأشباح. اتخذني
إذن زوجا، وهنالك لن تخشي من أي شبح، إبان الليل.
يذهب ناحية أنا، ويصيح بصوت مرتفع) هيّا، هل أنت فتاة
شجاعة، نعم أو لا؟ اقتربي قليلا.

(يسمع قرع)

- أنا : (مرتاعة) إنه هو.
باليكه : احتجزه في الخارج وهيئيه!
السيدة باليكه : (عند الباب، وفي يدها سلة الغسيل) أليس عندك شيء
للفسل؟
أنا : بلى. كلا. كلا، أعتقد أنه ليس عندي شيء.
السيدة باليكه : ولكن اليوم هو اليوم الثامن.
أنا : الثامن، حقا؟
السيدة باليكه : طبعا، الثامن.
أنا : ثم ماذا؟ وحين نكون في اليوم الثامن عشر؟
باليكه : فيمَ تثرثران هكذا عند الباب؟ تعالي هنا.
السيدة باليكه : فتّشي عما إذا كان عندك شيء للفسل.
(تخرج)

باليكه : (يجلس، يضع أنا على ركبتيه) امرأة بدون رجل، هذه
معصية في حق الله. هذا الفتى الذي أرسلوه إلى الجبهة
أنت في شوق إليه. ليكن. لكن هل أنت تتذكرين وجهه؟
ليست لديك عنه أي فكرة، يابنتي. موته جعل منه مانيكان
احتفالات. ازداد جمالا طوال ثلاثة أعوام، وإذا لم يكن قد
مات، فسترين أنه يختلف تماما عما تتخيلينه. على أنه



تحلل، وأؤكد لك أن منظره كرهه: لم يعد لعشيقك أنف.
لكنك تفتقدينه. حسن، إذن اتخذني رجلاً آخر. الطبيعة
تريد هذا. أترين؟ ستشعرين، حين تستيقظين، في الصباح،
بأنك مثل الأرنب في حقل كرنب. وأنت لاتزال لك أطراف
سليمة وشهية! وليس في هذا معصية لله، أؤكد لك.

أنا : لكنني لا أستطيع أن أنساه! أنت تريد أن تقنعني،
لكني لا أستطيع!

باليكه : خذي مورك، وسينسيك الفتى الآخر.

أنا : أنا أحبه، وذات يوم لن أحب غيره، أما الآن، فإني لم أصل
إلى هذا الحد.

باليكه : أوه، سيجعلك تغيرين فكرك، بشرط أن يكون له عليك
سلطان كامل. أتفهميني؟ وهذه الأمور خير حل لها هو
الزواج. لا أستطيع أن أشرح لك هذا، فأنت لاتزالين
صغيرة.

(يدغدغها) إذن: اتفقنا؟

أنا : (تضحك مع شيء من التكلف) لا أدري هل فريدرش
يريد.

باليكه : يا امرأتي، تعالي.

السيدة باليكه : تفضل، في الصالون. ادخل، أرجوك، يا سيد مورك.

باليكه : مساء الخير، يامورك! ماذا بك؟ يبدو عليك كأنك جثة على
الماء!

مورك : الأنسة أنا.

باليكه : ماذا بك؟ هل حدث لك حادث أليم؟ كيف يكون المرء شاحبا
كل هذا الشحوب، يا صاحبي؟ ربما كان السبب طلقات
النار التي تسمع في الهواء في السماء. (صمت). يا أنا،
اهتمي به.



- (يخرج هو وزوجته بانطلاق)
- أنا : ماذا بك يا فيريدرش؟ أنت شاحب اللون جدا .
- مورك : (مستشقا) أهذا الشراب من أجل الخطبة؟ (صمت). هل جاء أحد؟ (يذهب ناحية أنا) قولي لي، هل جاء أحد؟ لماذا صرت بيضاء كالغسيل؟ من الذي أتى؟
- أنا : لا أحد. لم يأت أحد. لكن ماذا بك أنت؟
- مورك : إذن لماذا كل هذه العجلة؟ لا تروي لي حكايات. إن كان هذا يسره! لكني لا أخطب في مثل هذا المحل.
- مورك : العجوز. عين السيد تجعل المواشي تسمن! (يتجول في الغرفة في قلق) آه، ثم ماذا؟
- أنا : أنت تتصرف كأن أبويّ هما الحريصان عليها. والله يعلم أنهما غير حريصين عليها أبدا. هذا، لا! فاهم؟
- (تقرقع بأظافرها)
- مورك : قولي لي، متى قمت بأول تناول؟
- أنا : أريد فقط، أن أقول إنك تأخذ الأمور بنوع من الاستخفاف.
- مورك : آه، صحيح! الآخر؟
- أنا : أنا لم أتكلم عن الآخر.
- مورك : لا، لكنه دائما حاضر، في مكان ما، يتجول حولنا .
- أنا : معه كان الأمر مختلفا تماما . إنك لا تستطيع أن تفهم. لقد كان الأمر معه على المستوى الروحي .
- مورك : وبين كلينا نحن، ماذا هو؟ جسديّ؟
- أنا : بيننا لا يوجد شيء أبدا .
- مورك : لكن الآن، هناك شيء مع ذلك!
- أنا : ماذا تدري عن هذا؟



- مورك : آه عمّا قليل سأجعلك تغنين أغنية أخرى .
- أنا : مجرد كلام .
- مورك : لكنني سأطلب يدك .
- أنا : هل هذا تصرّيحك؟
- مورك : لا ، سيأتي بعد .
- أنا : على كل حال، إن كل ما لديك لتقدمه إليّ هو مصنع سلال ذخيرة .
- مورك : يا لك من عفرّيته! ألم يشعروا بشيء في الليلة الماضية؟
- أنا : أوه! فريدرش! إنهما ينامان نوما عميقا . (تلتصق به)
- مورك : أما نحن .. فلا .
- أنا : يا شقيّ!
- مورك : (يجذبها إليه ويقبلها، لكن بغير حرارة) يا عفرّيته!
- أنا : صه، اسكت! قطار يسير في الليل . أتسمعه؟ أحيانا أخشى أن يأتي . وهذا يسبب لي عرقا باردا يسيل على ظهري .
- مورك : من؟ المومياء؟ أنا كفيّل به . لكني أقول لك: لا محل لهذا الفتى فيما بيننا . لا أريد أن يكون بيننا على السرير جيفة . أنا لا أحتمل أي منافس، فاهمة؟
- أنا : لا تغضب . يا فريدرش، اصفح عنيّ .
- مورك : دائما صاحبك أندرياس؟ رُؤى! حين نتزوج سيكون ميتا مثلما كان في يوم دفنه . أتراهنسين؟ (يضحك) أنا أراهن: ولد .
- أنا : (وهي تخفي وجهها في صدره) أرجوك! لا تقل مثل هذه الأشياء .
- مورك : (بصراحة) سأشعر بالضيق! (نحو الباب) تستطيعين الدخول يا ماما! مساء الخير يا بابا!



- السيدة باليكة : (وهي عند الباب) يا أولاد! (تأخذ في التنهد) هكذا، بدون تحفظ!
- باليكة : ولادة عسرة، أليس كذلك؟ (عناق وانفعالات عامة)
- مورك : توأمان. والزفاف، متى؟ الوقت من ذهب.
- باليكة : بعد ثلاثة أسابيع، لو أردتما! السرير جاهز، يا ماما، العشاء.
- السيدة باليكة : حالا، حالا! لكن دعني آخذ نَفْسِي (تخرج). هكذا، بدون تحفظ!
- مورك : اسمحا لي بأن أدعوكما إلى الشراب في بار «بيكادلي». أنا من أنصار الخطبة الفورية. وأنت يا أنا؟
- أنا : إذا لزم الأمر!
- باليكة : لكن يمكننا عمل هذا هنا! لماذا الذهاب إلى بار «بيكادلي»؟ ما هذه الفكرة الغريبة؟
- مورك : (قلقا) لا، ليس هنا. هنا، لا يمكن.
- باليكة : ما معنى هذا؟
- أنا : إنه غريب الأطوار. تعالوا إذن إلى بار «بيكادلي»!
- باليكة : في ليلة كهذه؟ المرء يخاطر هكذا بحياته!
- السيدة باليكة : (تدخل مع الخادمة التي تحضر الحساء) نعم يا أولاد! أي مفاجأة! لكن كل شيء يجوز أن يحصل. إلى المائدة يا سادة!
- (يأكلون)
- باليكة : (رافعا رأسه) على صحة الخطيبين! (تقرع الكؤوس) الأيام لا أمان لها. الحرب انتهت. يا أماليا، هذا الخنزير المحمَّر كثير الدهن! تسريح الجنود يؤدي إلى مزيد من الاضطراب، والنهب، والحيوانية في واحات العمل الهادئ.



مورك : تحيا سلال الذخيرة! على صحتك يا أنا!
باليكه : عدد العناصر القلقة في تزايد مستمر. صيادون في الماء العكر! والحكومة غير حازمة في مكافحة مستغلي الثورة! (يفتح صحيفة) الجماهير الهائجة ليست لها مثل عليا. لكن أسوأ الجميع هم الجنود العائدون من الجبهة، أستطيع أن أقول هذا هنا. إنهم مغامرون، ودواب بلا أخلاق، قد فقدوا عادة العمل ولم يعد عندهم شيء مقدس. حقا إن عصرنا هذا عصر عصيب: والزوج، في هذه الأيام، يساوي وزنه ذهباً. يا أنا، استندي إليه بشدة. واعملوا على اجتياز العقبة، ولكن كتفا إلى كتف. لا بد من اجتياز العقبات. على هناءة حبيكم!

(يأخذ في ملء الفونوغراف)

مورك : (وهو يجفّف جبينه الرطب) برافوا! حين يكون المرء رجلاً، فإنه يستطيع التخلص دائماً. آه! لا بد للمرء من أن يتقن المزامحة بالأكتاف، وانتعال الأحذية الحديدية، والرؤية بوضوح، من دون النظر إلى ما يدوس عليه. نعم، يا أنا! أنا أيضاً بدأت من لا شيء، أنا من أصل وضيع بسيط: صبي مراسلة، صبي ميكانيكي. عملية هنا، تديرة هناك. ويتعلم الإنسان شيئاً عن يمين وعن شمال. وألمانيا كلها قد ارتفعت بهذه الطريقة. آه! لم يحمل الكل قفازات في أيديهم، ولكن يعلم الله كم بذلوا من جهود ومشقة. والآن صرت في أعلى السلم. على صحتك يا أنا!

(الفونوغراف يعزف: «أيها الحب، حين تستولي علينا!»)

باليكه : برافوا! حسن، يا أنا، ماذا بك؟
أنا : (قامت واستدارت نصف دورة) لا أدري. كل هذا جرى بسرعة جدا. إنني أسألك نفسي يا أماء عمّا إذا كان هذا هو الطريق السليم...



- السيدة باليكة : ماذا تقصدين يا ابنتي؟ يا لك من إوزة! على العكس، عليك أن تكوني راضية. ما الشيء الذي ليس بالسليم؟
- باليكة : اجلسي! أو مادمت واقفة فاملئي الفونوغراف. (أنا تجلس. صمت)
- مورك : إذن على غرامياتك! (يقرع كأسه بكأس أنا). لكن ماذا بك؟
- باليكة : وبمناسبة شغلتك يافرتز، شغلة سلال الذخيرة، أتعرف أنها لن تساوي شيئاً بعد قليل. كلها ثمانية أيام أو خمسة عشر يوماً من الحرب الأهلية، ثم ينتهي كل شيء! وأقول لك عن جد، أنا في ذهني شغلة عظيمة وهي: عربات للأطفال. المصنع لم يسر خيراً من هذا، من كل النواحي. (يمسك بمورك من ذراعه ويقناده إلى العمق. يزيح ستائر النافذة) المبنى الجديد رقم ٢، والمبنى الجديد رقم ٣. صناعة ثابتة وحديثة. يا أنا، املئي الفونوغراف! إن هذه الأسطوانة تهز كياني. (الفونوغراف يعزف: «ألمانيا، ألمانيا، قبل كل شيء»)
- مورك : هناك رجل في فناء المصنع، من هو؟
- أنا : لكن هذا مروع. يخيل لي أنه يتطلع إلى هنا.
- باليكة : يحتمل أن يكون الحارس. لماذا يضحكون يا فرتز؟ إن في ذهنك شيئاً. إن السيدات كلهن شاحبات.
- مورك : خطر ببالي شيء غريب: الاسبارتاكيون...
- باليكة : هذا تغفيل! هذا لا يوجد عندنا! (ومع ذلك يتلفت متضامياً) هذا هو المصنع إذن. (يعود إلى المائدة، بينما أنا تسدل الستائر). نعم، الحرب هي التي وضعتني على الفصن الأخضر الزاهر! كان الثراء مطروحا في عرض الطريق، فلماذا لا ينحني المرء ليلتقطه؟ إذن سيكون ذلك حماقة وغفلة. ولو لم ألتقطه أنا، لالتقطه غيري. إن شقاء البعض هو الذي يصنع سعادة البعض الآخر. ولو حسبنا



حساب كل الاعتبارات، لقلنا إن الحرب كانت فرصة مواتية لنا. لقد كدّسنا الأرباح، وملأنا الجيوب، ونحن في أمان. ونستطيع بكل اطمئنان أن نصنع عربات أولاً. وبدون استعجال! موافق؟

- مورك : موافق كل الموافقة يا بابا! على صحتك!
- باليكه : وأنتما تستطيعان أن تتفرغا لصنع أطفال! ها! ها! ها!
- الخدمة : حضر السيد بابوش، يا سيد باليكه.
- بابوش : (يدخل باندفاع وإسراع) يا جماعة! أنتم في مأمن من سبت الجن الأحمر! اسبارتاكوس يعبئ رجاله. المفاوضات قطعت. وبعد أربع وعشرين ساعة سيزأر المدفع في برلين.
- باليكه : (ولاتزال الفوطة حول رقبته) لكن هؤلاء الناس لم يقنعوا إذن! يا للشيطان.
- السيدة باليكه : المدفع؟ يا إلهي! يا إلهي! يا لها من ليلة. آه! يا لها من ليلة! سأنزل إلى المخبأ يا باليكه!
- بابوش : في وسط المدينة لايزال كل شيء هادئا، لكن يظهر أنهم سيحتلون مطابع الجرائد.
- باليكه : ماذا؟ ونحن الذين نحتفل بالخطبة؟ يعملون هذا في هذا اليوم بالذات؟ يا لهم من مجانين!
- مورك : لا بد من لصق هذا في الجدار!
- باليكه : كل أولئك الساخطين في الجدار!
- بابوش : أأنت الذي تخطب. يا باليكه؟
- مورك : بابوش، خطيبتني!
- السيدة باليكه : هكذا! فجأة! بغير تحفظ! لكن متى سيضربون بالمدافع؟
- بابوش : (يصافح يدي أنا ومورك) الاسبارتاكويون خزنوا أسلحة بكميات. هؤلاء الرعاع يعملون في الظلام. آه يا أنا! لا تلقي



- بالا! هنا لن يحدث شيء. هذا بيت هادئ! الأسرة! نعم!
الأسرة الألمانية! بيتي قلعتي(*) my home is my castle
- السيدة باليكة : في عصرنا! في عصرنا! وبالذات في أجمل يوم من أيام حياتك، يا أنا.
- بابوش : تعرفون يا جماعة أن الأمور غاية في التشويق.
باليكة : قليلا جدا بالنسبة إليّ! قليلا جدا!
(يمسح فمه بالفوطة)
- مورك : ألا تعرف؟ تعال معنا إذن إلى بار بيكادلي! من أجل خطبتي
بابوش : والاسبارتاكويون؟(**)
- باليكة : سينتظرون، يا بابوش. دعهم لتطلق عليهم النار. تعال معنا إلى بار بيكادلي! يا نساء، البسن ثيابكن.
السيدة باليكة : إلى بار بيكادلي؟ وفي الليل؟
(تجلس على كرسي)
- باليكة : بار بيكادلي، هذا الاسم القديم. الآن يسمى «مقهى الوطن». فريدرش يدعونا. وماذا يهم أن يكون الوقت ليلا؟ العربات، من أجل ماذا؟ هيا البسي ثيابك، يا عجوز!
- السيدة باليكة : لن أخطو خطوة واحدة خارج البيت. ماذا جرى يا فرتزي!
أنا : إرادة الإنسان هي جنته! مادام فريدرش يريد... (الجميع يتطلعون في مورك)
- مورك : لا، ليس هنا. بأي ثمن. أنا أريد موسيقى، وأضواء. إنه محل ممتاز. كما سترون. أما هنا فالمكان مظلم جدا. لقد لبست ثيابي لهذا الغرض. ماذا تقولين في هذا إذن، يا حماتي؟
السيدة باليكة : لا أستطيع أن أفهم السبب.

(*) بالإنجليزية في الأصل الألماني.

(**) كان سبارتاكوس زعيما للعبيد المتمردين ضد روما، وقد قتل في سنة ٧١ ق. م.



(تخرج)

أنا : انتظرني يا فريدرش، سأكون جاهزة في دقيقة.
بابوش : عجيب كل ما يجري الآن. كل الجهاز يطير. أيها الوُضعاء،
نَظِّمُوا أنفسكم! وبهذه المناسبة أقول لكم إن المشمش
الأصفر، الناضج، المملوء بالعصارة يساوي الرطل منه
خمسة ماركات. أيها المتعطلون، لا تستجيبوا للاستثارة! في
كل مكان، في المقاهي ذات الضوء الباهر يشاهد عصابات
من الأشخاص المشبوهين، يَصْفِرُونَ بوضع أصابعهم في
أفواههم. وقد اتخذوا ما يسمونه جلودهم القديمة رايات!
بينما صفة المجتمع ترقص الفالس في المراقص! هيا، على
نخب زواجك!

مورك : لا حاجة بالسيدات إلى تغيير زينتهن. الآن لا أهمية لشيء
من هذا. بالزينة البراقة تلفتن النظر إليكن.
باليكه : هذا صحيح تماما. الأيام عصبية. أقدم ملابس مستعملة
تكفي لمثل هؤلاء الأوباش. انزلي حالا يا أنا.
مورك : سنذهب نحن قبلكم. لا تغيري شيئا من ملابسك.
أنا : جلف!

(تخرج)

باليكه : إلى الأمام، سرًّا! الاتجاه: الجنة بالموسيقى. عليّ أن أغير
قميصي.
مورك : الحقني بنا أنت وأمك. وسنأخذ معنا بابوش باعتباره
وصيفة، أليس كذلك؟ (يعني) بابوش، بابوش، بابوش يهرول
في الصالة.
بابوش : دائما تكرر الكلام نفسه الصادر عن فتى مجنون، ألا
تستطيع أن تتخلي عنه نهائيا؟
(يخرج معه متأبطا ذراعه)



- مورك : (يستمر في الغناء في الخارج) يا صبيان، مصوا إبهامكم، هذا أوان العريضة. أنا!
- باليكه : (وحده، يشعل سيجارة) الحمد لله، خلصنا من هذه المسألة! أوه، هذه البنت كم أرتنا العجب! لا بد من دفعها إلى السرير بالقوة! وحبها الأبله لجيفة! لقد بلّلت فيها قميصي النظيف. والآن ليكن ما يكون. شعارنا: عربات للأولاد. (يخرج) يا امرأة، هاتي قميصا.
- أنا : (من الخارج) فريدرش، فريدرش! (تدخل كالريح العاصفة) فريدرش!
- مورك : (عند عتبة الباب) أنا! (يتكلم بجفاف، إنه قلق، وعليه سيما الشمبازي وذراعا معلقتان وتهتران) هل قررت، أولا؟
- أنا : ماذا بك؟ لو شاهدت نفسك في المرأة!
- مورك : هل تأتين، نعم أولا؟ أنا أعلم ما أقول. دعي الحركات! ليكن الأمر واضحا تماما.
- أنا : نعم، نعم! هذا شيء جديد!
- مورك : حسن، حسن. لست متأكدا تماما من نفسي بعد. لقد عانيت الولايات وأنا أسكن طوال عشرين سنة في غرفة الخادومات، واستشعر البرد ينخر عظامي، والآن أنا ألبس أحذية ذات أزرار، انظري إليها. وسال العرق مني في الماء، على ضوء مصباح غاز رديء، وكلفني هذا الكثير من بصري. الآن يصنع ملابس خياطة. غير أنني لست بعدُ راسخا على قدمي. ثم تيار من الهواء البارد، تيار من هواء مثلج عند الأرض يجمد الأقدام. (يذهب ناحية أنا، من دون أن يمسها، ويظل واقفا أمامها وهو يتأرجح على قدميه). والآن يزدهر النبات، الآن الخمر يجري أمواج. الآن أنا هناك. بلّني العرق، والعيون مغلقة، والكف مقبوضة إلى



حد دخول الأظافر في لحم الكتف. انتهى هذا كله! شيئاً من الأمان! شيئاً من الحرارة! لنخلع الأسماك البالية! سرير واسع، وثير، وفرش أبيض. (حين يمر عند النافذة يلقي نظرة سريعة إلى الخارج) تعالي هاهنا: أنا أفتح القبضة، وأجلس تحت الشمس لابسا القميص، أنا الآن أملكك.

- أنا : (طائرة بين ذراعيه) حبيبي!
- مورك : حبيبتني.
- أنا : الآن أنت تملكني، أليس كذلك؟
- مورك : وأنت، لا شيء دائماً؟
- بابوش : (في الخارج) إذن يا جماعة؟ هل تأتون؟ هل تتسون أنني مرافقكم الأمين؟!
- مورك : (يملاً الفونوغراف مرة أخرى. صوت يتغنى بقوة الحب العارمة) أنا أحسن رجل في العالم، بشرط أن يتركوني أعمل.
- (يخرجون وهم يمسون بعضهم بأذرع بعض)
- السيدة باليكة : (تدخل بحماسة. تلبس ثوبا أسود وتسوي قبعتها كبوت. أمام الصوان ذي المرأة القمر كبير، وأحمر اللون!.. إلهي! يا أولاد! نعم... آه! في هذه الليلة نستطيع أن نحمد الله مرة أخرى.
- (في هذه اللحظة يظهر في فتحة الباب رجل يلبس السترة العسكرية الرسمية لجندي مدفعية، لونها كحلي، وهي قدرة جدا. وفي يده غليون صغير)
- الرجل : اسمي كراجلر!
- السيدة باليكة : (تمسك بمنضدة الزينة حتى لا تسقط، وركبتها ترتعدان) الله!



- كراجلر : ماذا؟ لماذا تحملقين هكذا كأنك في عالم آخر؟ ضاعت نقود في الهواء من أجل التاج؟ يا للخسارة! أنا أقدم تقريرا عن نفسي: لقد أقيمت في الجزائر شبحا . غير أن الجيفة صارت لها شهية عارمة. أشعر بأنني قادر على ابتلاع دود الأرض. لكن ماذا أصابك يا سيدة باليكة؟ هذه الأغنية سخيفة. (يقف الفونوغراف. السيدة باليكة لا تتطرق بعد بأي كلمة. بل تستمر في التحديق فيه بشدة، وعيناها مفتوحتان تماما)
- كراجلر : لن يغمى عليك، على الأقل؟ هذا كرسي. يمكن إحضار كوب ماء لك.
- باليكة : (بصوت خفيض وهو ذاهب إلى البوفيه) إني أسترد ذكرياتي الآن هنا تقريبا. (يصب خمرا في كأس). خمرا! من نوع ريسلنج. لاتزال في حيوية وإن كنت شبحا .
- باليكة : (يدور في تल्प حول السيدة باليكة)
- كراجلر : (من الخارج) هيا، يا عجوزتي، تعالي! هيا بنا! نعم، أنت جميلة، يا ملاكي العزيز!
- كراجلر : (يدخل ويتوقف مذهولا، ونظرته جوفاء) ماذا؟ مساء الخير، يا سيد باليكة! زوجتك تشعر بانقباض. (كراجلر يحاول أن يجعلها تشرب خمرا، لكنها تدير رأسها، وقد استولى عليها الرعب. باليكة ينظر إلى المسرح لحظة، وهو غاية في الحيرة)
- كراجلر : اشربي إذن! لا؟ ستتحسن حالك فورا . حسبت أنك كنت تتذكريني جيدا . ذلك أني قادم من أفريقيا فورا! عن طريق إسبانيا . مجهود كبير للاحتيال على جواز السفر والباقي. والآن، أين أنا؟



- باليكه : بحق الله إلا تركت زوجتي في هدوء. ألا ترى أنك ستخنقها؟
- كراجلر : لا!
- السيدة باليکه : (تلوذ بالقرب من باليکه وقد ظل واقفا) كارل!
- باليکه : (بلهجة جادة) يا سيد كراجلر، إذا كنت حقا من تزعم أنه أنت، هل أستطيع أن أرجوك أن تخبرني بما جئت من أجله هاهنا؟
- كراجلر : (مقطع النفس) لكنني كنت أسيرا في أفريقيا.
- باليکه : يا لله! (يتوجه ناحية صوان صغير في الحائط ويصب لنفسه كمية صغيرة من ماء الحياة ويبتلعها). حسن. هذه ضربة من ضرباتك. مصيبة من المصائب. لكن ماذا تريد حقا؟ ماذا تريد؟ ابنتي خُطبت هذه الليلة بالذات، منذ أقل من نصف ساعة.
- كراجلر : (يتردد متضايقا قليلا) ما معنى هذا؟
- باليکه : لقد بقيت غائبا أربع سنوات. وهي انتظرتك طوال أربع سنوات. ونحن انتظرنا أربع سنوات. والآن قضي الأمر، ولم يعد لك ما تأمله هنا.
- (كراجلر يجلس)
- باليکه : (غير واثق تماما من نفسه، لكنه يحاول أن يظل رابط الجأش) يا سيد كراجلر، عندي التزامات في هذه الليلة.
- كراجلر : (يرفع عينيه) التزامات...؟ (ساهما) نعم.. (يعود إلى حال اليأس)
- السيدة باليکه : يا سيد كراجلر، لا تحمل الأمور محمل المساة. ففي الدنيا فتيات كثيرات. هكذا حال الدنيا. تعلم كيف تتألم، من دون أن تشكو!
- كراجلر : أننا...



- باليكه : (بلهجة سريعة) يا امرأة! (تذهب نحوه بخطوة مترددة.
باليكه يقول بلهجة حازمة فجأة) آه! ثم إن هذا كله مجرد
عواطف!
(يخرج مع زوجته. عند الباب تظهر الخادمة)
- كراجلر : همّ!
(يهز رأسه)
- الخادمة : السيدة والسيد ذهبا. (صمت) السيدة والسيد ذهبا إلى
بار بيكادلي للاحتفال بالخطبة.
(صمت. هزيم الريح)
- كراجلر : (يرفع عينيه نحوها ببطء) همّ!
(ينهض بثقل، يتأمل الغرفة، يخطو بضع خطوات، منحنيا،
يلقي نظرة من النافذة، يعود، يخرج ببطء بخطوات صغيرة،
ورأسه عار، وهو يصفر صفيرا خفيفا)
- الخادمة : هيه! يا سيد، طاقتك! لقد نسيت طاقتك.

* * *



الفصل الثاني

(الفلل)

في بار بيكادي

(فتحة كبيرة في العمق. موسيقى. من النافذة يشاهد قمر كبير أحمر. في كل مرة يُفتح فيها الباب تدخل الريح بقوة في الغرفة)

- بابوش : هيا، ادخلوا الزريبة يا أولاد! هناك قمر للجميع! يحيا اسبارتاكوس! كل هذا مجرد ترهات! ها نبيذ أحمر!
- مورك : (يدخل تتأبط ذراعه أنا، يخلعان معطفيهما) ليلة كما في القصص. صيحات في حي الصحافة، خطيبان في عربة.
- أنا : لا أدري ماذا بي اليوم. كل فرائصي ترتعد. أشعر بغثيان، ولا أستطيع التخلص منه.
- بابوش : إذن على نخب غرامياتك، يا فريدرش!
- مورك : هنا أشعر بأني في بيتي. مع طول الإقامة يقل الأنس، ولكنه محل ممتاز! انظر إذن يا بابوش، ماذا يصير إليه أمر الجيل الماضي!
- بابوش : حسن! (يخرج) وأنت، اهتم بالجيل المقبل. (يشرب)
- أنا : قبّلي.
- مورك : هل أنت مجنونة؟ إن نصف برلين يتطلع إلينا.
- أنا : وماذا يهم! أنا، حين أريد شيئاً، فما عداه يستوي عندي!
- مورك : وأنت ألسنت كذلك أيضاً؟
- مورك : أبداً. وأنت أيضاً كذلك.
- أنا : كم أنت جلف!



- مورك : لكن الأمر هكذا!
- أنا : جيان!
- (مورك يضغط على زر الجرس (يدخل نادل)
- مورك : انتباه!
- (ينحني من فوق المائدة، ويقلب الأكواب ويقبّل أنا بالقوة)
- أنا : أنت الآخر!
- مورك : كفى! (النادل يخرج) إذن أنا جيان؟ (ينظر تحت المائدة)
- الآن لم تعود في حاجة إلى ركلي بقدمك.
- أنا : ما حكايتك؟
- مورك : وسيكون سيّدك ومولاك.
- باليكه : (يدخل مع بابوش والسيدة باليكه) آه! هاهما! الزوجان!
- أنا : أين ذهبتم؟
- السيدة باليكه : القمر أحمر تماما. وهذا يقلقني. أن أراه أحمر هكذا.
- ولاتزال تُسمع صيحات آتية من حي الصحافة!
- بابوش : ذئاب!
- السيدة باليكه : ابقيا معا أنتما خصوصا.
- باليكه : معا في سرير واحد، أليس حقا يا فريدرش؟
- أنا : ماما، أتشعرين بعدم ارتياح؟
- السيدة باليكه : متى ستتزوجان؟ قولا.
- مورك : بعد ثلاثة أسابيع، يا أماه!
- السيدة باليكه : كان من الواجب أن ندعو إلى الخطبة عددا أكبر من الناس.
- لا يعلم أحد. ومع ذلك ينبغي أن يكون هذا معلوما للناس.



- باليكه : ترهات! ترهات! وكل هذا لأن الذئب أخذ في العواء!
دعيه يعو! إلى أن يلتصق لسانه الأحمر بالتراب! أما أنا
فسأقضي عليه بضربة قاضية.
- بابوش : يا مورك، ساعدني على فتح هذه الزجاجة. (بصوت
خفيض) إنه موجود هنا. جاء مع القمر. وصل الذئب مع
القمر. عاد من أفريقيا.
- مورك : أندرياس كراجلر؟
- بابوش : نعم، الذئب! بليّة، أليس كذلك؟
- مورك : لكنه قد تم دفنه. أسدلوا الستائر إذن!
- السيدة باليكه : ونحن قادمون، توقف أبوك في كل الحانات. والآن هو غاية
في السكر. هذا رجل! أه! نعم، وأي رجل! إنه يسكر حتى
الموت من أجل أولاده.
- أنا : ولماذا يفعل هذا؟
- السيدة باليكه : لا تلقي بأسئلة، يابنيتي. وخصوصا لا تسأليني عن شيء.
كل شيء انقلب ظهرا على عقب. هذه نهاية العالم. بسرعة،
أنا في حاجة إلى كأس من الكيرش Kirsch.
- باليكه : الغلطة ببساطة هي غلطة.. هذا القمر الأحمر! أسدلوا
إذن الستائر.
- (النادل يسدل الستائر)
- بابوش : هل كنت تعرف هذا؟
- مورك : أنا متأهب لهذا إلى أقصى درجة. هل حضر إلى البيت؟
- بابوش : نعم، منذ قليل.
- مورك : إذن سيأتي إلى هنا.



- باليكه : هل تتأمرون من وراء الزجاجات، تعاليا واجلسا هاهنا! ولنحتفل بالخطبة. (الجميع يجلسون حول المائدة) وبسرعة! فليس عندي وقت للتعب!
- أنا : هوه! والفَرس! كم كان عجيبي! لقد توقف في وسط الطريق. نزل فريدرش، ولكن الفَرس لم يعبأ. بقي واقفا هناك في وسط الشارع. وكان يرتعد. لكن عينيه كانتا تشبهان عيني الذئب، فغمزه فريدرش في عينيه بطرف عصاه، فوثب الفَرس. كما لو كنا في السيرك.
- باليكه : الوقت من ذهب. الجو حار جدا هنا. العرق يتصبب مني من جديد - لقد بللت اليوم قميصا من عرقي.
- السيدة باليكه : إذا استمرت الأمور على هذا النحو، فستفلس من أجور الغسل.
- بابوش : (يأكل قراصيا استخراجها من جيبيه) في هذه الأيام، الرطل من المشمش يساوي عشرة ماركات، ليكن! سأكتب مقالا عن ارتفاع الأسعار. وبهذا أستطيع شراء مشمش. لو كانت هذه هي نهاية العالم لكتبت بحثا عن نهاية العالم. لكن الآخرين، ماذا سيفعلون؟ أنا، لو أن حي حديقة الحيوان دمر، ونُسف، فأنا كالسمكة في الماء. أما أنت؟
- مورك : نحن نتحدث عن القمصان، وعن المشمش، وعن حديقة الحيوان. ولكن الزفاف، متى سيكون؟
- باليكه : بعد ثلاثة أسابيع! الزفاف بعد ثلاثة أسابيع! مرحى! ولتكن السماء شهيدة على ما أقول. ألسنا متفقين على هذا نحن جميعا؟ الكل موافقون على الزفاف، حسن، إذن هيا بنا إلى الخطبة! (تقرع الكؤوس. فتح الباب. كراجلر واقف في فتحة الباب. الريح تزعزع شعلة الشموع)



- باليكه : لكن! لماذا ترتعدين يا أنا أنت وكأسك؟ هل تصنعين صنع أمك؟ (أنا، وكانت جالسة في مواجهة الباب، شاهدت، وفي الحال انهارت على نفسها، أنها تحددق فيه)
- السيدة باليكه : يسوع، مريم، يوسف! ماذا جرى لك يا ابنتي؟
- مورك : من أين تأتي هذه الريح؟
- كراجلر : (بصوت مبحوح) أنا!
- (تصيح، تطلق صيحة خفيفة.. الكل يلتفتون، ويقفون فجأة. هياج واضطراب)
- باليكه : يا لله! (يبتلع كأساً من الخمر) الشبح!
- السيدة باليكه : يسوع! كرا...
- مورك : اخرج! اخرج!
- (بقي كراجلر لحظة متردداً عند عتبة الباب، ووجهه مكتئب. وفي أثناء هذه اللحظة من الاضطراب اتجه بسرعة، ولكن بثقل، نحو أنا، وكانت هي الوحيدة التي لم تقف. وكراجلر ينتزع الكأس من يدها المرتعدة أمام وجهها، ويحددق فيها مستنداً إلى المائدة)
- باليكه : لكنه سكران!
- مورك : يا جارسون! انتهاك لحرمة المسكان. أخرجته من هنا! (هو يجري على طول الحائط، يجعل الستارة تنزل. القمر)
- بابوش : انتبه! إنه إنسان تحت قميصه لحم فح! وهذا يلدغ، لا تمسه! (يضرب على المائدة بعصاه) لا تحدث فضيحة هنا! اخرج بهدوء! اخرج بنظام!
- أنا : (نهضت من كرسيها في تلك الأثناء، وألقت بنفسها حول أمها) أمها، النجدة! (كراجلر يدور حول المائدة، ويمشي مترنحا ناحية أنا، والأقوال التالية يُنطق بها في الوقت نفسه تقريبا)



- السيدة باليكة : لا تعتمدِ على حياة بنتي! ستوضع في الحديد، في السجن المؤبد! يا يسوع! يا مريم! إنه سيقتلها .
- باليكة : (من بعيد، وهو يضخم صوته) هل أنت مخمور يا صعلوك! يا فوضوي! يا مسرَّح! يا قرصان! يا شبح! أين تركت مفرش سريرك؟
- بابوش : إذا كنت مصابا بالسكتة القلبية، فلتعلم أنه هو الذي سيترزوجها! أعلق فمك! إنه هو الخاسر هنا . اخرج! له الحق في أن يقول كلمة . نعم له الحق في هذا . (مخاطبا السيدة باليكة) أليس لك قلب؟ لقد كان غائبا منذ أربع سنوات . المسألة عاطفة وقلب ..
- السيدة باليكة : إنها لا تكاد تتقف على ساقيها، إنها شاحبة مثل المفرش .
- بابوش : (مخاطبا مورك) انظر مع ذلك إلى وجهه! إنها لاحظت ذلك! وهو الذي كانت بشرته مثل اللبن وخداه مثل الخوخ! أما اليوم فيبدو كأنه بلح مجفف . لا تقلق إذن .
(يخرجون)
- مورك : إذا كنت تعني بكلامك الغيرة، فلا محل للغيرة عندي .
- باليكة : (يبقى لحظة .. في منتصف المسافة بين الباب والمائدة، وهو سكران قليلا، وساقاه متعانقتان، وفي يده الكأس، وهو يقول) هذه العربة الزنجية! وجه مثل ... مثل فيل هرم! مقضي عليه تماما، هذا! لا حياء! (ثم يخرج بخطوات بطيئة، ولا يبقى على المسرح غير الجارسون، عن يمين الباب، وفي يده صينية، الموسيقى تعزف: «سلام لك يا مريم!» من موسيقى جونو Gounod . الظلام يغشى المكان)
- كراجلر : (بعد برهة) أمّحى كل شيء في رأسي . كأنما لم يَبَقْ بعدُ غيرُ العرق . لست أفهم بعدُ شيئا .
- أنا : (تأخذ شمعة وتضيء بها أمام وجهه) ألم يأكلك السمك؟



- كراجلر : لا أفهم ماذا تقصدين .
- أنا : ألم يقذف بك في الهواء؟
- كراجلر : لا أفهمك .
- أنا : ألم تصبك رصاصة في وجهك؟
- كراجلر : لماذا تتطلعين في هكذا؟ هل يرى شيء من هذا على وجهي؟
(صمت. يطل من النافذة) لقد حضرتُ إليك كحيوان عجوز. (صمت) بشرتي كلها سوداء، كأنها جلد سمك القرش. (صمت) وقديما كانت بشرتي بيضاء كاللبن، وفي خدودي تجري الدماء. (صمت) والآن أنا أنزف، دمي لا يكف عن المسيل، وأنا أشعر به وهو يسيل، يسيل...)
- أنا : أندريه!
- كراجلر : نعم.
- أنا : (تذهب نحوه، مترددة) أوه، أندريه! لماذا تغيبت كل هذه المدة الطويلة؟ هل أمسكوك بمدافعهم وسيوفهم؟ والآن لا أستطيع أن ألحق بك.
- كراجلر : هل كنت غائبا حقا؟
- أنا : في البداية بقيت طويلا بالقرب مني، وكان صوتك لايزال حيا. وحين كنت أمر في الدهليز، كنت أمسك، وفي البرج كنت تدعوني خلف أيكة الإسفنديان. وعبثا كتبوا أنك أصبت برصاصة استقرت في رأسك، وأنتك دُفنت بعد ذلك بيومين. لكن في ذات يوم تغير هذا. لما مررت في الدهليز، شعرت بأنه ليس هناك أحد، وبقي الإسفنديان صامتا. وحين كنت أنهض من حوض الغسل، كنت لا أزال أرى وجهك، ولكن حين كنت أنشر الغسيل على المرج، لم أعد أراك، وفي هذه الأثناء لم أعد أعرف كيف أتذكر صورتك. لكن كان ينبغي علي أن أنتظر.



- كراجلر : كان لا بد لك من صورة فوتوغرافية .
- أنا : كنت خائفة . وكان ينبغي عليّ أن أنتظر، برغم مخاوفي، لكنني شريرة . اترك يدي، فكل شيء فيّ شرير .
- كراجلر : (وهو يتطلع ناحية النافذة) لا أفهم ما تقولين . لكن ربما كانت الغلطة غلطة هذا القمر الأحمر . لا بد لي من التفكير كيما أفهم كلماتك . إن لي كفين منفتحتين وكأنهما ذواتا أصابع متلاصقة .. لست رجلا من أهل الخير، وحين أشرب أكسر الكأس التي أمسك بها . لا أستطيع بعد أن أتكلم معك كما ينبغي . لقد بقيت لهجة العبيد الزوج في حلقي .
- أنا : نعم .
- كراجلر : هاتي يدك . أتعقدين أنني شبح؟ تعالّي بالقرب مني . هاتي يدك . ألا تريدين أن تأتي بالقرب مني .
- أنا : أتريد يدي؟
- كراجلر : هاتيها . الآن لم أعد شبعا . أتذكرين وجهي؟ هل بشرتي كجلد التمساح؟ إن سحنتي قبيحة . لقد بقيت وقتا طويلا في ماء الخل . دائما هذا القمر الأحمر!
- أنا : نعم .
- كراجلر : خذي يدي، أنت أيضا - لماذا لا تضغطين عليها؟ قربي وجهك . هل الأمر خطير إلى هذا الحد؟
- أنا : كلا! كلا!
- كراجلر : (يمسكها من كتفها) أنا! زنجي عجوز! هذا هو أنا! في حلقي طين! أربع سنوات! هل تريدني، يا أنا؟ (يجعلها تدور معه في الغرفة، ويلمح الجارسون ويحديق فيه هازتا، وجسمه منحني إلى الأمام)



- الجارسون : لدهشته تسقط منه الصينية ويأخذ في الفأفة) المهم... هو... أن نعرف هل احتفظت بزنبقتها... هل لاتزال معها زنبقتها...
- كراجلر : (بدون أن يترك أنا، يأخذ في الصهيل) ماذا قال؟ زنبقتها؟ (الجارسون يخرج وهو يعدو). لكن قف، يا قارئ الروايات. زنبقتها! اسمعي الكلمة التي خرجت منه! أسمعتها؟ لقد قالها بعاطفة مشبوبة!
- أنا : أندريه!
- كراجلر : (يتطلع فيها، منحنيا إلى الأمام. لقد ترك أنا) قولها مرة أخرى! إني أستعيد الآن صوتك. (يعدو ناحية اليمين) يا جارسون! تعال هنا، أيها الصديق!
- بابوش : (من عند الباب) ما أعجب ضحكك! ضحكة من لحم. ضحكة مثل بركة دم! هل تحس بأن حالتك أحسن؟
- السيدة باليكة : (خلفه) أنا، يا ابنتي! كم تثيرين فينا القلق عليك. (في الغرفة المجاورة يعزف «فتاة بيرو»)
- باليكة : (يدخل مسرعا وقد خف سكره) اجلسوا! (يعيد إسدال الستائر، يسمع صوت حديد). القمر الأحمر أمامكم، والبنادق من ورائكم في حي الصحافة. لا بد من الاعتماد عليكم. (يعيد إشعال كل الشموع) اجلسوا!
- السيدة باليكة : كم وجهك مقطب! عاد الارتعاد إلى فرائصي. يا جارسون! يا جارسون!
- باليكة : أين مورك؟
- بابوش : فريدرش مورك يرقص رقصة بوسطن.
- باليكة : (برقة) اعمل على إجلاسه. فحين يكون جالسا يكون نصف مملوك لنا. وإذا جلس، لم يعد هناك مجال للعبارات الطنّانة! (بصوت عال) اجلسوا جميعا! صمت! يا أماليا،



اضبطي نفسك! (مخاطبا كراجلر) بحق الله إلا جلست أنت أيضا .

السيدة باليکه : (تأخذ زجاجة من شراب الكيرش كانت على صينية الجارسون) شيئا من الكيرش، وإلا متّ (تفلح مع ذلك في الوصول إلى المائدة ومعها زجاجتها. وقد جلس كل من السيدة باليکه، باليکه، وأنا. وبابوش دار حول المائدة لإجلاسهم. والآن أمسك كراجلر، وكان قد بقي واقفا لا يتحرك، أمسكه من كتفيه وأرغمه على الجلوس على كرسي)

بابوش : اجلس، فأنت غير ثابت على قدميك! أتريد قليلا من الكيرش؟ من أين لك هذه الطريقة في الضحك؟ (كراجلر ينهض. بابوش يرغمه على الجلوس. يبقى جالسا)

باليکه : يا أندرياس كراجلر، ماذا تريد؟

السيدة باليکه : يا سيد كراجلر! إمبراطورنا قال: يجب أن يعرف المرء كيف يتألم من دون أن يشكو!

أنا : ابق جالسا .

باليکه : أنت، اسكتي. دعيه يتكلم. ماذا تريد؟

بابوش : (يقف) ربما تريد جرعة من الكيرش؟ تكلم!

أنا : فُكّر جيدا، يا أندريه! لا تقل شيئا قبل أن تفكر!

السيدة باليکه : آه! أتريدين إذن موتي! أمسكي عليك لسانك. أنت لا تفهمين شيئا في أي شيء.

كراجلر : (يريد أن يقف، لكن بابوش يمسكه جالسا على كرسيه. بجهد كبير) لو سألتمونني، فليس من السهل الجواب. ولا أريد أن أشرب كيرش. الأمر مهم جدا .

باليکه : دعك من هذه الترهات! قل ما بدا لك. وبعد ذلك، أقذف بك إلى الخارج.

أنا : لا، لا .



- بابوش : يجب عليك أن تشرب. أؤكد لك. أن ريقك جاف. صدقتي.
سيتحسن حالك، بعد أن تشرب!
(في هذه اللحظة يتقدم فريدرش مورك وهو يرقص مع
ماريّا، المومس)
السيدة باليكة : مورك!
بابوش : هناك قواعد حتى بالنسبة إلى العبقري. اجلس.
باليكة : برافو يا فرتز Fritz! بيّن لهذا الشخص من هو الرجل.
فرتز لا يرتعد. فرتز يرقّه عن نفسه. (يصفق)
مورك : (بطلعة حزينة، لقد شرب. يترك ماريّا واقفة، ويقترّب من
المائدة) ألم تنته بعدُ هذه المهزلة القذرة؟
باليكة : (يجره على كرسي) اسكت!
بابوش : استمر يا كراجلر! لا تتأثر بهذا.
كراجلر : إن له أذنين ضامرتين.
أنا : لقد كان مراسلة!
مورك : في رأسه بيضة.
كراجلر : فليذهب!
مورك : وقد ضربوه على جمجمته.
كراجلر : يجب عليّ أن أحتاط في الكلام.
مورك : وهذا ما يجعله الآن في رأسه بيضة مخفوقة.
كراجلر : صحيح! لقد ضربوني على جمجمتي. وكنت غائبا عن هنا
طوال أربع سنوات. ولم أكن أستطيع الكتابة. ولم تكن في
مخيّ بيضة. (صمت) كان ذلك منذ أربع سنوات، وعليّ أن
أحتاط تماما. وأنت لم تتعرفيني بعد، ولاتزالين تترددتين
ولا تشعرين بذلك بعد. لكني أتكلم كثيرا.
السيدة باليكة : مخّه تصلّب تماما.
(تهز رأسها)



- باليكه : تريد أن تقول إن حياتك لم تكن بالميسورة؟ لقد حاربت من أجل الإمبراطور والرئيس Reich؟ متأسف من أجلك. هل تريد شيئاً؟
- السيدة باليكه : والإمبراطور قال: يجب أن يكون المرء قويا في الألم. اشرب جرعة، خذ!
- (تدفع الكيرش إليه)
- باليكه : (وهو يشرب، محاولاً إقناعه) لقد صمدت أمام نار المدافع، أليس كذلك؟ كالصخر؟ هذا عظيم. جيشنا صنع المعجزات. وقد واجه الموت ببطولة، والابتسام على الشفاه. اشرب! ماذا تريد؟
- (يقدم إليه علبة السيجار)
- أنا : أندريه! ألم تلبس بزة رسمية أخرى؟ ألاتزال تلبس الأزرق، ذلك الذي كان عندك قديماً؟ لم يعد أحد يلبسه بعد!
- السيدة باليكه : النساء كثيرات! يا جارسون! هات كيرشا آخر!
- (تقدم إلى كراجلر من الكيرش)
- باليكه : ونحن هنا أيضاً لم نبق متعطلين لا نفعل شيئاً. إذن، ماذا تريد؟ ليس في جيبك مليم؟ أنت في الشارع؟ الوطن ألجأك إلى الغناء في الأفنية بأرغن الشحاذين؟ لا. هذه أمور يجب ألا تحدث. ماذا تريد؟
- السيدة باليكه : لا تخف، لن تعزف بأرغن الشحاذين في الأفنية.
- أنا : في الليل تهزم الريح، والبحر عال، مرحى!
- كراجلر : (وقد نهض) لما كنت أشعر جيداً بأنني ليس لي أي حق هاهنا، فأني أرجوك، من أعمق أعماق قلبي، أن ترحلي معي، بجانبي.
- باليكه : ما معنى هذه الشرثرة؟ ماذا يقول؟ من أعمق أعماق قلبي! بجانبي! ما هذه العبارات؟
- (الآخرون يضحكون)



- كراجلر : لأنه ليس من حق أحد في العالم... ولأنني لا أستطيع أن أعيش من دونك... من أعمق أعماق قلبي.
(قهقهة كبيرة عالية)
- مورك : وقد وضع قدمه على المائدة. بلهجة باردة، وشريرة، وهو سكران) غَسِلْ غَسْلًا. التَّقَط. والطين في فمه. انظر إذن إلى حذائي! قديما كانت عندي نعال مثل نعالك! اذهب إذن واشترِ مثل حذائي! وعُدْ بعد ذلك! أتعرف من أنت؟
- ماريا : (بسرعة، فجأة) هل كنت في الجبهة؟
الجارسون : هل كنت في الجبهة؟
- مورك : وأنت، أغلق فوهتك! (مخاطبا كراجلر) لقد سحبت نمرة خاسرة، لقد مررت تحت الأسطوانة؟ لست الوحيد في هذا، فالكثيرون مروا بالشيء نفسه. حسن! لسنا نحن الذين حركنا الماكينة. لم يعد لك وجه؟ هل تريد أن يُدفع لك ثمن وجه؟ هل نلصق ثلاثة على جلدك؟ أمن أجلنا انحدرت هذا المنحدر؟ أتريد أن يقال لك من أنت؟
- بابوش : شيئاً من الهدوء، هيا.
الجارسون : (وهو يتقدم) هل كنت في الجبهة؟
- مورك : لا. أنا من أولئك المكلفين بدفع ثمن مغامراتك. الماكينة فسدت.
بابوش : دعوكم من هذه الحكايات! فهذا شيء يبعث على الضيق. لأنك على كل حال كسبت أموالاً. أليس كذلك؟ دعك إذن من حذائك.
- باليكه : ومع هذا فإن هذا هو المهم. هنا مربط الفرس. ليست هذه حكايات. هذه هي الواقعية السياسية. وهذا ما نفتقر إليه، خصوصاً في ألمانيا. المسألة غاية في البساطة. هل عندك الوسائل لإطعام زوجة؟ أوليس عندك غير كفيك المنفختين الملتصقتي الأصابع؟



- السيدة باليكة : سامعة يا أنا؟ ليس عنده شَرُوى نقيير.
- مورك : أنا مستعد لأن أتزوج أمه، لو كان عنده شيء. (يقفز) إنه مجرد محتال على الزواج، مبتذل.
- الجارسون : (مخاطبا كراجلر) قل شيئًا! تكلم؟
- كراجلر : (وقف، يوجه الكلام إلى أنا وهو يرتعد) لا أدري ما يجب عليّ أن أقوله. حينما لم يكن عندنا غير جلدنا الذي يغطي عظامنا، ومن أجل أن نقدر على الاستمرار في تكسير الحصى على الطريق كنا نعبّ من الكحول عبا. كثيرا ما كان يحدث ألا يكون عندنا من وسيلة غير أن نتطلع إلى السماء، في المساء، لكن هذا مهم جدا، لأننا في أبريل بقينا معا، راقدين في الأدغال. كنت أقول هذا للزملاء. لكنهم كانوا يتساقطون كالذباب.
- أنا : كالخيول، أليس كذلك؟
- كراجلر : لأن الجو كان حارا جدا، ولم نتوقف عن الشراب. لكن هل لي أن أحدثك عن السماء في المساء؟ لم تكن تلك نيتي، ولا أدري...
- أنا : ألم تكف عن التفكير فيّ؟
- السيدة باليكة : أتسمعيه؟ إنه يتكلم كالطفل! المرء حين يسمعه يخجل له.
- مورك : ألا تستطيع أن تبيعني حذاءك؟ من أجل المتحف الحربي. أنا مستعد لأن أدفع فيه أربعين ماركا.
- بابوش : استمر يا كراجلر. هذا ما ينبغي أن يقال.
- كراجلر : ولم يكن عندنا قمصان. كنا في أسوأ حال، صدقيني. أعتقدين أن أسوأ شيء ألا يكون عندنا قمصان؟
- أنا : أندريه! نحن نصغي إليك .
- مورك : إذن أنا أعرض عليك ستين ماركا. بع!



- كراجلر : نعم، الآن أنت تخجلين لأجلي، أليس كذلك؟ لأنهم يجلسون هناك على طول الحائط كما في السيرك حين يستولي الفرع على الفيل إلى درجة أنه يبول على الأرض. ومع ذلك فإنهم لا يفقهون شيئاً.
- مورك : ثمانين ماركا.
- كراجلر : ومع ذلك فلست قرصانا. ماذا يهمني من هذا القمر الأحمر؟ لا أستطيع أن أفتح عيني، هذا كل ما في الأمر. أنا كتلة من اللحم، وألبس قميصا نظيفا. ها أنتم أولاء ترون أنني لست شبعا.
- مورك : (يقفز) إذن مائة مارك.
- ماريا : يجب عليك أن تخجل حتى أعماق نفسك.
- مورك : وهذا الوغد لا يريد أن يتخلى لي عن حذائه مقابل مائة مارك!
- كراجلر : أنا، هناك شيء يتكلم. أي صوت هذا؟
- مورك : أصابتك ضربة شمس! هل أنت قادر على الخروج وحدك؟
- كراجلر : يا أنا، الصوت يقول إنه لا حق لنا في سحقه.
- مورك : هل هو وجهك حقا الذي نراه الآن؟
- كراجلر : يا أنا، ومع ذلك فإن الله الحكيم هو الذي خلقه.
- مورك : هل أنت حقا المائل أمامنا هنا؟ ماذا تريد بالضبط؟ لكنك لست إلا جثة! متعفنة بالفعل! (يسد أنفه) أليس عندك أي إحساس بالنظافة؟ أتريد أن يضعوك في هيكل، لأنك تشربت شمس أفريقيا؟ أنا، أنا اشتغلت! تعبت حتى امتلأت أحذيتي بالدم! انظر إلى يدي! أنت تحظى بالعطف العام، لأنك حاربت وضربت. لكن لست أنا الذي ضربتك. أنت بطل، لكني أنا شغال. وهي، هي خطيبتي.



- بابوش : ولكن يا مورك، حتى وأنت جالس، أنت شغّال! يا كراجلر، كان تاريخ العالم سيتغير لو ظلت الإنسانية جالسة على عجزيتها.
- كراجلر : لا أستطيع أن أقرأ شيئاً على وجهه، كأنه جدار الكنيف: مملوء بالكتابات الفاحشة! والجدار لا يملك لهذا دفعا. يا أننا، هل تحبين هذا الشخص؟ هل تحبينه؟ (أنا تقهقه ضحكا وتشرب)
- بابوش : هذا هو صد للهجوم بواسطة قلبك، يا كراجلر.
- كراجلر : لا، بل هذا انتزاع لزوائده بضربة من الأسنان، لأنه يثير في نفسي أشد التقرز. أتحبينه؟ هذا الوجه الأخضر مثل البندقية غير الناضجة؟ أمن أجل هذا الشخص تريدين طردي؟ إنه يلبس بذلة من الصوف الإنجليزي المحشوة عند الكتفين والصدر، وفي حذائه دم. وأنا ليس عندي غير بذلتي العتيقة، التي أكلتها العثة. قولي إنك لا تستطيعين أن تتزوجيني بسبب بذلتي، قولي هذا إذن. أنا أفضل هذا!
- بابوش : اجلس إذن، باسم الله! الآن بدأت الرواية.
- ماريا : (تصفق) هو هكذا تماما! وقد رقص معي وهأنادي أشعر بالخزي منه، ومن كونه قد حك فخذه ببطني!
- مورك : أنت، لا دخل لك! ولا تحاولي أن تخدعي عالمك! (مخاطبا كراجلر) ألا توجد معك سكين في حذائك لتقطع بها رقبتني، لأن الشمس في أفريقيها قد ضربتك على رأسك، وأحدثت أوراما في مخك؟ هيا، أخرج سكينتك، لقد ضقت ذرعا، هيا اقطعها!
- السيدة باليكة : أنا، كيف تستطيعين سماع أشياء مثل هذه!
- باليكة : يا جارسون! هات أربع كؤوس من الكيرش! الآن يستوي عندي كل شيء!



- مورك : حذار ألا تخرج السكين! اضبط نفسك، ولا تحاول أن تمثل دور البطل. فهذا يؤدي بك هاهنا إلى السجن.
- ماريا : هل كنت في الجبهة؟
- مورك : (خارجا عن طوره، يرمي بكأس في اتجاهها مخاطبا كراجلر) لماذا لم تكن موجودا؟
- كراجلر : الآن وصلت.
- مورك : ومن الذي دعاك إلى المجيء؟
- كراجلر : الآن أنا هنا موجود.
- مورك : وغدا!
- أنا : أنت، الأولى بك أن تسكت.
- (كراجلر يدخل رأسه بين كتفيه)
- مورك : قاطع طريق!
- كراجلر : (بصوت خفيض) لص!
- مورك : شبح!
- كراجلر : حذار!
- مورك : وأنت، حذار من سكينك. هذا يدغدغك، أليس كذلك؟ شبح! شبح! شبح!
- ماريا : الوغد هو أنت! هو أنت!
- كراجلر : أنا! أنا! ماذا أصنع؟ أمر وأنا أترنح على بحر من الجثث فلا يبتلعني. وأرحل إلى الجنوب في عربات المواشي السوداء، فلا يحدث لي شيء يحترق في جحيم النيران هذه، ونار أشد حرارة تشتعل في نفسي. رجل يصير مجنوناً تحت لسعة الشمس، وليس هو أنا. اثنان آخران يسقطان في جحر ماء، وأنا أستمر في النوم أطلق النار على الزوج. أكل من العشب. أنا شبح. (في هذه اللحظة.. يندفع



الجارسون إلى النافذة، ويزيح الستائر. وتتوقف الموسيقى فجأة. وتُسمع صيحات ونداءات: «إنهم قادمون». صمت. الجارسون يطفئ الشموع. وبعد ذلك، في الخارج، يسمع صوت نشيد «الدولية»

رجل : (يدخل من الباب الذي على يسار) أيها السادة، نطلب إليكم أن تحتفظوا بريابطة الجأش. والرجا منكم عدم الخروج من المحل. اندلعت اضطرابات معركة في حي الصحافة، الموقف غامض.

باليكه : (يجلس بثقل): الأسبارتاكيون! أصحابك، يا سيد أندرياس كراجلر! أصحابك المشبوهون! رفاقك الذين يصيحون في حي الصحافة، وينشرون رائحة الحريق والجريمة! أنتم دواب مفترسة! (صمت) دواب! دواب! لماذا أنتم دواب؟ لأنكم تأكلون اللحم الطازج! لا بد من إبادتكم!

الجارسون : بواسطتكم أنتم يا من سمنتم!

مورك : أين سكينك؟ اسحبها إذن.

ماريا والجارسون : (يذهبان نحوه) أنت اسكت؟

الجارسون : هذا ليس كأننا إنسانا، بل دابة، هذا هو..

مورك : أسدلوا الستائر! أشباح!

الجارسون : لعلنا نحن الذين ينبغي إلصاقهم بالجدار؟ هذا الجدار الذي بنيناه بأيدينا، والذي في حماه تملأون كروشكم بالكيرش!

كراجلر : هذه هي يدي وهذه عروقي. افتحوها إذا مت. فسترون أنها ستمى.

مورك : شبح! شبح! من أنت بالضبط! أعلي أن أتأزل لك عن مكاني

لأن لك بشرة أفريقي؟ ولأنك تنبح في حي الصحافة؟ وما

شأني أنا إذا كنت أنت قد كنت في أفريقيا؟ ما شأنني، إذا

كنت أنا لم أكن هناك؟



- الجارسون : لا بد أن يسترد زوجته! هذا ليس من الإنسانية في شيء!
- السيدة باليكة : (أمام أنا وقد خرجت عن طورها) لكنهم جميعا مصابون بأمراض! مصابون بداء ما! الزهري! الزهري! كلهم مصابون بداء الزهري.
- بابوش : (يضرب بعصاه على المائدة) لم يكن ناقصا غير هذا!
- السيدة باليكة : أتريد أن تدع بنتي في سلام؟! أتريد أن تدع بنتي في سلام؟!
- مورك : يا ضبع! يا سافل!
- أنا : يا أندريه، لا أريد! أنت تقتلني.
- ماريا : السافل هو أنت!
- الجارسون : هذا ليس من الإنسانية في شيء! لا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق.
- السيدة باليكة : اخرس! يا خادم! يا صعلوك! أنا طلبت كيرشا، سامع! أنا أطرديك!
- الجارسون : هذه مسألة إنسانية. وهي تهمنا جميعا. لا بد أن زوجته...
- كراجلر : هيّا، كفاني الآن! ما الشيء الإنساني؟ وماذا تريد هذه المرأة المخمورة؟ لقد بقيت وحدي، وأنا أريد زوجتي. هذا الملاك المتباكي، ماذا يريد؟ أتريدين أن تبيعي بالمزاد العلني بطن ابنتك كما يباع رطل من البن؟ لو حاولتم أن تنتزعوا مني أنا بكلاليب من الحديد، فلن تفلحوا إلا في تمزيق قلبها.
- الجارسون : أنتم تمزقونها.
- ماريا : نعم، مثل رطل من البن.
- باليكة : وليس معك ولا مليم من النقود؟



- بابوش : أنتم تضربون أسنانه بقبضات أيديكم، وهو يلفظها لكم في وجوهكم.
- مورك : (مخاطبا أنا) لماذا سحنتك تشبه اللين المستفرغ؟ وتدعين عينيك يلهمهما هذا الشخص؟ وجهك يبدو وكأنك تبولت في الشوك!
- باليكه : أهكذا تتكلم عن خطيبتك؟
- مورك : خطيبتني! هل هي خطيبتني؟ هل هي خطيبتني حقا؟ ألم تتخل عني فعلا؟ ها هو ذا قد عاد. هل تحبينه؟ هل يهكم هذا؟ هل ترغبين في الإحساس بأفخاذ أفريقية؟ أليس الأمر هكذا؟
- بابوش : لو كنت جالسا، ما نطقت بهذا الكلام.
- أنا : (وقد انجذبت إلى كراجلر أكثر فأكثر، تنظر إلى مورك باشمئزاز. بصوت خفيض تقول) لكنك مخمور!
- مورك : (يجذبها بشدة إليه) أريني وجهك! أريني أسنانك! مومس!
- كراجلر : (يمسك بمورك، ويرفعه عن الأرض. أزيز الكؤوس على المائدة. ماريا لا تكف عن التصفيق بيديها) لست مستقرا على قدميك، هيا اخرج، امش من هنا! لقد أفرطت في الشرب. أنت لا تمسك نفسك.
- (يدفعه)
- ماريا : ناوله، ناوله!
- كراجلر : دعك منه! يا أنا، تعالني بقربي! الآن أريدك لي. لقد أراد أن يشتري حذائي، ولكنني سأخلع الجاكتة. الطلّ الثلجي قد نفذ في جلدي حتى صار جلدي أحمر، وتحت الشمس الزاهية ينفجر. وخرّجي فارغ، وليس معي مليم. أنا أريدك، وأنا لست جميلا. وكان عليّ حتى الآن أن أتمالك نفسي، ولكنني سأشرب الآن. الآن. (يشرب) وبعد هذا نرحل. تعالني!



- مورك : وقد انهار تماما، وكتفاه التوتا، يقول لكراجلر بصوت شبه هادئ) لا تشرب! أنت لا تعرف كل شيء! انس هذا كله. كنت مخمورا، صحيح هذا. لكنك لا تعرف كل شيء، يا أنا، (وهو في صحو تام) أخبريه! ماذا تريدين أن تفعلي؟ وأنت في هذه الحال؟
- كراجلر : (لا يستمع إليه) لا تخافي يا أنا! (وفي يده كأس من الكيرش) لن يصيبك شيء، لا تخافي! سنتزوج. وسأستطيع التخلص من المأزق.
- الجارسون : برافو!
السيدة باليكة : أوباش!
- كراجلر : من لديه ضمير مفرط ينتهي بأن يصبح ديكا روميا. ومن يصير صبيرا مفرطا يدع الآخرين يأكلون الصوف الذي على ظهره. هذا قانون الغابة.
- أنا : (تندفع فجأة وتسقط على المائدة) يا أندريه، ساعدني! النجدة يا أندريه.
- كراجلر : (ينظر إليها مندهشا) ماذا جرى؟
- أنا : أندريه، لا أدري، أنا بأئسة جدا يا أندريه! لا أستطيع أن أقول لك شيئا. لا تلق علي أسئلة. (ترفع عينيها) لا أستطيع أن أكون لك. الله يعلم ذلك. (تفلت الكأس من يد كراجلر). وأتضرع إليك أيضا أن تذهب يا أندريه!
- (صمت. في الغرفة المجاورة يُسمع صوت الرجل الذي عرفناه منذ قليل، وهو يقول: «ماذا يجري؟» الجارسون، ملقمتا ناحية الباب الذي عن يسار، وهو يتكلم إلى الخارج، يجيب عليه)
- الجارسون : العاشق القادم من أفريقيا، والذي جلده مثل جلد التمساح، انتظر أربع سنونات، والخطيبة لاتزال الزنيقة في يدها.



لكن العاشق الآخر، وهو رجل يلبس حذاء بأزرار، لا يريد أن يتخلى عنها، والخطيبة، وهي تمسك دائما بالزنيقة في يدها، لا تدري إلى أي ناحية تميل.

صوت : هذا كل ما في الأمر؟

الجارسون : والثورة المشبوبة في حي الصحافة تمارس دورها، وهناك سر تكتمه الخطيبة، سر لم يطلع عليه العاشق القادم من أفريقيا، الذي انتظر أربع سنوات. المسألة لاتزال غير معلومة تماما.

الصوت : ألم يتخذ قرار؟

الجارسون : لا ندري أبدا إلى أي شيء ستنتهي هذه الحكاية.

باليكه : يا جارسون! هؤلاء الأوباش؟ ألا نستطيع التخلص من هذا البق، واحتساء شرابنا بهدوء؟

(مخاطبا كراجلر) هل سمعت الآن؟ سعيد؟ اخرس إذن! كانت الشمس محرقة جدا؟ كانت أفريقيا هي السبب. هذا مكتوب في كتاب الجغرافيا. وكنت بطلا؟ سيكتب ذلك في سجل التاريخ. لكن في السجل الكبير لا شيء. ولهذا فإن البطل سيعود إلى أفريقيا. هذا كل ما في الأمر. يا جارسون! أخرج هذا الشخص!

(الجارسون يمسك بكراجلر ويجره. كراجلر يأخذ في السير بتثاقل وببطء. وعن يساره ماريا المومس، تتبعه)

باليكه : أي مهزلة قرود هذه! (يأخذ في الصياح وراء كراجلر لكسر الصمت) لقد أردت شراء لحم؟ ليس هاهنا سوق الدواب! احزم قمرق الأحمر واذهب لتعزف لحننا صغيرا لشمبانزياتك. إنسي أهزأ بنخيلك، أنا! ثم إنك لست غير شخصية في رواية. أبرزز إذن شهادة ميلادك؟ (كراجلر خرج)



- السيدة باليكة : كُفَّ عن الصياح! لكن ماذا بك هكذا، أتريد أن تشرب تحت المائدة مع الكيرش(*)؟
- باليكة : لكن أي سيماء عليه! كأنه ورق ممضوغ!
- السيدة باليكة : لا، لكن انظر إلى هذه البنت المسكينة! ماذا جرى لك إذن؟ آه، كفى الآن!
- (أنا جالسة إلى المائدة صامتة، شبه غائصة بين الستائر. وأمامها كأس)
- مورك : (يذهب ناحيتها، ويتشمم الكأس) فلفل، وأيم الله! (تنتزع منه الكأس بازدياء) آه، حسن، أنا فاهم. ماذا تريدان إذن أن تفعلين بهذا الفلفل؟ ألا تريدان أيضا حمام مجلس ساخن؟ أنت يجب تعليمك كيف تسيرين سيرا مستقيما. أنت تثيرين الاشمئزاز في نفسي.
- (يبيصق، ويرمي بالكأس على الأرض. أنا تبتسم. يُسمع إطلاق مدافع المترليوز)
- بابوش : (عند النافذة) لقد بدأ! الجماهير ثارت؛ الاسبارتاكيون ثاروا. الجريمة تستمر. (الكل مُسَمَّرُون، وآذانهم مرهفة)

* * *

(*) أي هل ستشرب حتى تتمرغ تحت المائدة.



الفصل الثالث

(ركب الفالكيري)

شارع في حي الصحافة

(سور من القرميد الأحمر لشكنة، يعترض المسرح وينزل من اليسار ناحية العمق إلى اليمين. من ورائه تشاهد المدينة في الضوء المتحلل للنجوم. الوقت وقت الليل. ريح)

مارياً : إلى أين تعدو إذن؟

كراجلر : (بدون طاقة، والياقة واقفة، ويداه في جيبيه، يدخل المسرح وهو يصفر) ما هذا الشيء الأحمر؟

مارياً : لا تجر هكذا .

كراجلر : ألا تستطيعين متابعتي؟

ماريا : هل أنت خائف من أن يطاردوك؟

كراجلر : أنت تريدين كسب نقود؟ أين غرفتك؟

ماريا : كلامك هذا ليس لائقاً .

كراجلر : نعم .

(يريد أن يواصل مسيرته)

ماريا : أنا مصابة في رئتي .

كراجلر : لست ملزمة بمتابعتي!

ماريا : ولكن هذه ...

كراجلر : أف! سيمحى هذا! سيغسل! سيشطب!

ماريا : وماذا أنت صانع الآن حتى باكر صباحاً؟

كراجلر : توجد سكاكين .

ماريا : يا يسوع! يا مريم!



- كراجلر : هدئي من روعك: لا أحب أن أسمعك تصيحين هكذا، يوجد أيضا كحول. ماذا تفضلين؟ يمكنني محاولة الضحك، إذا كان هذا يسرك. قل لي هل ألقى بك في عرض الشارع قبل تناولك الأول؟ أتدخين؟ (يضحك) هيا بنا بعيدا!
- ماريا : الرصاص يطلق في حي الصحافة.
- كراجلر : ربما كانوا في حاجة إلينا في الناحية.
- (يخرجان. ريح. يدخل رجلان يسيران في الاتجاه نفسه)
- الرجل الأول : أعتقد أن الأحسن أن نفعله هاهنا.
- الثاني : من يدري هل هناك يمكن أيضا ...
- (يبولان على الجدار)
- الأول : المدفع.
- الثاني : يا الله! في شارع فريدرش.
- الأول : هناك حيث كنت تبيع خمورا مغشوشة.
- الثاني : هذا القمر يكفي كي يجعلك مجنونا!
- الأول : خصوصا حين يبيع المرء في السوق السوداء دخانا متعفنا!
- الثاني : نعم، لقد تاجرتُ في دخان متعفن، لكنك كدّست أناسا في جحور فتران.
- الأول : فيم يفيدك هذا الكلام؟
- الثاني : لن أشنق وحدي!
- الأول : أتعرف ماذا صنع البلشفيك؟ أرني يديك! ليس فيها انتفاخات!
- بف، باف، (الأخر ينظر في يديه) بف، باف! إنهم يستشعرونه!
- الثاني : يا إلهي!



- الأول : سيكون جميلاً أن تعود إلى بيتك وعلى رأسك قبعة أسطوانية!
- الثاني : وأنت أيضاً تلبس القبعة نفسها .
- الأول : نعم، ولكنها منبجعة يا عزيزي .
- الثاني : أستطيع أنا أيضاً أن أبعج قبعتي .
- الأول : ياقتك الصلبة أسوأ من حبل مغسول بالصابون .
- الثاني : إنها تصير طرية من كثرة عرقي، ولكنك تلبس حذاء بأزرار!
- الأول : وكركشك!
- الثاني : وصوتك!
- الأول : ونظرتك، ومشيتك، وطريقتك في عرض نفسك!
- الثاني : نعم، كل هذا سيسبب شنقي في أول عمود نور، ولكنك أنت عليك سيما المثقف!
- الأول : عفواً، أذني على شكل القنبيط، وشحمة أذني خرقته رصاصة، يا سيدي العزيز .
- الثاني : يا لله!
- (كلاهما يذهب . ريح . ركب الفالكيري*) يدخل من ناحية اليسار : وأنا يبدو أنها تهرب . وبالقرب منها مانكه Manke الجارسون في بار بيكادلي، وهو ملتف بمعطف المساء، وسلوكه سلوك مخمور . وخلفهما يأتي بابوش وهو يجر مورك السكران كل السكر، ووجهه شاحب، وملامحه منتفخة).

(* Walkyrie: كلمة شمالية الأصل، من الكلمتين: فال Wal = ساحة المعركة + كيريا Kyria = التي تختار . وتطلق على ثلاث الإلهات (أو فتيات الإلهات) يفصلن في أمر المحاربين ويحددن من ينبغي أن يموتوا في ساحة القتال، ويسقنهم إلى القهلا، وهي قاعة الإله أودين التي ترسل إليها أرواح الأبطال الذين قتلوا في ساحة الحرب.



- مانكه : لا تترددي! لا تفكري! لقد رحل! حملته الريح! ربما ابتلعه
حي الصحافة. الرصاص يطلق في كل مكان، وفي ناحية
حي الصحافة يحدث كل شيء، خصوصا في هذه الليلة،
وليس من المستحيل أن يردى قتيلا بالرصاص. (يحاول
إقناع أنا، على طريقة السكارى) حين يطلق الرصاص،
يمكن المرء النجاة، ويمكنه أيضا ألا ينجو. على كل حال،
بعد ساعة، لن يجده أحد. سيدوب مثل الورق في الماء. لقد
أصابه القمر. ويتبع أي ناعق. هيا! أنقذيه، وهو الذي كان،
لا، وهو الذي لا يزال عاشقك وحببيك.
- بابوش : (يتوقف أمام أنا) قفي، كل ركب الفالكيري! إلى أين أنت
ذاهبة؟ الجو بارد، والريح تعصف، وهو قد استقر في حانة
من الحانات. (مقلدا الجارسون) هذا الذي انتظر أربع
سنوات، لا أحد الآن يستطيع أن يعثر عليه بعد!
- مورك : لا أحد، لا أحد أبدا.
(يجلس على حجر)
- بابوش : انظر إلى هذا!
- مانكه : وماذا يهمني منه! قدم إليه معطفا! لكن لا تضيع الوقت.
وهذا الذي انتظر أربع سنوات، ها هو ذا الآن يعدو أسرع
من هذه السحب! لقد اختفى أسرع من هذه الريح.
- مورك : (بعدم اكثرث) كان في «البونش»(*) لون. ثم إن كل شيء كان
جاهزا! جهاز العرس كامل، والشقة تم استئجارها. تعال
بالقرب مني، يا باب(**)!

(*) شراب مؤلف عادة من الكحول وعصير الليمون والتوابل والشاي والماء.
(**) ترخيم لاسم بابوش.



- مانكه : (مخاطبياً أنا) لماذا تبقين واقفة هكذا مثل زوجة لوط؟ هنا ليست عمورة(*)! هل يعجبك هذا الشخص المخمور البائس؟ فات الأوان لعمل شيء آخر. أهو بسبب جهاز العرس؟ أهذا سيمنع السحب من الجري؟
- بابوش : لكن، قل، هل هذا من شأنك؟ هل السحب من شأنك؟ ما أنت إلا مجرد جارسون في مقهى، أليس كذلك؟
- مانكه : كيف يهمني هذا؟ في كل مرة يشهد امرؤ عملاً خسيساً من دون أن يتحرك، فإن النجوم تخرج عن مسالكها. (يمسك برقبته بين يديه) وأنا أيضاً أطاحت بي هذه الدوامة. إنها تمسك بمخنقي! يجب ألا يكون المرء خسيساً، حين يشاهد إنساناً يفرق.
- بابوش : ماذا تقول؟ يفرق؟ من الذي يتحدث عن الغريق؟ أنا أقول لك: سيُسمع صراخ وخوار ثيران، في حي الصحافة، من الآن حتى الصباح. وسيصبح الأمر في أيدي الغوغاء الذين يعتقدون أن الوقت قد حان لتسوية حسابات قديمة!
- مورك : وقد نهض، ينوح. مخاطباً أنا) لماذا تجريني هكذا في الريح؟ أرغب في القيء، لماذا ترحلين؟ ماذا جرى؟ أنا في حاجة إليك. ليس هذا من أجل جهاز العرس.
- أنا : لا أستطيع.
- مورك : لا أستطيع أن أمسك نفسي على ساقي.
- مانكه : إذن اجلس! لست الوحيد في هذا. هذا يُعدى. سيصاب الأب بنوبة قلبية، والأم، هذه الكانجورو المخمورة، لا تكف عن البكاء. لكن البنات تنزل إلى الأحياء الوضيعة، بحثاً عن حبيبها الذي انتظر أربع سنوات.

(*) قرية النبي لوط.



- أنا : لا أستطيع .
- مورك : جهاز عرسك على التمام . والأثاث موجود في الشقة .
- مانكه : والبياضات مطوية ، ولكن العروس لا تحضر .
- أنا : جهاز عرسى اشتري ، وقد رتبته في الصوان ، قطعة بعد قطعة ، ولكنى لا أحتاج إليه الآن . والشقة استؤجرت ، والستائر وضعت . ولا تنقص حتى سجادة واحدة . لكن وصل هذا الذي لا يملك غير بذلة مزقتها العثة ولا يلبس حذاء .
- مانكه : وحيّ الصحافة ابتلعه ! والحانة تترصده ! الليل ! البؤس ! الغوغاء ! أنقذيه !
- بابوش : وكل هذا يؤلف مسرحية : ملاك المراقص الشعبية .
- مانكه : نعم ، الملاك .
- مورك : وتريدى أن تذهبي إلى مدينة فريدرش ؟ لا شيء يمنعك ؟
- أنا : لا ، أرى مانعا .
- مورك : لا شيء ؟ ألا تريدى أن تفكري قليلا في «الشيء الآخر» ؟
- أنا : الحبل هو الذي شدني .
- مورك : وهو لا يحجزك ؟
- أنا : لقد انقطع الآن .
- مورك : ولا تكثرين لولدك ؟
- أنا : لا أكثر له .
- مورك : لأنه وصل من ليس له بذلة ؟
- أنا : لم أكن أعرفه قبل ذلك .
- مورك : لكنه لم يعد هو هو ! لم يكن ممكنا أن تكونى قد عرفته !



- أنا : لقد كان ماثلاً هناك كالحيوان في وسط دائرتك . ثم ضربتموه كما يضرب الحيوان!
- مورك : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز!
- أنا : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز!
- مورك : ثم مضى وتركك هناك .
- أنا : ومضى وتركني هناك .
- مورك : لقد انقضى أمره!
- أنا : لقد انقضى أمره!
- مورك : لقد رحل ...
- أنا : لكن في اللحظة نفسها التي رحل فيها، وانقضى أمره ...
- مورك : لم يحدث شيء، لم يحدث أي شيء .
- أنا : حدث وراءه دوامة وحركة نسيم خفيف، لكنه قوي جداً، أقوى من كل شيء . وحينئذ ذهبت أنا، والآن وصلت، وانقضى أمر كلينا معا هو وأنا . أين ذهب؟ الله وحده يعلم أين هو! العالم واسع، فأين عساه هو؟ (تتطلع في مانكه بهدوء وتقول له بلهجة خفيفة) ارجع إلى حانتيك، أشكرك، وأعدده إلى هناك! أما أنت يا بابوش، فتعال معي!
- (تخرج وهي مهرولة من ناحية اليمين)
- مورك : (باكيا) أين ذهبت؟
- بابوش : الآن، يا عزيزي، ركب الفالكيري، موجود في البحيرة .
- مانكه : اختفى الحبيب، لكن المحبوبة تطير إليه على أجنحة الحب . عرف البطل السقوط، لكن صعوده يتهيأ الآن .
- بابوش : لكن الحبيب سيلقي بالحبيبة في النهر وسيفضل السماء على النزول إلى العالم السفلي . آه! يا لك من رومانتيكي!



مانكه : لقد اختفت، وهرولت إلى حيِّ الصحافة. ولاتزال تُرى هناك، شبيهة بالشرع الأبيض، والفكرة الطاهرة، والمقطوعة الأخيرة من قصيدة، والبجعة الأنيقة وهي تتساب على الأمواج...

بابوش : وماذا سيحدث لهذا المرج المبتل بالكحول؟
مورك : سأبقى هاهنا. الجو بارد. فإن زادت البرودة، عادوا. أنت لا تفهم في هذا شيئاً، لأنك تجهل الباقي. دعهم يجروا. إنه لن يأخذ اثنتين! لقد ترك واحدة، وإن اثنتين لتجريان وراءه.

(يضحك)

بابوش : ها هي ذي، والله، تطير كالمقطوعة الأخيرة من قصيدة!
(يمضي في الاتجاه نفسه)

مانكه : (يصيح فيه) مقهى جلوب Glubb، في شارع الشوسيه! المومس التي كانت معه محلها المختار هو في مقهى جلوب! (يمد ذراعيه، بصوت فخم) الثورة تبتلعهم، فهل سيلتقون؟

* * *



الفصل الرابع

(ينبلج فجر)

حانة صغيرة

(جلوب، صاحب الحانة، يلبس ملابس بيضاء، ويغني شكوى الجندي القتيل، بمصاحبة الماندولين. لار laar ورجل أسمر سكران لا يتوقفان عن النظر إلى أصابعه. رجل قصير ربة، اسمه بولتروتتر Bulltrotter يقرأ الجريدة. مانكه الجارسون يشرب مع أوجستا، وهي مومس. الجميع يدخنون)

- بولتروتتر : أريد ماء حياة، ولا أريد جنديا قتيلا، وأريد أن أقرأ الجريدة، ومن أجل هذا لا بد لي من شرب ماء الحياة، وإلا فلن أفهم ما أقرأ، بحق الله!
- جلوب : (بصوت بارد لا معنى له) أأست راضيا هنا ؟
- بولتروتتر : نعم، لكن الآن توجد الثورة.
- جلوب : ما الفائدة؟ عندنا حثالة المجتمع سعداء، ولا زارس يغني.
- الرجل المخمور : الحثالة هي أنا، وأنت لا زارس.
- عامل : (يدخل ويذهب إلى الكونتوار) نهارك سعيد، يا كارل.
- جلوب : مستعجل؟
- العامل : الساعة الحادية عشرة، في ميدان السجن.
- جلوب : تروى أشياء كثيرة.
- العامل : فرقة الحرس تحتل منذ الساعة السادسة المحطة. وفي «إلى الأمام» كل شيء يسير سيرا حسنا. في يوم كهذا اليوم نفتقر إلى باول.
- (صمت)
- مانكه : هنا، عادة، لا يتحدثون عن باول.
- العامل : اليوم ليس يوما عاديا.
- (يخرج)



- مانكه : (يخاطب جلوب) وفي نوفمبر كانت الحال عادية؟ ما يفتقرون إليه هو قطعة من الخشب في اليد، وشعور يلصقها في الأصابع.
- جلوب : (بيرود) هل تريد شيئاً يا سيدي؟
- بولتروتر : الحيوية!
- جلوب : (يخلع سترته ويحل ياقته)
- جلوب : بناء على تعليمات الشرطة ممنوع الشرب بدون السترة.
- بولتروتر : رجعي!
- مانكه : حاول إذن أن تغني نشيد الدولية، بأربعة أصوات، مع التريمو! الحرية! وفي هذه اللحظة سيّد بأكامام نظيفة يكلف بتنظيف الكنيف، أليس كذلك؟
- جلوب : أنت تفسد الرخام: إنه من خشب.
- أوجستا : وذوو الأكامام البيضاء ليس عليهم إذن أن ينظفوا الكنيف؟
- بولتروتر : أنت، يا صغيرتي، سيلصقونك على الحائط.
- أوجستا : في هذه الحالة يرجى من ذوي الأكامام البيضاء أن يضعوا غطاء على مخارجهم
- مانكه : يا أوجستا، أنت مبتدلة.
- أوجستا : عليكم أن تشعروا بالخزي والعار، يا عصابة من خنازير. ما يلزم هو انتزاع أحشائكم، ومكانكم، يا من تلبسون أساور قميص، هو على عمود النور. يا آنسة، رخصي الأجرة، فقد خسرتنا الحرب! ما عليك إلا أن تمتنع عن الجنس إذا لم يكن معك نقود، وأن تمتنع عن خوض الحرب إذا لم تكن قادراً عليها. وأنت، ارفع رجلك من فوق المنضدة، حين يكون ثم سيدات! هل أنا ملزمة باستنشاق رائحة أقدامكم الكريهة، يا قليلي الأدب!



- جلوب : لكن أكمامه ليست بيضاء أبدا .
- الرجل المخمور : ما الذي نسمعه يتدحرج على الأسفلت؟
- مانكه : مدافع!
- الرجل المخمور : (ينظر إلى الآخرين بتهانف، وهو شاحب) ما هذا الذي يسمع هكذا وهو يتدحرج على الأسفلت؟
- (جلوب يسرع إلى النافذة ويفتحها دفعة واحدة. تسمع أصوات المدافع وهي تدرج في الشارع. الجميع يذهبون إلى النافذة)
- بولتروتر : هؤلاء هم الخنافس، فرقة الحرس!
- أوجستا : بحق العذراء المقدسة، إلى أين هم ذاهبون؟
- جلوب : إلى حي الصحافة، من غير شك. إنهم قراء!
- (يغلق النافذة)
- أوجستا : بحق العذراء المقدسة، من هناك عند الباب؟
- (كراجلر عند المدخل، يترنح كأنه سكران، ويضع قدما على قدم)
- مانكه : ها أنت بسبيل أن تبيض بيضة؟
- أوجستا : من أنت؟
- كراجلر : (بتهانف شرير) لا أحد .
- أوجستا : لكن العرق يتصبب على رقبتك! هل أنهكك الجري إلى هذا الحد؟
- الرجل المخمور : هل أنت مصاب بإسهال؟
- كراجلر : لا، ليس عندي إسهال .
- مانكه : (وقد ذهب إليه) إذن، أيّ جريمة ارتكبت، يا رجل، أنا أعرف هذا النوع من السحنات.



- ماريا : (تظهر خلفه) لم يرتكب جريمة. بل أنا التي دعوته، يا أوجستا. إنه لا يدري إلى أين يذهب. إنه عائد من أفريقيا! (مخاطبة كراجلر) اجلس (كراجلر يظل واقفا عند عتبة الباب)
- مانكه : أسير؟
- ماريا : نعم، ومفقود.
- أوجستا : ومفقود أيضا؟
- ماريا : وأسير. وفي تلك الأثناء اختطفوا منه خطيبته.
- أوجستا : إذن تعال هاهنا بالقرب من ماما. اجلس، يا مدفعي. (مخاطبة جلوب) خمس كاسات مزدوجة من الكيرش، يا كارل!
- (جلوب يملأ خمس كؤوس، ومانكه يصفها على الكرسي المستدير)
- جلوب : وقد خطفوا مني في الأسبوع الماضي دراجة. (كراجلر يتوجه ناحية الكرسي المستدير)
- أوجستا : حدثنا عن أفريقيا. (كراجلر لا يجيب، ولكنه يشرب)
- بولتروتر : تستطيعين الذهاب إليها. افرغي حقيبتك: صاحب المحل احمر.
- جلوب : أنا ماذا؟
- بولتروتر : احمر.
- مانكه : شيئا من الأدب، يا سيد، لا شيء هنا احمر، يا سيد.
- بولتروتر : حسن. أنا لم أقل شيئا.
- أوجستا : وماذا فعلت هناك؟



- كراجلر : (مخاطبنا ماريًا) أطلقت الرصاص على بطون الزوج،
وغطيت الطرق بالأحجار.
(هي تسعل) إذن دائماً رثاك؟
- أوجستا : وكم بقيت هناك؟
- كراجلر : (يخاطب دائماً ماريًا) سبعة وعشرين.
ماريا : شهرا.
- أوجستا : وقبل ذلك؟
- كراجلر : قبل ذلك؟ كنت في حجر مملوء بالطين.
بولتروتر : وماذا كنت تعمل فيه؟
- كراجلر : لأتعفن فيه؟
- جلوب : أجل، كان في مقدورك ألا تعمل شيئاً كما تشاء.
بولتروتر : وفي أفريقيا، كيف الفتيات؟
(كراجلر يسكت)
- أوجستا : لا تكن مبتذلاً هكذا.
بولتروتر : وحينما رجعت، لم تكن هي في البيت، أليس كذلك؟ لقد
كنت تظن أنها في الصباح ستأتي إلى الثكنة في انتظارك،
وسط الكلاب؟
- كراجلر : (مخاطبنا ماريًا) هل ألكمه لكمة على شدة؟
- جلوب : لا، ليس بعد. لكنك يمكنك أن تجعل الأوركسترا الميكانيكي
يعزف. هذا، نعم.
- كراجلر : (ينهض مترنحا، ويحيي التحية العسكرية) تحت أمرك.
(يشغل الأوركسترا الميكانيكي)
- بولتروتر : عاطفيات!
- أوجستا : ليس عنده شعور أكثر مما عند الجيفة، إنه في عداد
الموتى.



- جلوب : أجل، أجل، أجل. لقد أهين بعض الإهانة. لكن العشب سينمو على هذه الحكاية.
- بولتروتر : إذن، قل له، ألسنت أحمر؟ يا جلوب، ألم يجز الحديث عن ابن أخ؟
- جلوب : نعم، جرى الحديث عن هذا. ولكن ليس في هذا المقهى
- بولتروتر : لا، ليس في هذا المقهى. عند سيمنس.
- جلوب : ليس من وقت بعيد.
- بولتروتر : عند سيمنس، ليس من وقت بعيد. كان عاملا على آلة تشكيل، ولكن ليس لمدة طويلة. كان عاملا على آلة تشكيل حتى شهر نوفمبر، أليس كذلك؟
- الرجل المخمور : (الذي لم يفعل حتى الآن غير أنه كان يضحك، يأخذ في الغناء)
مات إخواني ولم يفلت أحدٌ
وأنا كدتُ ألقى مصرعي.
كنتُ في تشرين أحمر،
غير أنا في يناير.
- جلوب : يا سيد مانكه، هذا السيد لا يريد أن يضايق أحدا. اعمل الواجب.
- كراجلر : (وقد أمسك بأوجستا من خصرها وأخذ يقفز معها)
دخل الكلب إلى المطبخ
واستلَّ من الطَّبَّاح بيضة
فأتى الطَّبَّاح بالسَّاطور
وانقض على الكلب فقده.
- الرجل المخمور : (وقد تمزق من الضحك) عامل على آلة تشكيل لمدة غير طويلة.



- جلوب : أرجوك ألا تفسد عليّ الكؤوس، يا مدفعي!
- ماريا : الآن هو سكران. آلامه أقل.
- كراجلر : آلامه أقل؟ عزّ نفسك دائما، يا أخي العرييد، قائلًا لنفسك:
كل هذا غير موجود.
- أوجستا : اشرب أنت.
- الرجل المخمور : ألم يجز الحديث عن ابن أخ؟
- كراجلر : ما الخنزير في نظر الله الأب، يا أختي المومس؟ لا شيء.
- الرجل المخمور : لكن ليس في هذا المحل.
- كراجلر : ولم لا؟ هل يمكن إلغاء العسكريين أو الله الرحمن؟ هل تملك أن تلغي التعذيب أيها المالك الأحمر، وألوان التعذيب التي علّمها البشر أنفسهم للشيطان؟ لست قادرا على هذا. لكن أن تقدم ماء حياة، فهذا في وسعك. إذن اشرب وأغلق الباب، لا تدع الريح تدخل، الريح التي تشعر بالبرد هي الأخرى، لكن أسدل الستائر الخشبية.
- بولتروتر : صاحب المحل يقول إنه وقعت إهانة، وظلم، ولكنه يقول إن العشب سينبت من فوقها.
- كراجلر : سينبت؟ قلت: ظلم، يا أخي صاحب المحل، يا صاحب المحل يا أحمر؟ ما أضحك كلمة: ظلم. إنهم يخترعون كثيرا من الكلمات الصغيرة هكذا. ويلقون بها في الهواء، وبعد ذلك يستطيعون أن يذهبوا للنوم وأن ينتظروا أن يمر هذا. والأكبر يضرب وجه الأصغر، والسمين يصنع زبدته. هنالك ينبت العشب جيدا.
- الرجل المخمور : على ابن الأخ، الذي ليس موضوعا للحديث.
- كراجلر : فأتى باقي الكلاب،
حضرُوا للمَيِّتِ قبرا،



وعلى الشاهد خطوا

دخل الكلب إلى المطبخ...

ولهذا ينبغي علينا أن نتفاهم فيما بيننا على خير وجه ونحن في هذا الكوكب الصغير، الجو بارد هنا ومظلم شيئاً، أيها المالك الأحمر، والعالم أشد شيخوخة من أن يكون له مستقبل أفضل، والسماة قد استؤجرت، يا أعزائي.

ماریا : ماذا سنفعل؟ هو يقول إنه يريد أن يذهب إلى حي الصحافة.

لكن ماذا يجري هناك؟

كراجلر : عربية تذهب إلى بار البيكادلي.

هل هي فيها؟

كراجلر : إنها فيها. نبضي عادي جداً، أمسكي.

(بيسط يده اليسرى، ويشرب باليد الأخرى)

ماریا : اسمه أندرياس.

كراجلر : أندرياس. نعم، أندرياس كان هو اسمي.

(يستمر في جس نبضه، وكأنه ذاهل)

لار : كانت خصوصاً أشجار صنوبر، صغيرة.

جلوب : آه، هاهو ذا الحجر الذي أخذ في فتحه.

بولتروتر : وهنالك بعت، يا مغفل.

من؟ أنا؟

بولتروتر : آه! حكاية البنك! شائقة، يا جلوب، ولكن ليس في هذا

المقهى.

جلوب : أهانوك؟ لكنك قادر على ضبط نفسك. إذن، إذن ما عليك

إلا أن تضبط نفسك! لو نزعوا منك جلدك، فلا تتحرك

يا مدفعي، وإلا انشق بالطول، وليس عندك غيره (يستمر

في غسل الكؤوس) آه! أجل، لقد أهانوك إهانة بسيطة.



- ضربوك بالسيف، وأطلقوا عليك دانات المدفع، واستولوا عليك، وبصقوا عليك. ثم ماذا بعد ذلك؟
- بولتروتر : (وهو يرى الكؤوس) ليست نظيفة بعد؟
- الرجل المخمور : اغسلني ياربي حتى أصير أبيض! اغسلني حتى أصير أبيض كالثلج! (يعني) مات إخواني ولم يفلت أحد، وأنا كدت ألقى مصرعي، كنت في تشرين أحمر، غير أنا في يناير.
- جلوب : كفى.
- أوجستا : يا عصابة الجبناء!
- بائعة جرائد : (تدخل) الاسبارتاكويون في حي الصحافة! روزا الحمراء تخطب في الهواء الطلق بحديقة الحيوان! هل نتحمل وقتا طويلا انفجارات الغوغاء؟ أين الجيش؟ عشرة ملايين، يا مدفعي، أين الجيش؟ عشرة ملايين.
- أوجستا : (لما لم يشتري أحد الجريدة تخرج) وليس ثم باول!
- كراجلر : استؤنف إطلاق الرصاص؟
- جلوب : (يغلق بالمفتاح صوان زجاجات الليكير، ويجفف يديه) سنغلق المحل.
- مانكه : لنسرع يا أوجستا! لك يقال هذا الكلام، فلنسرع! (مخاطبا بولتروتر) وأنت يا سيدي؟ ماركان وستون بفتح.
- بولتروتر : شهدت معركة جتلند. ولم يكن الأمر سهلا. (الكل ينهضون)



الرجل المخمور : (معانقا ماريًا) وغدة جميلة، ملاك ناعم، سيح معه في بحر
الدموع هذا .

كراجلر : إلى حي الصحافة معنا!

دخل الكلب إلى المطبخ،

واستل من المطبخ بيضة،

فأتى الطباخ بالساطور،

وانقض على الكلب، فقده.

(لار، الفلاح، يذهب مترنحا إلى الأوركسترا الميكانيكي،

وينتزع منه الطبله، ويتبع الآخرين وهو يقرع الطبله)

* * *



الفصل الخامس

(السرير)

جسر من خشب

(صيححات، قمر أحمر كبير)

- بابوش : كان الواجب عليك أن تعودي إلى بيتك .
- أنا : لا أستطيع بعد . وما الفائدة؟ لقد انتظرت أربع سنوات بصحبة صورته الشمسية، ثم أخذت شخصا آخر . كنت أخاف في أثناء الليل .
- بابوش : لقد فرغت سيجاراتي . ألا تريدين العودة إلى بيتك أبدا؟
- أنا : اسمع!
- بابوش : إنهم يمزقون الجرائد، ويلقون بها في برك الماء، ويسبون المترليوزات، ويطلقون الرصاص على الوجود، ويحسبون أنهم يبنون عالما جديدا . وها هي ذي عصابة أخرى قد قدمت .
- أنا : ها هو ذا!
- (كلما اقتربت الجماعة نشأ اضطراب كبير في الأزقة المجاورة . طلقات النار تندفع في اتجاهات عديدة)
- أنا : الآن، سأخبره .
- بابوش : سأغلق فمك .
- أنا : لست بلهاء . الآن، سأصيح .
- بابوش : وأنا الذي ليس معه بعد سيجار!
- (ينبثق من بين البيوت جلوب، ومانكه والامراتان، وأندرياس كراجلر)



- كراجلر : أنا مبجوح. أفريقيا تخرج من ثقبون أنفي سأسنق نفسي.
- جلوب : ألا يمكنك أن تشنق نفسك غدا، وتأتي معنا الآن إلى حي الصحافة؟
- كراجلر : (وهو يحدق في أنا) بلى!
- أوجستا : أتري رؤيا؟
- مانكه : ماذا جرى لك يا صاحبي؟ إن شعرك يقف على رأسك!
- جلوب : أهي؟
- كراجلر : نعم، ماذا هناك، أتوقفون؟ سأذهب بكم إلى حيث تقتلون رميا بالرصاص! إلى الأمام، إلى الأمام، دائما إلى الأمام!
- أنا : (تتقدم للقائه) أندريه!
- الرجل المخمور : ارفع الساق فالحب ينادي!
- أنا : يا أندريه، توقف. إنه أنا. أردت أن أقول لك شيئا. (صمت). أردت أن ألفت انتباهك إلى شيء. توقف قليلا، أنا لست سكرى. (صمت). ليس على رأسك شيء، والجو بارد. لا بد أن أهمس في أذنك بشيء.
- كراجلر : هل أنت سكرى؟
- أوجستا : العروس تجري وراءه، والعروس سكرى!
- أنا : نعم، ماذا تقول؟ (تخطو بضع خطوات). أنا حامل.
- (أوجستا تفهقه بضحكة حادة. كراجلر يترنح، يحدق ناحية الجسر، يأخذ في رفع قدمه كأنه يبدأ من جديد في تعلم المشي)
- أوجستا : لست سمكة حتى تستنشق الهواء هكذا!
- مانكه : أوه! أتحسب أنك تحلم؟
- كراجلر : (وإصبعه على خط خياطة البنطلون) تحت أمرك!
- مانكه : إنها حامل. الحمل بأطفال، هذه مهنتها. تعال الآن!



- كراجلر : (بتشدد) تحت أمرك. إلى أين؟
- مانكه : لقد صار مجنوناً.
- جلوب : ألم تكن في أفريقيا؟
- كراجلر : مراکش، الدار البيضاء، الثكنة!
- أنا : أندريه!
- كراجلر : (مرهفاً أذنه) اسمعي، يا عروسي، يا عاهرة! لقد جاءت،
ها هي ذي، بطنها مملوء.
- جلوب : إن فيها فقر دم، أليس كذلك؟
- كراجلر : صه! لم أكن أنا، لم أكن أنا الذي فعلته.
- أنا : أندريه، هناك ناس!
- كراجلر : هل الهواء هو الذي نفخ بطنك، أو أنت صرت مومساً؟ لم
أكن موجوداً، ولم يكن في مقدوري مراقبتك. كنت مغروراً
في الطين؟
- ماريا : ينبغي ألا تتكلم هكذا. ماذا تعرف إذن؟
- كراجلر : وأنت التي أردت أن أراها من جديد. وإلا، لكنت ممدداً في
مكاني الحقيقي، والريح تهزم في جمجمتي، والتراب في
فمي، ولن أعرف شيئاً. لكن هذا أيضاً هو ما أردت أن أراه.
كان لا بد لي أن أدفع ثمنه. لقد أكلت الكُسْبَ، وكان مُرّاً.
وزحفت على قدمي وبيديّ لأخرج من جحري. آه! كان ذلك
خبثاً! يا ويلتاه! لقد كنت خنزيراً! (يفتح عينيه) أتظنون
أنكم تشاهدون مسرحية؟ هل دفعتم ثمن التذاكر؟
(يمسك بقطع من الطين على الأرض ويرمي بها حواليه)
- أوجستا : امنعوه!
- أنا : استمر يا أندريه، استمر! ارم في هذه الجهة، ارم!
- ماريا : أبعدوا هذه المرأة، إنه سيقتلها.



- كراجلر : اذهبوا إلى الشيطان! عندكم كل ما رغبتم فيه. يمكنكم أن تفتحوا أفواهكم. هذا كل شيء، لا أكثر.
- أوجستا : الرأس منكس إلى أسفل! في التراب، الرأس! (الرجال يمسون برأس كراجلر في مواجهة الأرض)
- أوجستا : والآن، اذهبي يا آنسة، أرجوك.
- جلوب : (مخاطبا أنسا) نعم، اذهبي إلى بيتك الآن! هواء الصباح مفيد للمبايض.
- بابوش : (يتقدم نحو كراجلر وهو يخترق ساحة القتال بميل، ويقول له، وهو يستمر في مضغ طرف سيجار) الآن تعرف أين استقرت القذيفة. أنت الله الأب. وقد فجرت رعدك. أما هذه المرأة، فهي حامل، ولا تستطيع أن تستمر جالسة على هذا الحجر، والليالي باردة، وربما تستطيع أن تقول شيئاً...
- جلوب : نعم، ربما تستطيع أن تقول شيئاً.
- (الرجال يدعون كراجلر ينصب قامته. صمت. الريح تهب. يمر رجلان مسرعان)
- أحدهما : لقد استولوا على بيت أولشتين Ullstein.
- الأخر : وأمام محل موسه Mosse أحضروا المدافع.
- الواحد : نحن قلة قليلة جدا.
- الأخر : كثيرون قادمون في الطريق.
- الواحد : بعد فوات الأوان، بعد فوات الأوان بكثير.
- (مرآ)
- أوجستا : هل سمعتم؟ هيا، لننه المسألة الآن.
- مانكه : ألقوا بالجواب في فمه، هذا البورجوازي وفاجرته!
- أوجستا : (تريد أن تجر كراجلر) تعال معنا إلى حي الصحافة، يا



- فتى، سترى أنك سينبت لك شعر الوحش!
- جلوب : ما عليك إلا أن تتركها في حالها عند حدها! في الساعة السابعة ستأخذ أول «مترو».
- أوجستا : لن يسير «المترو» اليوم.
- الرجل المخمور : إلى الأمام، لندخل في الرقص!
(أنا نهضت)
- ماريا : (وهي تتطلع فيها) بيضاء مثل الغسيل.
- جلوب : شاحبة قليلا، ونحيلة قليلا.
- بابوش : سيغمى عليها.
- جلوب : يبدو عليها هذا، لكن الضوء هو الذي يصورها هكذا.
(ينظر إلى السماء)
- أوجستا : هؤلاء قادمون من فدنج Wedding .
- جلوب : (وهو يفرك يديه) وأنت أيضا أتيت في الوقت نفسه مع المدافع. لعلك من الاتجاه ذاته؟ (كراجلر يعتصم بالصمت) أنت لا تقول شيئا، وهذا عين العقل. (يلف حول كراجلر) سترتك مزقتها طلقات الرصاص، وأنت ممزق مهلهل. ولكن هذا لا أهمية كبيرة له. ربما فقط حذاؤك هو الذي يضايق، لأنه يزقزق. لكن تستطيع أن تشحمه، أليس كذلك؟ (يستشق الهواء) منذ الساعة الحادية عشرة بعض الكواكب قد أطيح بها، وبعض المنقذين قد أكلتهم الطيور، ومن الخير أنك بقيت. هضمك فقط هو الذي لا يزال يسبب لي بعض الهموم. على كل حال، أنت على الأقل لست شفافا تماما: لاتزال ترى على الأقل.
- كراجلر : تعالني هنا، يا أنا!
- مانكة : «تعالني هنا، يا أنا!».



- أنا : قولوا، أين محطة المترو؟
- أوجستا : لا مترو اليوم. اليوم لا مترو، ولا قطار ضواحي، ولا «ترام» طوال النهار. اليوم راحة في كل مكان، والقطارات متوقفة على كل الخطوط، وسنمشي على أقدامنا كالرجال، حتى المساء، يا عزيزتي.
- كراجلر : تعالي هاهنا بالقرب مني، يا أنا!
- جلوب : ألا تريد أن تمشي معنا قليلا، يا أخي المدفعي؟
(كراجلر يلتزم الصمت)
- جلوب : كان منا من كان يريد أن يشرب كأسا أخرى أو كأسين، لكنك أنت كنت ضد هذا الرأي. وكان منا من كان يود أن ينام مرة أخرى في سرير، لكنك أنت لم يكن لك سرير، ومن أجل هذا لم نعد إلى بيوتنا.
(كراجلر يلتزم الصمت)
- أنا : ألا تريد أن تذهب إلى هناك، يا أندريه؟ هؤلاء السادة ينتظرونك.
- مانكه : إذن، هل قررتِ قرارك؟ اكشفي عما في بطنك.
- كراجلر : ارموني بالحجارة، فلن أتحرك، وأنا مستعد للتنازل عن قميصي من أجلكم، لكن أن أقدم قفاي للسكين، كلا، هذا لا أريده.
- الرجل المخمور : اسم الله! اسم الله!
- أوجستا : وإذن؟ وإذن، حي الصحافة؟
- كراجلر : لا فائدة. لن أنقاد إلى حي الصحافة وأنا بقميصي. انتهى. لم أعد خروفا. لا أريد أن أموت.
(يستل غليونه من جيب بنطلونه)
- جلوب : ألا تعتقد أنك بهذا تتصرف تصرف رجل مسكين؟



- كراجلر : يا عزيزي، إنهم يضربون الرصاص في البطون مباشرة! أنا!
يا لنظرتك إليّ، باسم الله! هل يجب عليّ أن أبرز نفسي
أمامك؟ (مخاطباً جلوب) أنت، لقد قتلوا ابن أخيك، أما أنا
فقد استرددت زوجتي. تعالّي يا أنا!
- جلوب : أعتقد أننا نستطيع الاستمرار في السير وحدنا.
أوجستا : إذن كل هذا، أفريقيا وسائر الأشياء، كله كان أكاذيب.
كراجلر : لا، قد كان حقيقياً! أنا!
مانكه : السيد قد نادى مثل السمسار في البورصة، والآن السيد
يريد أن يذهب إلى الفراش.
كراجلر : الآن، عندي زوجتي.
مانكه : أهي ملكك الآن حقاً؟
كراجلر : تعالّي هنا، يا أنا! إنها ليست سليمة، لم تعد بريئة. هل
سلكت كما ينبغي، أو تحمّلين ولداً في بطنك؟
أنا : ولد، نعم، أحمل ولداً.
كراجلر : تحمّلينه.
أنا : إنه هنا. والفلفل لم يفد في شيء، وخطوط جسمي فسدت
إلى الأبد.
كراجلر : هذه هي حالتها!
مانكه : ونحن؟ امتلأنا من الكحول حتى القلب، وحُشينا من
العبارات حتى الرقبة، ومن السكاكين حتى أقدامنا، من
الذي وضع كل هذا فينا؟
كراجلر : أنا. (مخاطباً أنا) نعم، هذه حالتك يا فتاة.
أنا : نعم، هذه حالتي أنا.
أوجستا : ألم تصح: «إلى حي الصحافة!» - أليس كذلك؟
كراجلر : بلى، فعلت ذلك. (مخاطباً أنا) تعالّي هنا.



- مانكه : نعم فعلت ذلك. ولن تتخلص من الأمر بهذه السهولة، يا صاحبي. لقد صحت: «إلى حي الصحافة»!
- كراجلر : وأنا عائد إلى بيتي. (مخاطبا أنا) هل أدفعك دفعا؟
- أوجستا : سافل!
- أنا : دعني! لقد مثلت الكوميديا على أبي وأمي، واستقبلت شابا في سريري.
- أوجستا : وغد، أنت الآخر.
- كراجلر : ماذا أصابك؟
- أنا : لقد اشتريت الستائر معه. ونمت معه في السرير.
- كراجلر : اسكتي!
- مانكه : لو تترزعزع، لشنقت نفسي، يا رجل!
- (في العمق بعيدا تُسمع صيحات)
- أوجستا : والآن هم يهجمون على محلات موسّه Mosse
- أنا : وأنت لقد نسيتك تماما، على الرغم من الصورة الشمسية، نسيتك من رأسك حتى أخمص قدميك.
- كراجلر : اسكتي.
- أنا : نسيتك، نسيتك.
- كراجلر : وأنا لا يهمني. هل كان عليّ أن أبحث عنك، وسكّيني في يدي؟
- أنا : نعم، تعالَ خذني، نعم، بسكينك!
- مانكه : في الماء، هذه الجيفة!
- (ينقضون على أنا)
- أوجستا : نعم، انتزعوا منه هذه العاهرة!
- مانكه : أمسكوا بها من خناقها.



- أوجستا : في الماء، هذه المزيّفة .
أنا : أندريه!
كراجلر : كفوا! انصرفوا!
(لا تسمع حشرجات الصدور. من بعيد، تسمع أصوات
المدافع المكتومة، على فترات غير منتظمة)
مانكه : ما هذا؟
أوجستا : المدفعية.
مانكه : مدافع.
أوجستا : فليرحم الله كل الذين هناك. إنهم يتطايرون كالسمك.
كراجلر : أنا!
(أوجستا تهرع إلى العمق وهي محنية الظهر)
بولتروتر : يظهر في عمق المسرح على الجسر) يا إلهي! ماذا
تفعلون؟
جلوب : إنه يبول على نفسه!
مانكه : يا وغد!
(يخرج)
كراجلر : الآن أنا عائد إلى بيتي، يا طائري الجميل.
جلوب : (وقد وصل إلى الجسر) نعم، لاتزال عندك خصيتاك.
كراجلر : (مخاطبا أنا) لا يزال الصغير، تشبثي برقبتي، يا أنا.
أنا : سأجعل نفسي صغيرة جدا .
جلوب : وأرجو أن تشنقي نفسك، غدا صباحا، في الكنيف. (اختفت
أوجستا هي والآخرين)
كراجلر : أنت يا صاحبي ستقتل رميا بالرصاص .
جلوب : نعم، يا صاحبي، هواء الصباح غني بالوعد لكن هناك من
يفضلون الاحتماء بمأمن.
(يختفي)



كراجلر : كنتم على وشك أن تغرقوا في الدموع التي ذرفتوها على مصيري، وأنا لم أفعل غير أن غسلت قميصي بدموعكم! ربما كان عليّ أن أجعل لحمي يتعفن في النهر لأجعل فكرتكم ترتفع إلى السماء؟ أنتم سكارى، أليس كذلك؟

أنا : أندريه! كل هذا لا أهمية له.

كراجلر : (من دون أن يتطلع في وجهها، وهو يدور على نفسه ممسكا رقبته بيديه) لقد ضقت ذرعا إلى هذا الحد! (يتهانف بشراسة) مسرحية هذه كلها، ومن أخسّ الأنواع! ألواح، وقمر من ورق، وخلف ذلك: منضدة الجزار: هي وحدها الحقيقية. (يستأنف الدوران حول نفسه، وذراعه مرتفعتان، ثم يسقط على الأرض حيث يلتقط طبله مقهى جلوب) لقد نسوا طبلتهم. (يقرعها) «النصف اسبارتاكي، أو قوة الحب!»، «حمام دم في حي الصحافة»، أو «في جلده يشعر كل إنسان بالأمان». (يرفع عينيه، ويطرف بجفنه) يرفع على الدرع أو بدون درع. (يضرب على الطبل) القربة تعزف والمساكين يموتون في حي الصحافة، والمنازل تنهار على رؤوسهم، والفجر ينبج، وهم ممددون على الأسفلت كأنهم قطلط غارقة، وأنا خنزير، والخنزير يعود إلى بيته. (يسترد نفسه) سألبس قميصا نظيفا، وجلدي أملكه دائما، وسترتي أنا أتركها، وحذائي سأدهنه بالورنيش (بضحكة شريرة) كل هذه الصيحات ستنتهي، غدا صباحا، ولكني أنا سأكون في فراشي غدا صباحا، وسأتكأثر حتى لا تتقطع ذريتي. (طبل) لا تنظروا نظرات رومنثيكية هكذا! يا عصابة من المرابين! (طبل) يا قاطعي الرقاب! (يضحك ملء حلقه حتى ليكاد يختنق) أيها الجبناء المتعطشون إلى الدماء! (ضحكة تتوقف في حلقه، ولا يملك نفسه، يترنج، يرمى بالطبله نحو القمر، الذي كان مجرد مصباح. الطبله



والقمر يسقطان في النهر الذي لا يجري فيه أيّ ماء) كل
هذا لعب صبيان وعريضة. والآن جاء دور السرير، السرير
الكبير الواسع الأبيض، تعالي!

أنا : يا أندريه!

كراجلر : (يجرها إلى العمق) أراغبة أنت أيضا؟

أنا : لكن ليس عليك سترة.

(تساعده على لبس سترته)

كراجلر : الجو بارد. (تلف المحرمة على عنقه) تعالي الآن! (يسيران

جنباً إلى جنب، من دون أن يتلامسا. أنا متخلفة عنه قليلاً.

وفي الهواء، في أعلى جداً، بعيداً جداً، صياح وحشي حاد،

صادر من حي الصحافة)

كراجلر : (يتوقف، ينصت، يمسك بأننا من كتفيها) مضت أربع

سنوات، الآن.

(يتركب المسرح، بينما الصيحات لا تتوقف)

* * *



حياة جالليو

تأليف

برتولت برشت

ترجمة وتقديم

د. عبدالرحمن بدوي



العنوان الأصلي للمسرحية :

Bertolt Brecht:
Leben des Galilei
Schauspiel

Suhrkamp Verlag



مقدمة مسرحية « حياة جاليليو »

بقلم المترجم

- ١ -

جاليليو كما عرفه التاريخ

بين جاليليو كما عرفه التاريخ، وجاليليو كما صورته برشت في هذه المسرحية مشابه كثيرة.

أما جاليليو، الرياضي والفيزيائي والفلكي العظيم فقد ولد في بيزا (بشمال غربي إيطاليا) في ١٥ فبراير سنة ١٥٦٤، وكان أبوه موسيقيا لا بأس به (نحو ١٥٢٢ - ١٥٩١) مما ولد في نفس ابنه حب الموسيقى، ودفعه إلى إتقان العزف على العود. وقام بدراساته الأولى في بيزا، ثم في فلورنسه، ودخل جامعة بيزا في ٥ سبتمبر ١٥٨١، وبدأ بدراسة الطب، وعقب عليه بدراسة الفلسفة والرياضيات. غير أنه ما لبث أن انقطع عن دراساته الجامعية ربما لسوء ظروف أسرته. وأخذ في دراسة الهندسة على يد أوستيليو رتشي Ostilio Ricci، معلم خدم الدوق الكبير. واستطاع بجهده الشخصي أن يتعمق في دراسة مؤلفات أرخميدس، ولحل مشكلة تاج هيرون اخترع الميزان المائي (الهدروستاتيكي)، وقد وصفه في رسالة صغيرة بعنوان «الميزان الصغير» (سنة ١٥٨٦). وقام بأبحاث هندسية عن مراكز الثقل في قطاعات الأشكال الهرمية، والمخروطات، والأشكال شبه المخروطية ذات القطع المكافئ أخبر بها الأب كرسstofور كلافيوس في أثناء زيارة جاليليو الأولى لروما في النصف الثاني من عام ١٥٨٧، وكذلك بعث بها إلى مولتي Moletti مدرس الرياضيات في بدوفا (بالقرب من البندقية)، وإلى العالم الرياضي المركزي جيدوبلدو دال مونتي Guidubaldo Dal Monte، فسعى هؤلاء إلى تعيينه في جامعة بيزا وصار مدرسا بها في يوليو ١٥٨٩. وكان في تدريسه يتبع ما هو مقرر، لكنه بدأ في تنفيذ نظريات أرسطو في الفيزياء واشتغل بالميكانيكا. فأنكر نظرية أرسطو القائلة بأن الأجسام المختلفة الأوزان تسقط بسرعات مختلفة. وفي رسالته الصغيرة عن الحركة De motu (نحو سنة ١٥٩٠)، وقد



كتبها على شكل حوار، نجد أبحاثا عن حركة الأجسام الثقيلة على المستويات المائلة، واعتراضات عديدة على نظرية أرسطو في حركة المقذوفات. وفي أثناء تدريسه في بيزا قام بتجاربه المشهورة من فوق برج بيزا للتأكد من أن كرتين متساويتين في الحجم ومختلفتين في الوزن تسقطان بالسرعة نفسها، كذلك اكتشافه أن ذبذبات البندول تتم في وقت واحد، بمعنى أن البندول يحتاج إلى الكمية نفسها من الزمن لإتمام ذبذبه، مهما كان اتساع مدى الذبذبة. وكان لهذا الاكتشاف الأخير أثره فيما بعد حين رأى جاليليو أن مبدأ البندول يمكن أن يطبق لضبط الساعات الكبيرة. وقيل إنه اكتشف هذه الظاهرة وهو يلاحظ تذبذب المصباح في كاتدرائية بيزا.

وبعد وفاة أبيه سنة ١٥٩١ زادت مطالب العيش عليه. فحمله ذلك على تقديم طلب للحصول على كرسي الرياضيات في جامعة بادوفا، وتولى هذا المنصب في سبتمبر سنة ١٥٩٢ خلفا للأستاذ مولتي Moletti. ومن برنامج التدريس يتبين أنه كان في بادوفا، يدرس «أصول الهندسة» لأقليدس، وكتاب «الأكر» (جمع: كرة) تأليف سكروبوسكو Sacrobosco، و«المجسطي» لبطلميوس، و«المسائل الميكانيكية» لأرسطو و«نظرية الكواكب السيارة». أما في دروسه الخاصة (وكانت العادة في هذا العصر أن يعطي الأستاذ دروسا خصوصية للتلاميذ الراغبين في ذلك، وهم يقيمون في منزله للسكنى والطعام أيضا) فقد كان يدرس بعض أبحاثه الخاصة، مثل استعمال الفرجار الهندسي والعسكري، وعلم الميكانيكا، وفن الحرب. وبفضل مهاراته في التدريس الخصوصي وفد عليه الطلاب من أنحاء أوروبا. وقد كتب في هذه الفترة الرسائل الآتية: المعمار الحربي، بحث في التحصينات الحربية، بحث في الكرة، تبعا لنظام لبطلميوس، وبحث في الميكانيكا.

ومنذ سنة ١٥٩٧ عمل على تحسين آلة ابتكرها المركز دال مونتني، مما أدى به إلى عمل الفرجار الهندسي والعسكري، وهو نوع من المسطرة الحاسبة، وتم عمله بواسطة صانع ماهر هو ماركو أنطونيو متسولينيني Mazzolini تحت إشراف جاليليو.

وفي أثناء العامين الأخيرين من إقامته في بادوفا (١٦٠٩ - ١٦١٠) عني بتحسين المنظار الذي سُمِّي فيما بعد باسم التلسكوب، والذي بفضله قام باكتشافات فلكية هائلة.



وقد أثبتت الوثائق التي اكتشفها ك. دي فارد C. de waard في المحفوظات التاريخية الهولندية في سنة ١٩٠٦ أن يانسن زخرياس في مدلبورج Janssen Zacharias vom Middelburg صنع أول جهاز ركب فيه عدسات داخل انبوبة وذلك في سنة ١٦٠٤. كذلك ركب هانز لبرشاي Hans Lippershey في مدلبورج أيضا مناظير ذات عدسات داخل أنبوبة. ووصل نياً هذا الاختراع إلى مدينة البندقية في نوفمبر سنة ١٦٠٨، ومن المحقق أنه في أوائل سنة ١٦٠٩ كانت تباع مناظير من هذا النوع في باريس وإيطاليا. وقد عرف جاليليو بهذا الاختراع في ربيع سنة ١٦٠٩. واعتمادا على هذا المنظار قام جاليليو بصنع تلسكوب أقوى من هذه المناظير الهولندية الصنع، وقدم هذا التلسكوب إلى مجلس شيوخ البندقية في ٢٥ أغسطس سنة ١٦٠٩ فأدهش الجميع. وقد كانت قوة أول نموذج صنعه ثلاثة أضعاف قوة المنظار الهولندي الصنع. ومن ثم أدخل عليه تحسينات بسرعة، حتى صارت قوته ٣٢ ضعف قوة المنظار الهولندي. ويعود الفضل في ذلك إلى الطريقة التي ابتكرها جاليليو لضبط انحناءات العدسات. ونظرا إلى قوة هذا التلسكوب الذي صنعه جاليليو، أمكن استخدامه في الأرصاد الفلكية(*).

وكان جاليليو أول من استخدمه في دراسة السماء في أواخر سنة ١٦٠٩ وأوائل سنة ١٦١٠، فتوصل به إلى سلسلة من الاكتشافات الفلكية، أهمها:

- ١ - اكتشف أن سطح القمر غير منتظم ولا أملس كما كان يُظن فيما مضى.
- ٢ - ولاحظ أن المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة.
- ٣ - واكتشف توابع كوكب المشتري، وسماها النجوم المدتشية Sidera Medicea على اسم تلميذه السابق، كوزمو الثاني، دوق توسكانيا الكبير.
- ٤ - اكتشف أو لاحظ بقعا على الشمس.
- ٥ - شاهد أوجه (أطوار) كوكب الزهرة Les Phases de Venus وما بدا له أنه أشكال زُحَل الثلاثة. وقد أعلن هذه الاكتشافات في Sidereus Nuncius (مارس سنة ١٦١٠).

(*) راجع عن تاريخ التلسكوب:

H.C. King: The History of the Telescope. Charles Griffin, London, 1955, 456pp.



وقد أثارت هذه الاكتشافات الكثير من المجادلات والمنازعات من جانب أنصار أرسطو، ومنهم مارتن هوركي Horky، ولودفكو دلي كولومبي Lodovico delle Colombe وفرنشسكو ستسي Fr. Sizi. لكن أيدها فلكي عظيم هو كبلر Kepler. ولم يعدم جاليليو من يدعي أنه سبقه إلى بعض هذه الاكتشافات، مثلما فعل سيمون ماير Simon Mayr في كتابه Mundus Jovialis (نورمبرج سنة ١٦١٤).

ومكافأة لجاليليو على هذه الاكتشافات، قرر مجلس شيوخ جمهورية البندقية تعيينه أستاذا مدى الحياة مع مرتب ممتاز. لكن رغبته الحارة في العودة إلى وطنه (فيرننسه ورغبته في التحرر من متاعب التدريس للتفرغ للمشاهدات الفلكية والأبحاث العلمية، حملته على قبول منصب «رياضي فوق العادة في معهد بيزا وفيلسوف صاحب السمو الدوق الكبير»، مع عدم الالتزام بالتدريس ولا بالإقامة في المعهد ولا في مدينة بيزا. وكان ذلك في أول يوليو ١٦١٠.

وهكذا ترك جاليليو بادوفا بعد إقامة استمرت ثماني عشرة سنة وهو في أمان تام وحرية مكفولة للبحث والكتابة. وهنا في بادوفا ولد له من زوجته مارينا جمبا Marina Gamba ابنتان وولد. والابنة الكبرى هي فرجينيا^(*)، وكانت بكر أولاده، وكان يؤثرها بالحب الشديد، وقد ولدت في ١٣ أغسطس سنة ١٦٠٠، ولكنها دخلت طريق الرهبنة وصارت راهبة في ٤ أكتوبر سنة ١٦١٦ في دير القديس متى في أرشترى Arcetri، وفي هذا الدير توفيت في ٢ أبريل سنة ١٦٢٤. وقد بقي لنا منها ١٢٤ رسالة كتبتها إلى أبيها في الفترة ما بين ١٦٢٣ و ١٦٢٣، واسمها في الدين الأخت مارية شيلستي Maria Celeste، وكانت متدينة ولكن بنوع من التفتح الذهني، وحريصة دائما على أن تشارك أباهما آلامه ومسراته، وأن تعاونه قدر ما تستطيع. وقد استغل برشت شخصيتها - مع بعض التعديلات طبعا - في هذه المسرحية خير استغلال: تدينها، عطفها المستمر على أبيها. أما حكاية خطبتها إلى لودفكو مرسيلي، فهي من اختراع برشت.

(*) راجع عنها

Galileo Galilei & Sour Maria Celeste. Firenze, 1891.
(وقد نشرت فيه ص ٢٣٣ - ٤٢٤ كل رسائلها إلى أبيها).



أما الابن فنشنتسو Vincenzo (١٦٠٦ - ١٦٦٩)، فكان شاعرا رقيقا .

وتتابع حياة جاليليو فنقول: إنه في السنة التالية، سنة ١٦١١، سافر إلى روما (٢٩ مارس - ٤ يونيو ١٦١١) أولا ضيفا على سفير توسكانيا ج. نيكوليني، ثم أقام بعد ذلك في فلا مدتشي الشهيرة في رابية Trinita dei Monti (حيث توجد الآن مدرسة روما L. Ecole De Rome التابعة لفرنسا)، واستقبله البابا بولس الخامس. وفي حديقة الكورينالي عرض اكتشافاته على العلماء اليسوعيين في الكلية الرومانية Collegium Romanum، فاستطاعوا أن يشاهدوا الكواكب المدتشية من نوفمبر سنة ١٦١٠، إلى أبريل سنة ١٦١١، واحتفلوا احتفالا عظيما بجاليليو. وكان هؤلاء العلماء اليسوعيون، بناء على طلب من بلرمينو، قد أيدوا اكتشافات جاليليو، فيما عدا تحفظ أحدهم، وهو كلافيوس، على نقطة جبال القمر. وفي ١٢ أبريل اختير جاليليو عضوا في أكاديمية لنشاي Lincei، التي لاتزال شهيرة بعلمائها وأبحاثها حتى اليوم.

وقامت مناقشة حول أسباب طفو الثلج، تبعاً لأرسطو والمشائين، فاشترك فيها جاليليو بكتاب بعنوان: مقال إلى صاحب السمو دون كوزمو الثاني.. (سنة ١٦١٢) وفيه مبادئ علم المائيات (الهدروستاتيكا) تبعاً لأرخميدس. وقد أثار ردوداً من جهة المشائين: كورزيو G. Corresio ودي جرسيا V. Di Grazia، فرد عليها تلميذه الأب. ب. كاستلي B. Castelli الأستاذ في بيزا وكان تلميذاً لجاليليو في بادوفا.

واكتشف جاليليو البقع الشمسية (في يوليو سنة ١٦١٠) وعرضها في البندقية ثم في روما بين مارس وأبريل سنة ١٦١١، كذلك اكتشفها في الوقت نفسه ج. فابرتسيوس، الذي ظهر كتابه في هذا الموضوع بعنوان Narratio de Maculis in sole observatis (ذكر البقع الملاحظة في الشمس) في سنة ١٦١١. أما جاليليو فقد نشر رأيه فيها في كتاب بعنوان De-maculis Solaribus في يناير وسبتمبر سنة ١٦١٢ باسم مستعار هو Apelle، وقد دافع جاليليو عن كونه هو أول من اكتشفها. وأثارت مسألة أولية اكتشاف البقع الشمسية هذه مجادلات لا تنتهي حتى الآن.

وهنا حدثت العاصفة الكبرى. أن جاليليو كان من أنصار النظام الذي قال به كوبرنيكوس، وهو أن الشمس في المركز وأن الأرض مجرد كوكب سيار يدور في فلكها. وقد عبر جاليليو عن تأييده نظام كوبرنيكوس في رسالة كتبها إلى ياكوبو ماتسوني في



مايو سنة ١٥٩٧، وفي رسالة أخرى كتبها في ٤ أبريل إلى كبلر فيها يؤكد صحة نظام كوبرنيكوس أكثر وأكثر. وعبر عن ذلك في رسالة كتبها إلى ب. كستلي B. Castelli في ٢١ ديسمبر سنة ١٦١٢، مع مزيد من التحقيق. وقد قال في كلتا الرسالتين إنه من الخطر إدخال الكتاب المقدس في نزاع مع نتائج العلوم الطبيعية لأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يخطئ، ولكن الشراح هم الذين يخطئون خصوصا والكتاب المقدس يستخدم لغة يفهمها الجمهور وإليه وجهها وكيفها مع عقلية الجمهور. وأكد أيضا أن النص الوارد في الكتاب المقدس - بشأن وقف يوشع للشمس عن الدوران - يتفق تماما مع نظام كوبرنيكوس. غير أن راهبين دومنيكيين - وللرهبان الدومنيكان تاريخ أسود في اضطهاد حرية الفكر في أوروبا - هما ت. كاتشيني T. Caccini و ن. لوريني N. Lorini، أثارا ضد جاليليو حملة شعواء علنية. فأولهما، كاتشيني، من منبر كنيسة سنتا ماريا نوفلا في فيرنتسه اتهم جاليليو في أوائل سنة ١٦١٥ علنا بالهرطقة. وثانيهما، وهو لوريني، قدم طعنا في جاليليو إلى الديوان المقدس في روما بسبب البِدَع التي يحتوي عليها خطابه المذكور إلى كستلي. فأمر الديوان المقدس بإجراء تحقيق في هذا الخطاب وفي الرسائل التي كتبها جاليليو عن البقع الشمسية، وذلك في ٢٥ نوفمبر سنة ١٦١٥. وعلى الرغم مما قام به جاليليو في سفرته الثالثة إلى روما من محاولات لإفساد تدابير أعدائه هذه، فإن الديوان المقدس، برئاسة ر. بلرمين، أعلن بطلان نظام كوبرنيكوس في ٢٥ فبراير سنة ١٦١٦، وأمر جاليليو بالامتناع من تعليم نظام كوبرنيكوس، أو الدفاع عنه أو معالجته على أي وجه، وإلا أدخل السجن. وأبلغ جاليليو قرار المحكمة هذا في ٢٧ فبراير سنة ١٦١٦. وقد قبل جاليليو هذا القرار وأعلن أنه سيطيعه.

وفي ٥ مارس سنة ١٦١٦ حرّمت هيئة الرقابة على الكتب Congregazine dell'Indice قراءة كتاب كوبرنيكوس، وكذلك سائر الكتب التي تعلم النظام نفسه. وفي يونيو ١٦١٦ عاد جاليليو إلى فيرنتسه فنصحته الدوق الكبير، كوزمو الثاني، وأصدقائه وعارفوه بإطاعة قرار الديوان المقدس والاعتصام بالسكينة.

وكان الكردينال بلرمين قد استقبل جاليليو في يوم ٢٦ فبراير، وأبلغه القرار الذي سيصدر، وحذّره من أن عليه من الآن فصاعدا ألا يقول بنظام كوبرنيكوس وألا يدافع عنه.



واستجاب جاليليو فعلا للقرار . فظل طوال السنوات السبع التالية (١٦١٦ - ١٦٢٣) في عزلة في بيته في بلوسجواردو Bellosguardo بالقرب من فلورنسه، يواصل دراساته وأبحاثه في عزلة وهدوء . وفي سنة ١٦٢٣ رد على رسالة كتبها أحد اليسوعيين، وهو أوراسيو جراسي Orazio Grassi عن طبيعة المذنبات، وكان من الواضح أن صاحبها يقصد إلى الطعن في جاليليو . وكان الذي دفع جراسي إلى تحرير رسالته هذه ظهور ثلاثة مذنبات في سنة ١٦١٨، فانتزهها هذا اليسوعي فرصة للهجوم على نظام كوبرنيكوس، ومن ثم للهجوم على جاليليو . وكان عنوان رد جاليليو، وقد أهدها إلى البابا أربان الثامن هو:

Saggiatore nel quale con bilancia esquisita & giusta si poderano Je cose contenute nella libra astronomica & filosofica.

وفيه يرد على ادعاءات س . ماير بأسبقيته في اكتشاف البقع الشمسية، ثم يعرض كل اكتشافاته الفلكية، ويروي قصة اختراعه للتلسكوب، ثم يرد ردا مفحما على كل نقطة أثارها أوراسيو جراسي .

وفي سنة ١٦٢٤ زار روما للمرة الرابعة واستقبله البابا أربان الثامن - واسمه الأصلي مافيو بربريني Maffeo Barberini - وهو الذي طالما أظهر إعجابه به وعطفه عليه منذ أن كردينالا .

ثم عاد إلى فلورنسه، وهناك اخترع وحسّن المجهر المركب - Microscopo Composto، وأرسل نموذجا منه إلى اتشيزي Cesi في سبتمبر سنة ١٦٢٤، وقال عنه: «إنه منظار لرؤية الأشياء المتناهية الصغر من قرب» .

وفي الوقت نفسه ظل جاليليو يعمل في تأليف كتابه الرئيسي: المحاور Dialogo وكان موضوعه نظام العالم . وفرغ منه نهائيا في ديسمبر سنة ١٦٢٩، وكان معدا للطبع في مايو سنة ١٦٣٠ . وبعد رحلة أخرى إلى روما ومجهودات مضنية استطاع الحصول على إذن بطبع الكتاب .

وظهر هذا الكتاب في فبراير سنة ١٦٣٢ بعنوان:



Dialogo di G. Galilei,... dove ne i congressi di quattro giornate si discorre sopra i due massimi sistemi del mondo, tolemaico & copernicano, proponendo indeterminatamente le ragioni filosofiche e naturali tanto per l,una quanto per l,altra parte^(*).

ومكان الحوار هو البندقية، والمتحاورون هم:

١ - فيليو سلفياني (١٥٨٢ - ١٦١٤) وهو عين من أعيان فلورنسه، وعضو في أكاديمية لنشاي، وفي بيته كتب جاليليو رسالتين من رسائله الثلاث عن البقع الشمسية. وهو يمثل آراء كوبرنيكوس وآراء جاليليو.

٢ - جو فني فرنشسكو سجريدو، وهو من البندقية (١٥٧١ - ١٦٢٠) ويمثل «الإدراك السليم».

٣ - سمبلتشيو Simplicio، وهو من أنصار أرسطو، ولقب بهذا الاسم على اسم شارح أرسطو المشهور: سنبلقيوس. وهو يمثل أرسو وأنصاره، وإن كان أعداء جاليليو قد حاولوا إيهام البابا والناس أن المقصود به هو البابا نفسه، أريان الثامن، وذلك على أساس أن المؤلف قد وضع على لسان سمبلتشيو هذا العبارات التي بها دافع البابا عن نظام بطلميوس.

وتجري مناقشات اليوم الأول في نقد نظرية أرسطو في الحركة، والدفاع عن آراء جاليليو في وجود جبال وبحار في القمر. وخصص اليوم الثاني للبحث في حركة الأرض اليومية حول محورها وتفنيد الحجج التي سبقت لتأييد عكس ذلك، وفي الأسباب التي تدعو إلى ترجيح نظام كوبرنيكوس. وفي مناقشات هذا اليوم يعرض جاليليو آراءه في الديناميكا، ومبدأ القصور الذاتي، وفي القوة الطاردة، ويعرض قوانين سقوط الأجسام، وقوانين ذبذبات البندول، وفي كون سرعة سقوط الجسم مستقلة عن وزنه. وفي اليوم الثالث يدور الحوار حول أسباب حركة الأرض حول الشمس، وتفسير مواقع النجوم وفق كوبرنيكوس، وحول أوجه (أطوار) الزهرة والبقع الشمسية. وفي هذا الحوار تأييد حار لنظام كوبرنيكوس ونبذ شديد لنظام بطلميوس، كما

(*) وترجمته: «حوار تأليف جاليليو جاليلي... وفيه خلال جلسات استمرت أربعة أيام جرت مناقشة حول أكبر نظامين للعالم: نظام بطلميوس ونظام كوبرنيكوس، مع إيراد الأسباب الفلسفية والطبيعية في جانب الواحد، وفي الجانب الآخر على السواء من دون تحيز لأحدهما».

وواضح من العبارة الأخيرة أن جاليليو يريد أن يفلت من مقتضى قرار الديوان المقدس.



تدل على ذلك هذه العبارة: «في بطلميوس الأمراض، وعند كوبرنيكوس الأدوية». وخصصت مناقشات اليوم الرابع للبحث في المد والجزر في البحر، وهو يفسره بحركة الأرض، مفندا فكرة تأثير القمر، وكان جاليليو في هذا مخطئا تماما.

وسرعان ما تبين خصوم جاليليو ما في كتاب «الحوار» هذا من خطر، وخصوصا الأبوين اليسوعيين في الكلية الرومانية: جراسي وشرينر Grassi & Schreiner فأعلن هذان - على الرغم من أن الكتاب قد مر من الرقابة وأذن بنشره - أن هذا الكتاب «أسوأ وأخطر على الكنيسة من كتابات لوثر وكلفان». لهذا تقرر (أغسطس سنة ١٦٣٢) منع نشر وتوزيع الكتاب في روما، ثم في ١ أكتوبر ١٦٣٢ طلب من جاليليو المثول أمام المندوب العام للديوان المقدس. واضطر جاليليو إلى الذهاب إلى روما في يناير سنة ١٦٣٣، بعد أن كتب وصيته، فوصل إلى روما في ١٣ فبراير ونزل عند سفير توسكانا في قصر فلورنسه. وفي ١٢ أبريل جرى تحقيق أولي معه أمام الديوان المقدس، مع شيء من الرعاية. وقام ثلاثة من الأحبار هم: ملكيور إنشوفر Melchiorre Inchofer، وأجستينو أورجيو Agostino Oregio وزكريا بسكواليجو Zaccaria Pasqualigo بفحص كتاب «الحوار» وقرروا أن جاليليو قد خالف التحذير الذي وجه إليه سنة ١٦١٦ وقرار سنة ١٦١٦، وقال أحدهم إنه يشتمُّ من الكتاب أن جاليليو يؤيد نظام كوبرنيكوس. وفي ١٦ يونيو سنة ١٦٣٢، في قصر الكورينالي، أصدر مجلس الديوان المقدس قراره، بعد جلسات عديدة رأس الكثير منها البابا نفسه. ويقضي القرار (١) بأن يعلن جاليليو تبرؤه من نظرياته، (٢) يسجن وفق ما يقضي به المجمع المقدس Sacra Congregazione، (٣) منع كتاب «الحوار» وأي كتاب آخر يكتبه من بعد.

وأبلغ جاليليو بالقرار في ٢١ يونيو سنة ١٦٣٢. وفي يوم ٢٢ في مركز الديوان المقدس في كنيسة سانتاماريا فوق منيرفا جرت عملية التبرؤ. لكن الحكم بالسجن سرعان ما عدله البابا إلى الاعتقال في حديقة ترينتا دي مونتى (على رابية من روابي روما) Trinita dei Monti أولا، ثم بعد ذلك في مدينة سيينا (بمقاطعة توسكانا)، وأخيرا (في ديسمبر سنة ١٦٣٢) في قرية أرشترى Arcetri.

وقد شاعت إشاعة تقول إن جاليليو، بعد أن تبرأ، تلفت وقال: «ومع ذلك فهي تتحرك» Eppur si muove. ولكن ليس لهذه الإشاعة أي سند تاريخي. والثابت أنه تبرأ من آرائه وأذعن مطيعا ساكنا.



وعلى الرغم مما بُذل من شفاعات ووساطات لم يفرج عن جاليليو حتى آخر عمره إفرجا تاما ولم يصدر أي عفو عنه. ورُفضت كل التماساته للعفو عنه أو الإفراج. وآخر هذه الالتماسات قد أرسله جاليليو إلى البابا ٢٨ أبريل سنة ١٦٢٨، ولكن الديوان المقدس رفض التماسه. وظل قرار تحديد إقامته في بيته ساريا حتى وفاته.

وقد أمضى جاليليو السنوات الثماني الأخيرة من حياته رهين معتقله في فلورنسه، أولا في بيت على رابية سان جورجيو، ثم بعد ذلك في بيت أرشترى Arcetri.

وتوالت عليه المحن بعد ذلك وهو في محبسه في أرشترى: ففقد أولا ابنته العزيزة فرجينيا في ٢ أبريل سنة ١٦٣٤، ثم كف بصره نهائيا في سنة ١٦٣٧، فلم يعد يستطيع - كما قال - أن يبصر «تلك السماء، وذلك العالم، وهذا الكون الذي استطعت بفضل مشاهداتي العجيبة وبراهيني الواضحة أن أكثر منه مئات بل وآلاف المرات زيادة على ما رآه العلماء في كل العصور الماضية».

لكن ذلك كله لم يمنعه من مواصلة الكتابة ثم الإملاء. فحرر كتابه الرئيسي بعنوان:

Discorsi & Dimostrazioni matematiche, intorno a due muove scienze, attenenti alla meccanica e i movimenti locali

وكان معدا للطبع منذ سنة ١٦٣٤، وبعد محاولات عديدة لطبعه، انتهز فرصة زيارة الناشر الهولندي الشهير L. Elzeviro له في محبسه بأرشترى وأعطاه أصل الكتاب لطبعه في مدينة ليدن Leiden في هولندا، وتم ذلك في سنة ١٦٢٨.

وأملى على تلميذه فنشنتسو فيفياني Vincenzo Viviani - وكان يقيم إلى جواره منذ نوفمبر سنة ١٦٣٨ - بحثا في البرهنة على الفرض المتعلق بالحركة على السطوح المائلة. وكذلك أملى على إيفانجلستا تورتشلي Evangelista Torricelli في أكتوبر سنة ١٦٤١ حوار اليوم الخامس عن تعريفات ونظريات إقليدس (المقالة الخامسة).

وتوفي جاليليو جاليلاي في أرشترى في اليوم الثامن من يناير سنة ١٦٤٢، بعد إصابته بالحمى البطيئة.



- ويمكن تلخيص أهم اكتشافات جاليليو العلمية فيما يلي:
- ١ - قام بتحسين جهاز هولندي الصنع تستعمل فيه عدسات في أنبوبة، وكان عن ذلك التلسكوب (المقراب) الذي بفضله أمكن تقوية رؤية العين إلى درجة مكنت من رصد النجوم البعيدة.
 - ٢ - اكتشف مبدأ القصور الذاتي في الحركة، وإن كان ذلك ينسب عادة إلى ديكارت.
 - ٣ - استطاع بواسطة مقرابه أن يكتشف توابع المشتري، وأن يرسم لوحات لدوراتها.
 - ٤ - لاحظ البقع الشمسية ودرسها في ذات الوقت الذي درسها فيه ج. فابرتسيوس سنة ١٦١١.
 - ٥ - اكتشف أن المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة.
 - ٦ - اكتشف أوجه كوكب الزهرة.
 - ٧ - أدى دورا كبيرا جدا في إيجاد علم الميكانيكا بوصفها علما، وبهذا مهد الطريق لنيوتن.
 - ٨ - أسهم إسهاما كبيرا في تطبيق الرياضيات على الفيزياء، ورأى بثاقب بصره «أن الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية» على حد تعبيره الشهير.
 - ٩ - وكان من أكبر دعاة المنهج التجريبي في البحث العلمي (*).

* * *

(*) هناك ثبت بمؤلفات جاليليو وما كتب عنه من أبحاث، يستغرق الفترة من 1586 حتى 1895 وفيه 2108 عناوين بحث، وقد قام به أ. كارلي و أ. فافرو: A. Carli e A. Favaro: Bibliografia Galileiana. Rome, 1896.
وراجع عن جاليليو:

A. Banfi: Galileo Galilei-Finenze, 1931;
L. Olschki: Galileo und seine Zeit. Halle, 1927;
Stillman Drake: Discoveries and opinions of Galileo. London. 1955.



- ٢ -

جاليليو في مسرحية برشت

هذا هو جاليليو كما عرفه التاريخ. ومن يقرأ مسرحية برشت هذه يجد أن المشابه كثيرة جدا بين أحداث حياة جاليليو وبين أحداث المسرحية، لا تكاد في خطوطها العامة أن تخرج عنها. وحتى أسماء الشخصيات معظمها أسماء تاريخية، والأدوار التي مارسها متكافئة في كلا المجالين: التاريخ والمسرحية:

١ - فرجينيا، ابنة جاليليو، هي: الابنة التي آثرها أبوها بالحب، وآثرته بالحب والإخلاص. وهي هي: المرأة المتدينة، حتى أنها تاريخيا دخلت الرهبانية في سن السادسة عشرة. والخلاف هو في قصة خطبتها إلى لودفيكو مرسييلي: فهذه الحكاية اخترعها برشت، كما أنه لم يُشر إلى أنها ترهبت.

٢ - والكردينالان بلرمين وبريريني - والأخير أصبح البابا أربان الثامن - دورهما في المسرحية هو دورهما في الواقع التاريخي، لم يغير برشت فيه شيئا.

فإن بلرمين (أو بلرمينو Bellarmino كان كردينالا، ومطرانا لكبوا Capua، وعين في سنة ١٥٧٦ في الكلية الرومانية Collegio Romano أستاذًا للمسائل الجدلية، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٥٨٨. ثم عاد إلى الكلية الرومانية في ١٥٩٠ في منصب المرشد الروحي، وعين مديرا لها في ديسمبر سنة ١٥٩٢. كما عين مستشارا للديوان المقدس، وبهذه الصفة اشترك في قضية جوردانو برونو، الفيلسوف الذي قُضي بإحراقه. ومنح لقب كردينال في ٣ مارس سنة ١٥٩٩، واشترك بهذه الصفة في كل المجامع المقدسة. واشترك في كل القضايا الدينية الكبرى التي أثرت في ذلك العصر: قضية حرمان البندقية (١٦٠٦)، قضية النزاع الأنجلكاني والجاليكاني فيما يختص بسلطة البابا في الأمور الدنيوية (من سنة ١٦٠٧ إلى سنة ١٦١٢)، كما اشترك في قضية جاليليو (١٦١٥ - ١٦١٦)، وتوفي في ١٧ سبتمبر سنة ١٦٢١.

أما بريريني فهو أحد كبار رجالات أسرة بريريني المشهورة في تاريخ إيطاليا في القرن السابع عشر. والمقصود في المسرحية هو أربانو الثامن البابا، واسمه



الأصلي مافيو بربريني Maffeo Barberini الابن الخامس لأنطونيو بربريني. ولد في فلورنسه في ٥ أبريل سنة ١٥٨٨، واعتلى كرسي البابوية في ١ أغسطس سنة ١٦٢٣ واتخذ اسم «أريانو الثامن»، في أثناء بابويته عني بإصلاح أحوال الكهنوت الروماني والطرق الرهبانية. وزاد من سلطة محاكم التفتيش، فعمل على تأجيج حركة اضطهاد المفكرين ورجال الدين ذوي الآراء الحرة (دي دومينيس، مطران اسبالاتو، وتوماسو كمانلا، وكريمونيني Cremonini).

وأهم القضايا التي أثرت في عهده قضية جاليليو، على الرغم من أنه كان معجبا بجاليليو، عطوفا عليه، خصوصا أنه حصل شطرا من الرياضيات والثقافة الإنسانية وخاض غمار الحروب الدينية العديدة التي أثرت في أوروبا في عصره. وتوفي في ٩ يوليو سنة ١٦٤٤.

* * *



شخصيات المسرحية

Galileo Glailei	جاليليو جاليلاي
Andrea Sarti	أندريا سارتي
Sarti	السيدة سارتي: أم أندريا، وتقوم بخدمة جاليليو
Ludovico Marsili	لودفكو مرسييلي: شاب ثري
Priuli	السيد بريولي: مدير جامعة بادوا
Sagredo	سجريدو: صديق لجاليليو
Virginia	فرجينيا: بنت جاليليو
Federzoni	فدرتسوني: صاقل عدسات، ومساعد جاليليو
Doge	الدوج
	أعضاء المجلس
Cosimo di Medici	كوزيمو دي مدتشي: الدوق الأكبر
	لفيرنتسه
	رئيس البلاط
	اللاهوتي
	الفيلسوف
	الرياضي
	كبرى الوصيفتين
	خادم للدوق الأكبر
	راهبتان
	جنديان
	امرأة عجوز
	عالمان
	راهبان



	فلكيان
	راهب نحيف جدا
	الكردينال العجوز
Christopher Clavius	الأب كرستوفر كلافيوس: فلكي
	الراهب الصغير
	الكردينال صاحب التفتيش
Kardinal Barberini	الكردينال بريريني: الذي أصبح
	بابا باسم أوربان الثامن
Kardinal Bellarmin	الكردينال بلرمين
	كاتبان كهنوتيان
	فتاتان
Filippo Mucius	فلبو موشبيوس: عالم
Gaffone	السيد جافوني: مدير جامعة بيزا
	مطرب جوال
	زوجته
Vanni	فاني: رئيس مصنع صهر الحديد
	محضر
	موظف كبير
	شخص
	راهب
	فلاح
	حارس حدود
	كاتب
	رجال، نساء، أطفال.



(١)

جاليليو جاليلاي، أستاذ الرياضيات في بادوا، يريد أن يبرهن على صحة النظام الجديد للعالم كما تصوره كوبرنيكوس.

في عام ألف وستمائة وتسعة

شع نور العلم من بيت صغير في بادوا

إذ جاليليو بالحسابات توصل:

ليست الشمس، بل الأرض تدور.

(جاليليو في مكتبه المتواضع في بادوا . الصباح . صبي، هو أندريا، ابن ربة البيت، يحضر كوبا من اللبن وقطعة من الخبز الأبيض)

جاليليو : (وكان يغسل نصف جسمه الأعلى، مهتزا وفي طرب) ضع اللبن على المنضدة، لكن لا تغلق أي كتاب.

أندريا : أمي تقول إنه لا بد من دفع المبالغ المستحقة للبان، وإلا، يا سيدي جاليليو، فإنه سيتخذ طريقا دائريا ليتجنب منزلنا.

جاليليو : يجب أن يقال، يا أندريا، إنه سيرسم قوس دائرة.

أندريا : كما تشاء. لكن إن لم ندفع، فإنه سيبتجنينا راسما قوس دائرة، يا سيدي جاليليو.

جاليليو : والمحضر، السيد كمبيوني، سينقض علينا في خط مستقيم. فأأي طريق سيختار بين نقطتين؟

أندريا : (بابتسامة عريضة) أقصر طريق!

جاليليو : حسن. عندي شيء لك. اذهب وانظر وراء الجداول الفلكية.

(من وراء الجداول الفلكية، يُخرج أندريا نموذجا خشبيا يمثل نظام بطلميوس)

أندريا : ما هذا؟

جاليليو : هذا أسطرلاب، وهو يبين كيف تدور الكواكب حول الأرض،



- تبعاً لرأي الأقدمين.
- أندريا : كيف تسيير؟
- جالليو : لننظر. أول شيء هو: الوصف.
- أندريا : في الوسط حجر صغير.
- جالليو : إنه الأرض.
- أندريا : وحواليه أغشية متداخل بعضها في بعض.
- جالليو : كم عددها؟
- أندريا : ثمانية.
- جالليو : هذه هي أفلاك البلور.
- أندريا : وعلى الأغشية كرات مثبتة.
- جالليو : هذه هي النجوم.
- أندريا : ثم هناك أمثال الأشرطة، عليها كتابة.
- جالليو : أي كتابة؟
- أندريا : أسماء النجوم.
- جالليو : مثلاً؟
- أندريا : الكرة السفلى مكتوب عليها: القمر. وفوقها الشمس.
- جالليو : والآن، حرّك الشمس
- أندريا : (وهو يدير الأغشية) هذا جميل. لكن، كأننا في صندوق.
- جالليو : (وهو يجفف نفسه) نعم، وأنا أيضاً كان لديّ هذا الشعور حين رأيت هذا الشيء لأول مرة. بعضنا لديه هذا الشعور. (يلقي إلى أندريا بالفوطة، ليمسح له بها ظهره) جدران، أغشية، وسكون! طوال عشرين قرناً اعتقدت الإنسانية أن الشمس وجميع الأجرام السماوية تدور حول الأرض. والبابا بكردينالاته، والأمراء والأساتذة، والملاحون والتجار، وبائعات السمك، والتلاميذ. الجميع اعتقدوا أنهم ساكنون



مستقرون في كرة البلور هذه. لكن، هذه المرة، يا أندريا، سنلقي بأنفسنا في البحر الواسع لأن الزمن القديم ولّى، وها هو ذا عصر جديد. ويخيّل إلى المرء أن الإنسانية كانت، منذ مائة سنة، تنتظر شيئاً.

المدن ضيقة، والعقول كذلك. الخرافات، والطاعون. ولكن في هذه المرة نحن نقول: مادامت الأمور هكذا، فإنها لن تستمر هكذا. لأن كل شيء يتحرك، يا صديقي الصغير.

ويلد لي أن أتصور أن هذا قد بدأ بالسفن. منذ أقدم الأزمنة، لم تكن السفن تسير إلا على طول الشواطئ، وفجأة غادرتها، وقذفت بنفسها في المحيطات.

وعلى قارتنا العتيقة نشأت شائعة فجأة، تقول إنه توجد قارات جديدة. منذ أن ذهبت إليها سفننا، ترددت هذه الشائعة في القارات، فكانت هناك ضحكة عالية: ذلك أن المحيط الشاسع الذي كان الناس يخافونه صار يبدو لهم بعد ذلك، كأنه بركة من الماء. كل يوم اكتشاف جديد.

لقد تم اكتشاف الكثير، لكن لا يزال هناك ما سيكتشف بعد، مما سيكون من عمل الأجيال الجديدة.

في سيينا Siena، لما كنت صغيراً، رأيت جماعة من البنائين يرتبون الحبال بطريقة جديدة عملية، بدلاً من الطريقة القديمة لنقل كتل الجرانيت، بعد مناقشة استغرقت خمس دقائق. وفي الحال فهمت: لقد ولّى الزمان القديم، وها هو ذا عصر جديد. وعمّا قليل ستعرف الإنسانية الحقيقية عن مسكنها، هذا الجرّم السماوي الذي تسكنه. وما هو مكتوب في الكتب القديمة لم يعد يكفيها.

فهناك حيث انتقش الإيمان منذ ألف عام، انتقش الآن الشك. العالم كله يقول: نعم، هذا مكتوب في الكتب، لكن لننظر نحن بأنفسنا. والحقائق التي كانت مُسلمة بكل جد،



صارت الآن هدفا للنقد، وما لم يوضع قطل موضع الشك،
قد صار الآن هدفا للشك.

وهكذا هبَّت ريح عاتية زعزعت كل شيء، ورفعت حتى
السراويل المزركشة بالذهب التي يلبسها الأمراء وكبار
رجال الدين وصار من الممكن أن نرى تحت الرُكْب السميئة
أو الهزيلة، رُكْبًا مماثلة لركبنا. لقد تبين في نهاية الأمر أن
السماوات خاوية، وانطلقت عن ذلك ضحكة عالية.

لكن مياه الأرض تدير المناسج الجديدة، وفي ورش المواني
ومصانع الحبال والشراعات تشتغل خمسمائة يد في وقت
واحد بنظام جديد.

وأنا أتبأ بأننا سنعيش حتى نسمع الناس يتكلمون في
الأسواق عن علم الفلك، وحتى أولاد بائعات السمك الذين
سيتدافعون إلى المدارس. لأن هؤلاء الناس الذين تراهم
في مدننا متشوقون للتغيير، وسيشعرون بالرضا والارتياح
حين يرون أن علم فلك جديدًا سيجعل الأرض تتحرك.
لقد كان يقال دائما إن النجوم مثبتة في قبة من البلور حتى
تسقط. أما الآن فقد تحلينا بالشجاعة، وسندعها تتجول
في الفضاء، من دون أن تكون مُنْبَتة في شيء، وها هي ذي
تسبح في الفضاء الفسيح، مثل سفننا في البحار وهي
تجول من دون مراس.

والأرض تدور مبهجة حول الشمس، وبائعات السمك،
والتجار، والأمراء، والكرادلة، والبايا نفسه - كل الناس
يدورون معها.

أما الكون فَفَدَّ فَفَدَّ فَفَدَّ مركزه في ليلة واحدة، وفي الصباح
صارت له مراكز لا حصر لها حتى صار كل شيء مركزا،
ولا مركزا، إذا كثرت المواضع.

وسفننا تنطلق إلى الآفاق البعيدة، والنجوم تدور إلى غير



نهاية في المدارات الكبرى في الفضاء، وحتى في لعبة
الشطرنج تجول الطوابي في كل الخانات.

ماذا قال الشاعر؟ «يا له فجر جديد...»

«يا له فجر جديد!»

يا لنسم الريح يأتي

الآن من شط جديد!»

ثم، عليك أن تشرب هذا اللبن، فعمًا قليل ستبدأ الزيارات.

ما قلته لك، هل فهمته منذ أمس مساء؟

ماذا؟ حكاية كبرنيك وأشياءه التي تدور؟

نعم!

لا. ولماذا تريد مني أن أفهمها؟ إنها صعبة جدا، ولن أبلغ
من العمر الحادية عشرة إلا في أكتوبر.

ما يهمني أيضا هو أن تفهم أنت كذلك. وإذا كنت تراني
أشتغل وبدلا من دفع المبالغ المستحقة لبائع اللبن، أشتري
هذه الكتب الغالية الثمن، فذلك من أجل أن يفهم الناس.

لكني أرى بوضوح أن الشمس في المساء تتوقف في مكان
غير مكانها في الصباح. فليس من الممكن إذن أنها لا
تتحرك. مستحيل.

هكذا، وماذا ترى؟ أنت لا ترى شيئا أبدا، أنت تحملق
بعينيك فقط. والحملقة ليست هي الرؤية. (يضع في وسط
الغرفة الحامل الحديدي الذي يحمل الحوض) لنفترض أن
هذا هو الشمس. اقعدي (أندريا يقعد على أحد الكرسيين
وجاليليو يقف خلفه) أين الشمس: عن يمين؟ عن يسار؟

عن يسار.

وكيف تنتقل إلى اليمين؟

إذا جعلتها تنتقل إلى اليمين، طبعًا.



- جالليو : فقط في هذه الحالة؟ (يرفعه مع الكرسي ويجعله يدور نصف دورة). أين الشمس، الآن؟
- أندريا : على اليمين.
- جالليو : وهل تحركت؟
- أندريا : لا، طبعاً.
- جالليو : ومن الذي تحرك؟
- أندريا : أنا.
- جالليو : (صائحاً) لا، يا مغفل! الكرسي!
- أندريا : وأنا معه!
- جالليو : بالتأكيد. الكرسي هو الأرض، وأنت جالس فوقه.
- السيدة سارتي : (تدخل لترتيب السرير، وقد لاحظت المنظر) ماذا تفعل مع ولدي، يا سيد جالليو؟
- جالليو : أعلمه كيف ينظر، يا سارتي.
- السيدة سارتي : وأنت تديره في الغرفة؟
- أندريا : لا شأن لك بهذا، يا أماء. فهذا أمر لا تفهمينه.
- السيدة سارتي : آه، هكذا؟ وأنت، أنت تفهمه؟ هنا شاب يريد تلقي دروس. يلبس ثياباً فاخرة، ومعه خطاب توصية. (تعطيه الخطاب) ستفيد أندريا كثيراً، إلى حد أنه سينتهي به الأمر إلى أن يقول إن $2 \times 2 = 5$. إنه يخلط في كل ما تقوله له. أمس فقط أراد أن يبرهن لي على أن الأرض تدور حول الشمس. ويعتقد اعتقاداً جازماً أن رجلاً اسمه كبرنيك قد بين هذا بالحسابات.
- أندريا : يا سيد جالليو، ألم يبرهن على هذا كبرنيك؟ قل لها أنت بنفسك.
- السيدة سارتي : ماذا؟ هل تقول له حقاً مثل هذه الحماقات؟ حتى يذيع هذا في المدرسة، وبعد هذا يأتي القساوسة إليّ فيخبرونني أن



- ابني يهذي بخرافات؟ ألا تخجل، يا سيد جالليو؟
- جالليو : (وهو يتناول طعام الإفطار) يا سيّدة سارتي! استنادا إلى أبحاثنا وبعد مناقشات حامية قمنا، أندريا وأنا، باكتشافات لا نستطيع أن نستمر في إخفائها عن الناس. لقد بدأ عصر جديد، عصر عظيم، ما أمتع العيش فيه!
- السيدة سارتي : هكذا؟ وأرجو أن تتمكن من دفع المبالغ المستحقة علينا لبائع اللبن في عصرك الجديد هذا، يا سيد جالليو. وأرجوك ألا تردّ الشاب كما فعلت مع الآخرين. إنني أفكر في دفع ثمن اللبن. (تخرج)
- جالليو : (ضاحكا) دعيني على الأقل طوال المدة التي فيها أشربه. (مخاطبا أندريا) إذن فهمت بالأمس بعض الأشياء.
- أندريا : لقد قلت هذا لها لأبهرها. ولكن المسألة ليست بهذه البساطة. الكرسي الذي كنت أجلس عليه، كل ما فعلته هو أنك أدرته حول نفسه أفقيا، وليس هكذا. (يقوم بحركة الترجيح بذراعه) وإلا لَكُنْتُ سَقَطْتُ. هذه هي الحقيقة. فلماذا لم تحرك الكرسي ورأسي إلى أسفل؟ ذلك أن هذا سيكون برهانا على أنني سأسقط من على الأرض إذا تحركت بهذه الكيفية. لقد وَقَعْتُ في مَازِق.
- جالليو : لكني برهنت لك...
- أندريا : نعم، لكن في الليلة الماضية فكرت فوجدت أنه في هذه الحالة إذا دارت الأرض هكذا فإن رأسي في الليل سيكون في أسفل. وهذه حقيقة.
- جالليو : (وقد أخذ تفاحة من فوق المنضدة) لنفرض أن هذه هي الأرض.
- أندريا : لا تضرب أمثلة من هذا النوع، يا سيد جالليو. فيها ستستطيع التخلص باستمرار.
- جالليو : (معيدا التفاحة إلى مكانها) ليكن.
- أندريا : بواسطة الأمثلة يستطيع المرء التخلص، مادام يحسن



ضربها . والفارق هو أنني أنا لا أستطيع أن أجر أمني على كرسسي، كما تفعل أنت معي . وهكذا ترى أن المثل رديء . ثم ماذا يحدث، إذا كانت تفاحتك هذه هي الأرض؟ لا شيء يحدث أبدا .

- جالليو : (ضاحكا) يظهر أنه لا يهتم أن تعرف .
- أندريا : أَمَسْكْ بالتفاحة مرة أخرى . كيف يتأتى ألا تكون رأسي إلى أسفل في أثناء الليل؟
- جالليو : لنفرض إذن أن هذه هي الأرض، وأنت أنت هناك (يفرز في التفاحة شظية خشب أخذها من حطبة) والآن تدور الأرض .
- أندريا : والآن رأسي منكوس .
- جالليو : كيف؟ انظر جيدا . أين الرأس؟
- أندريا : (وهو يشير إلى نقطة في التفاحة) هناك، في أسفل .
- جالليو : كيف؟ (يدير التفاحة في الاتجاه العكسي) أليس في المكان نفسه؟ أوليست القدمان في أسفل؟ أو هل أنا أقيمك منتصبا حينما أديرك، هكذا؟
- (يسحب شظية الخشب من التفاحة ويديرها)
- أندريا : لا . لكن لماذا لا أحسّ بأي ثقل؟
- جالليو : لأنك تدور مع الأرض . أنت، والهواء الذي فوقك، وكل من على الكرة .
- أندريا : ولكن لماذا يخيلُ إلى المرء أن الشمس هي التي تدور؟
- جالليو : (وهو يدير التفاحة من جديد بواسطة شظية الخشب المغروسة فيها) إذن أنت ترى الأرض تحتك، وهي كما هي، دائما في أسفل، وبالنسبة إليك يبدو أنها لا تتحرك . لكن، انظر الآن من فوقك الآن، المصباح فوق رأسك، ولكن حينما أدبرت التفاحة فما هو الشيء الذي فوق الرأس، وبالتالي هو في أعلى؟
- أندريا : (مصاحبا الحركة) الموقد .



- جالليو : والمصباح، أين هو؟
- أندريا : هذا عظيم، هذا سيدهشها.
- جالليو : (يدخل لودفكو مرسيلي، وهو شاب من أسرة موسرة)
- لودفكو : هذا البيت مثل برج الحمام.
- جالليو : صباح الخير يا سيدي. أنا اسمي لودفكو مرسيلي.
- لودفكو : (وهو يتفحص خطاب التّوصية) : كُنْتُ في هولندا؟
- جالليو : سمعت عنك كثيرا يا سيد جالليو.
- لودفكو : لأسرتك أرض في كميانيا.
- جالليو : تمننت أمي عليّ أن أحتك بالدنيا، ابتغاء رؤية الأشياء الجديدة... الخ.
- جالليو : وفي هولندا سمعتهم يقولون إن الجديد في إيطاليا مثلا هو أنا؟
- لودفكو : ولما كانت أمي تريد مني أن أحتك قليلا بالعلوم.
- جالليو : دروس خصوصية: عشرون اسكوده في الشهر.
- لودفكو : حسن جدا يا سيدي.
- جالليو : بماذا تهتم؟
- لودفكو : بالخيل.
- جالليو : هيه! هيه!
- لودفكو : رأسي لم يخلق للعلوم، يا سيدي جالليو.
- جالليو : هيه! هيه! في هذه الحالة تدفع خمسة عشر اسكوده.
- لودفكو : حسن جدا، يا سيد جالليو.
- جالليو : لا بد من أن يكون درسك في الصباح الباكر. وستكون أنت الضحية، يا أندريا. طبعاً الدرس الخاص بك سيُلقى. وأنت فاهم، لأنك لا تدفع.
- أندريا : حسن، أنا ذاهب. هل أستطيع أخذ التفاحة؟



- جالليو : نعم .
(أندريا يخرج)
- لودفكو : معي يجب عليك أن تكون صبورا . الصعوبة الكبرى هي أنه في العلوم لا شيء يجري كما يشير به الفهم العليم . خذ مثلا تلك الأنوبة الغربية التي تباع في أمستردام . لقد فحصتها بدقة . يدٌ منّ الجلد الأخضر وعدستان، واحدة هكذا (يده ترسم عدسة مقعرة)، والأخرى هكذا (يده ترسم عدسة محدبة) . ويقال إن الواحدة تكبّر، والأخرى تصغّر . وأي إنسان عاقل يتخيل أنهما تتعادلان . كلا . فمن خلال هذا الجهاز يرى الشيء مكبرا خمس مرات . هذا هو العلم الذي تريده، يا سيدي .
- جالليو : أي شيء يرى مكبرا خمس مرات؟
لودفكو : أبراج نواقيس، حمام . كل ما هو بعيد .
- جالليو : هل رأيتها أنت بنفسك هذه الأبراج المكبرة؟
لودفكو : بالتأكيد، يا سيدي .
- جالليو : والأنبوبة فيها عدستان؟ (يخطط رسما «كروكيا» على ورقة) هكذا؟ (لودفكو يوافق بهز رأسه) متى ظهر هذا الاختراع؟
لودفكو : قبيل سفري من هولندا بأيام قليلة، على كل حال لم يظهر في السوق إلا منذ وقت قصير .
- جالليو : (بشيء من التودد) ولماذا علم الطبيعة بالذات؟ لماذا لا تدرس تربية الخيل؟ (السيدة سارتي تدخل من دون أن يراها جالليو)
- لودفكو : أمّي تقول إن قليلا من العلم لا غنى عنه .. في هذه الأيام الناس جميعا يهتمون بالعلم .
- جالليو : يمكنك أن تتعلم لغة من اللغات القديمة، أو اللاهوت: فهذا أسهل عليك (وقد تنبه إلى وجود السيدة سارتي) حسن، تعال صباح الثلاثاء (لودفكو يذهب) . لا تتطلمي فيّ هكذا . فقد وافقت على التدريس له .



- السيدة سارتي : لأنك أبصرتني في الوقت المناسب. إن مدير الجامعة ينتظرك في الخارج.
- جالليو : دعيه يدخل. إنه مهم. ربما أحصل على خمسمائة اسكوده، وفي هذه الحالة لن أكون في حاجة إلى إعطاء دروس خصوصية. (السيدة سارتي تدعو المدير إلى الدخول. ارتدى جالليو كل ثيابه، وهو يكتب بعض الأرقام على قطعة من الورق) صباح الخير. أقرضني نصف اسكوده. (يعطي السيدة سارتي قطعة النقود التي استخرجها مدير الجامعة من حافظة نقوده) يا سيدتي سارتي، ابعتي أندريا إلى صاقل العدسات لإحضار عدستين. المقاييس هناك، على هذه الورقة. (السيدة سارتي تخرج ومعها الورقة)
- المدير : أتيت للتحدث معك بشأن طلبك زيادة مرتبك إلى ألف اسكوده. لكن يؤسفني ألا أعطي الرأي بالموافقة للجامعة. أنت تعلم جيدا أن محاضرات الرياضيات لا تجتذب العدد الكبير إلى الجامعة. هذه واقعة حقيقية. ذلك أن الرياضيات صناعة لا توفر الكسب الكافي لصاحبها. وليس ذلك لأن الجمهورية لا تقيم لها وزنا كبيرا، فإن الرياضيات وإن لم تكن لا غنى عنها مثل الفلسفة، ولا مفيدة مثل اللاهوت، فإنها تحقق لدارسها لذات لا حد لها.
- جالليو : (مكبا على أوراقه) يا عزيزي، أنا لا أستطيع أن أعيش بخمسمائة اسكوده.
- المدير : لكن، يا سيد جالليو. أنت تلقي درسين في الأسبوع بمعدل ساعتين لكل درس. وشهرتك النادرة تحوّل لك الحصول على أي عدد من التلاميذ القادرين على دفع أثمان الدروس الخصوصية. ألا تلقي دروسا خصوصية؟
- جالليو : يا سيدي العزيز، عندي الكثير جدا. إعطاء دروس خصوصية، دائما دروس، وأين إذن سأجد الوقت الكافي للاطلاع والإفادة؟ يا إلهي! لست كواحد من هؤلاء السادة



الأساتذة في كلية الفلسفة، هؤلاء الأذكىاء، أنا غبيّ. لا أفهم شيئاً في أي شيء. ولهذا فإنني مضطر إلى سد الثغرات في معلوماتي لكن أين أجد الوقت لذلك؟ وأين أجد الوقت للقيام بالأبحاث؟ أنا يا سيدي يحتاج علمي إلى مزيد من العلم. فيما يتعلق بالمشكلة الكبرى ليس لدينا حتى الآن غير فروض. وما نطالب به أنفسنا هو البراهين، فكيف السبيل إلى أن أتقدم في هذا المجال، إذا كنت مضطراً، من أجل لقمة العيش، إلى أن أكرر لأبي غبيّ عنده الوسيلة لدفع الثمن، أن المتوازيات تلتقي عند النهاية؟

ينبغي ألا تنسى أنه إذا كانت جمهوريتنا ربما لا تدفع بالسخاء نفسه الذي يدفعه بعض الأمراء، فإنها في مقابل ذلك تضمن حرية البحث. ونحن في جامعة بادوا نسمح حتى للبروتستانت بالحضور كمستمعين! ونعطيهم الدكتوراه. خذ مثلاً الأستاذ كريمونيني Cremonini: ليس فقط نحن لم نسلمه لمحاكم التفتيش لما أن برهنوا لنا، أقول برهنوا يا سيد جاليليو، على أنه كان يلقي بآراء مخالفة للإيمان، بل ورفعنا مرتبه، حتى في هولندا يعرفون عنا ذلك. البندقية هي الجمهورية التي لا قيمة فيها لمحاكم التفتيش. ولهذا الأمر قيمته بالنسبة إليك، فأنت عالم فلك، وبالتالي ميدان تخصصك من الميادين التي فيها مذهب الكنيسة لا يعامل بالاحترام الواجب.

والأستاذ جوردانو برونو Giordano Bruno؟ لقد كان هنا، وأنتم الذين أسلمتموه إلى روما. لا لشيء إلا لأنه نشر آراء كوبرنيكوس.

ليس لأنه نشر آراء كوبرنيكوس هذا، وهي مع ذلك آراء فاسدة، ولكن لأنه لم يكن من أهالي البندقية، ولم يشغل أي وظيفة هنا. فدع إذن من أحرقوه في روما حيث هم. ولا أكتفك أنه على الرغم من الحرية التي تسود هنا، فمن

المدير :

جاليليو :

المدير :



الأفضل لك ألا تذكر عالياً مثل هذا الاسم، الذي حلت عليه اللعنة الصريحة للكنيسة. ولا هنا. لا. ولا هنا.

جالليو : حمايتكم لحرية الفكر هذه أمر جميل جداً. وبفضل هذه الحجة، وهي أن محاكم التفتيش تسيطر في الأماكن الأخرى وتحكم بالإحراق، صار عندكم أساندة أفضل. أنتم تحمون من محاكم التفتيش، لكنكم تدفعون أقل مما يدفع الآخرون، وبهذا توفرون.

المدير : هذا إفك، إفك فاحش! وماذا يفيدك أن يكون عندك كل الوقت للبحث، إذا كان أي راهب جاهل من رجال التفتيش يستطيع أن يمنع ويصادر أفكارك؟ لا ورد بلا شك، ولا أمير بدون رهبان يا سيد جالليو.

جالليو : وفيم تفيد حرية البحث، إذا أعوز الفراغ للقيام بالبحث؟ وماذا يصنع بالنتائج؟ ألا تستطيع أن تُري هؤلاء السادة، أعضاء المجلس الأعلى، هذه الأبحاث المتعلقة بقوانين سقوط الأجسام (يريه إضبارة من الأوراق المخطوطة) وتسألهم: ألا تساوي هذه مزيداً من الاسكودات القليلة؟

المدير : هذا يساوي الكثير جداً، يا سيد جالليو.
جالليو : لا، ليس الكثير جداً، بل فقط خمسمائة اسكوده زيادةً، يا سيدي العزيز.

المدير : يساوي اسكودات ما يَدْرُ اسكودات. إذا كنت تريد نقوداً، فعليك أن ترينا شيئاً آخر. أما فيما يتعلق بالعلم الذي تريد بيعه، فينبغي ألا تطلب عنه أكثر مما يَدْرُه على من يشتريه. خذ مثلاً الفلسفة التي يبيعها الأستاذ كولومب في فيرننتسه: إنها تدر على الأمير عشرة آلاف اسكوده على الأقل في العام الواحد. صحيح أن قوانينك الخاصة بسقوط الأجسام قد أثارت ضجة، وفي براج وباريس الكل يصفقون لك بحماسة. لكن هؤلاء المصفقين لا يدفعون



لجامعة بادوا شيئاً نظير ما تكلفها أنت. مصيبتك، يا سيد جالليو، هي في تخصصك.

جالليو : فاهم: السوق الحرة، والبحث الحر. وبالجملة، السوق الحرة للبحث، أليس كذلك؟

المدير : أوه، يا سيد جالليو! كيف تتصور الأمور! اسمح لي بأن أقول لك إنني لا أفهم تماماً أجوبتك الساخرة هذه. ولا يتضح لي ما العيب في ازدهار تجارة جمهوريتنا. ولكني، وأنا مدير للجامعة منذ سنوات طويلة، لا أسمح لنفسي بالكلام بهذه اللهجة عن البحث، هذه اللهجة - واسمح لي بأن أقولها - غير اللائقة. (جالليو يلقي نظرة مضطربة على مكتبه) فكّر فيما يجري في سائر أنحاء إيطاليا، فكّر في الاستبداد الذي يذل العلوم ويبيكها في كثير من المواطنين. هناك يؤخذ جلد المجلدات العتيقة لتُصنع منه سيور للسياط. هناك ما يجب معرفته ليس هو كيف يسقط الحجر، ولكن ماذا قال أرسطو في هذا. والعيون فائدتها الوحيدة هي للقراءة. وفيم تقيد القوانين الجديدة الخاصة بسقوط الأجسام، إذا كان الشيء الوحيد الذي يهم هو القوانين الخاصة بفض الركوع والانحناء؟ قارن بهذا كله السرور الذي لا حد له الذي به تستقبل جمهوريتنا آراءك، مهما تكن جريئة. لا أحد يراقبك، ولا أحد يضطهدك. وتجارنا - وهم يعرفون، في المنافسة مع فيرننتسه، أهمية تحسين نوع المنسوجات - يستمعون إليك باهتمام حين تعلن قائلاً: «حسنوا علم الطبيعة»، ويعرفون كم يدين علم الطبيعة لهذا التحسين لوسائل النسيج؟ إن البارزين من مواطنينا يهتمون بأبحاثك ويزورونك، ويرحبون بالاطلاع على اكتشافاتك، مع أن وقتهم ثمين جداً. لا تحتقر التجارة، يا سيد جالليو. لا أحد يسمح هنا بالتشويش عليك في عملك، أو أن يخلق لك الصعوبات غير المختصين. اعترف يا سيد جالليو بأنك تستطيع العمل هاهنا.



- جالليو : (يائسا) نعم .
- المدير : وفيما يتعلق بالجانب المادي، عليك أن تبتكر لنا شيئاً
بديعاً مثل فرجار التناسب الذي اخترعته، والذي بفضل
يمكن الإنسان - من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن
الرياضيات - (يعد على أصابعه) أن يرسم منحنيات، وأن
يحسب الفوائد المركبة لرأس المال بنسخ مستويات مساحية
على مقياس رسم أصغر أو أكبر، وأن يحدد وزن دانات
المدافع.
- جالليو : هذه لعبة أطفال .
- المدير : اختراعٌ أدهش كبار المواطنين، ودرّ نقداً سائلاً، أتسميه لعبة
أطفال؟! ولقد قيل لي إنه بهذه الآلة نفسها استطاع حتى
الجنرال استفانو جريتي أن يستخرج الجذور التربيعية!
- جالليو : معجزة، الحقيقة يابريولي Priuli أنك جعلتني أفكر.
بريولي، ربما عندي لك شيء من النوع الذي تتكلم عنه.
(يأخذ من فوق المنضدة الورقة المرسومة فيها رسم كروكي)
- المدير : صحيح؟ هذا سيرتب كل شيء (ينهض واقفاً) نحن نعلم،
يا سيد جالليو، أنك عقل ممتاز. ممتاز ولكنه غير راض
أبداً، إذا جاز لي هذا التعبير.
- جالليو : نعم أنا غير راض أبداً، ولو فهمت الأمور، لوجدت أن عدم
الرضا هذا يستحق زيادة في المرتب. لأنني غير راض... عن
نفسي. لكن بدلاً من هذا، تفعلون كل المطلوب من أجل أن
يتحول عدم رضاي ضدكم. وأنا أعترف، يا سادة البنديقية،
بأنني لست ساخطاً على أنني واحد في ترسانتكم الشهيرة
وفي ورشكم البحرية ومصانع المدافع. لكنكم لا تتركون
لي الوقت اللازم الكافي لعمل التأمل الذي يلجّ عليّ دائماً
ويجعلني أتقدم في تخصصي نفسه. وتقيدون الثور الذي
يدرس حبوب حقولكم. عمري الآن ست وأربعون سنة، ولم



- أحقق حتى الآن شيئاً أَرْضاه لنفسي .
- المدير : في هذه الحالة، لا أود أن أضايقك أكثر.
- جالليو : شكرا .
- (يذهب المدير . يبقى جالليو وحده لحظات ويشعر في العمل . يدخل أندريا بان دفاع)
- جالليو : (من دون أن يقطع عمله) لماذا لم تأكل التفاحة؟
- أندريا : بهذه أود أن أثبت لها أن الأرض تدور .
- جالليو : عليّ أن أقول لك شيئاً يا أندريا: لا تتكلم عن أفكارنا مع الناس .
- أندريا : لماذا؟
- جالليو : السلطات لا تريد هذا .
- أندريا : لكن، مادامت هذه هي الحقيقة؟
- جالليو : صحيح، لكنها لا تريد . وفي مسألتنا هذه هناك سبب آخر . فنحن، علماء الطبيعة، لسنا قادرين باستمرار على سوق البرهان على ما نعتقد أنه حق . وحتى نظرية كوبرنيكوس العظيم لم يبرهن عليها بعد . إنها مجرد فرض . أعطني العدسات .
- أندريا : لم يَكفُ نصفُ الاسكوده . فاضطررتُ أن أترك هناك معطفي رهنا .
- جالليو : وماذا تصنع في الشتاء بدون معطف؟
- (صمت . جالليو يرتب العدسات على الورقة التي فيها الرسم الكروكي)
- أندريا : لكن ما هو الفرض؟
- جالليو : هو أن نقر بأن شيئاً ما محتمل، لكن من دون أن تكون لدينا الوقائع التي تثبته . خذ مثلاً فيلشيا، هناك أمام دكان القفاص ومعها طفلها يرضع: إذا قلنا إنها تعطي الطفل



لبناء، وليس الطفل هو الذي يعطيها اللبن، فإن هذا القول يظل فرضاً مادماً لم نذهب إلى هناك ونشاهد ونحصل على الدليل. وأمام النجوم نحن مثل دود الأرض، بعيون ضعيفة لا ترى الكثير. والنظريات القديمة التي اعتقد الناس صحتها طوال ألف عام، هي على الاستعداد للانهار، وفي هذه الأبنية الهائلة من الخشب أقل مما في السواند المفروض فيها أنها تسندها كميات من القوانين لتفسير القليل جداً من الأشياء، بينما الفرض الجديد لا يتضمن غير قليل من القوانين لتفسير كميات من الأشياء.

- أندريا : لكنك برهنت لي على كل شيء.
- جاليليو : لقد أثبت فقط أن هذا ممكن. الفرض جميل، ولا شيء ضده.
- أندريا : وأنا أيضاً، يا سيد جاليليو، أريد فيما بعد أن أصبح عالم طبيعة.
- جاليليو : أعتقد هذا، خصوصاً أن هناك مسائل عديدة جداً يجب إيضاحها في ميداننا هذا. (ذهب إلى النافذة ونظر من خلال العدسات. وبدون حماسة كبيرة) انظر قليلاً في هذا، يا أندريا.
- أندريا : يا للعدراء مريم المقدسة! كل الأشياء تقترب. برج الناقوس يُرى قريباً جداً. وفي وسعي أن أقرأ الحروف على النحاس: «الحمد لله».
- جاليليو : هذا يساوي خمسمائة اسكوده بالنسبة إلينا.

* * *



(٢)

(جالليو يهدي إلى جمهورية البندقية اختراعا جديدا)

ما كل ما فعل العظيم عظيما
جالليو يأكل وافرا مسرورا
والآن اسْمَع، واطرح كلَّ الغضب
اسْمَع حقيقة آلة المقرب

الترسانة الكبرى في ميناء البندقية.

أعضاء المجلس، وعلى رأسهم الدوج. وفي ناحيته يقف سجريدو، صديق جالليو، وفرجينيا جاليلاي، وعمرها ١٥ سنة، تحمل مخدة من المخمل عليها عدسة طولها نحو ٦٠ سنتيمترا، موضوعة في غلاف من الجلد الأحمر الغامق. جالليو واقف على منصة. وخلفه حامل العدسة، وبالقرب منه صاقل العدسات فدرتسوني مشغولا

جالليو : صاحب السعادة، أيها المجلس النبيل. منذ قيامي بتدريس الرياضيات في جامعتكم، جامعة بادوا، وإدارتي لترسانتكم الكبيرة في مدينة البندقية هذه، كنت أحسب من واجبي ليس فقط أن أؤدي مهمتي الجامعية النبيلة بأمانة وإخلاص، بل وأيضا، أن أهين لجمهورية البندقية الوقور أرباحا غير عادية بفضل اختراعات مفيدة. وفي وسعي اليوم، والسرور يغمر نفسي، وبكل الاحترام الواجب لكم، أن أعرض عليكم آلة جديدة تماما، هي المقرب (التلسكوب)، وقد حققتها في ترسانتكم الشهيرة وفقا للمبادئ العليا لعلم الطبيعة والإيمان المسيحي. وهي ثمرة سبعة عشر عاما من الأبحاث المتصلة التي قام بها من يُشرفه أن يكون خادمكم المتواضع جدا والمخلص جدا. (جالليو يترك المنبر، ويأتي إلى قرب سجريدو. (تصفيق)

(جالليو ينحني لسجريدو هامسا) إنني أضئع وقتي!



سجريدو : (بصوت خفيض) يا صاحبي، سيكون في مقدورك أن تدفع ما عليك للجزار.

جالليو : صحيح، هذا سي جلب لهم نقودا.
(يحيي من جديد)

المدير : (وهو يرتقي المنصة) صاحب السعادة، أيها المجلس النبيل! مرة أخرى تكتب صفحة من المجد في سجل الفنون والصناعات بأحرف خطتها يد بندقية. (تصفيق مهذب) عالم مشهور في العالم كله يهدي إليكم، وإليكم وهدكم، أنبوية رائجة البيع جدا، لتنتجوا منها وتلقوا بإنتاجكم في السوق كما تشاءون. (تصفيق أشد). وهل لاحظتم أنه في وقت الحرب سنستطيع، بفضل هذه الآلة، أن نعرف أبناء سفن العدو: عددها ونوعها، نعرفها أسبق من معرفتهم لسفننا بساعتين، حتى أننا وقد عرفنا قواتهم نستطيع أن نقرر: هل نطاردهم، أو نخوض معركة معهم، أو نهرب منهم. (تصفيق حاد) والآن، يا صاحب السعادة، ويا أيها المجلس النبيل، إن السيد جالليو يلتمس منكم أن تفضلوا بقبول هذه الآلة التي اخترعها، والتي تشهد بعبقريته، قبلها من يدي ابنته الجميلة.

(موسيقى. فرجينيا تتقدم، وتحنى، وتعطي المدير المقراب، وهذا بدوره يقدمه لفدرتسوني. وفدرتسوني يضعه على الحامل ويصوبه. والدوج وأعضاء المجلس يصعدون على المنصة وينظرون من خلال المقراب)

جالليو : (بصوت خفيض) لا أستطيع أن أعذك بتحمل هذه الألاعيب حتى النهاية. انظر إليهم. إنهم يعتقدون أنهم تلقوا ألعوبة صغيرة ستدر عليهم أرباحا طائلة، إن الأمر أهم بكثير. هذه الأنبوية، في الليلة الماضية، صوبتها نحو القمر.

سجريدو : وماذا رأيت؟



- جالليو : القمر لا يضيء بنفسه .
- سجريدو : كيف؟
- المستشارون : يا سيد جالليو، إنني أستطيع أن أرى تحصينات سنتا روزيتا Santa Rosita هناك، على السفينة، يتناولون وجبة الغداء. سمك مقلي. هذا يسيل لعابي.
- جالليو : أقول لك إن علم الفلك توقف منذ ألف سنة بسبب عدم وجود عدسات.
- عضو في المجلس : السيد جالليو!
- سجريدو : الكلام موجه إليك.
- عضو في المجلس : يمكن المرء أن يبصر جيدا بواسطة هذا الجهاز. وعليّ أن أقول لأهلي أن يَكْفُوا بعد الآن عن الاستحمام فوق السطح.
- جالليو : هل تعرف ممّ يتكون نهر المجرّة؟
- سجريدو : لا.
- جالليو : أنا أعرف.
- عضو في المجلس : جهاز مثل هذا، يا سيد جالليو، يمكن أن يطلب المرء فيه عشر اسكودات.
- (جالليو ينحني)
- فرجينيا : مقتادة لودفكو إلى أبيها) يا أبي، لودفكو يوّد أن يهنّتك .
- لودفكو : (بتلغثم وحرّج) تهانيّ، يا سيدي .
- جالليو : لقد أصلحته .
- لودفكو : بالتأكيد، يا سيدي! لقد لاحظت أنك طليبت الغلاف بالأحمر. في هولندا، كان أخضر.
- جالليو : (ملتفتا إلى سجريدو) وإنني أسائل نفسي عما إذا كنت أستطيع أن أبرهن، بواسطة هذا الجهاز على صحة نظرية معينة.
- سجريدو : فكّر فيما تقول .



- المدير : يا جالليو! الخمسمائة اسكوده صارت في جيبيك .
- جالليو : (من دون أن يوجه انتباهه إليه) طبعاً، أنا محتاط جداً من الوصول إلى نتيجة سابقة على الأوان.
- (الدوج، رجل بدين متواضع، يقترب، وبهيبية متلعثمة يحاول أن يوجه إليه الكلام)
- المدير : يا سيد جالليو، صاحب السعادة الدوج.
- (الدوج يصافح بشدة كف جالليو)
- جالليو : صحيح، الخمسمائة اسكوده. إذن هم راضون يا صاحب السعادة؟
- الدوج : من المحزن في جمهوريتنا أنه يجب مع شيوخنا المتحوظين أن يقدم لهم حجة قبل أن نستطيع أن ندس لعلمائنا بعض المنح.
- المدير : ومن ناحية أخرى، يا سيد جالليو، ماذا تريد لمزيد من التشجيع وحفز المهمة؟
- الدوج : (بابتسامة) لا بد لنا من حجة.
- (الدوج والمدير يقتادان جالليو إلى أعضاء المجلس الذين يحاصرونه. أما فرجينيا ولودفكو فيبتعدان ببطء)
- فرجينيا : هل فعلت كما ينبغي؟
- لودفكو : نعم، كما ينبغي، في نظري.
- فرجينيا : ماذا جرى لك؟
- لودفكو : أوه! لا شيء! ربما كان الغلاف الأخضر يؤدي الغرض نفسه.
- فرجينيا : أعتقد أنهم جميعاً راضون عن والدي.
- لودفكو : وأنا أعتقد أنني بدأت أفهم شيئاً في علم الطبيعة.

* * *



(٣)

(١٠ يناير سنة ١٦١٠: بواسطة المقراب، يكتشف جاليليو في السماء ظواهر تبرهن على صحة نظرية كوبرنيكوس. صديقه يحذره من نتائج أبحاثه، ولكن جاليليو يؤمن بالعقل الإنساني وقدراته.

في العاشر من يناير
عام ألف وستمئة وعشر
اكتشف جاليليو
أن السماء غير موجودة

مكتب جاليليو في بادوا. الوقت ليل. جاليليو وسجريدو وهما ملفوفان بمعاطف ثقيلة، بالقرب من المقراب)

سجريدو : (وهو ينظر من خلال المقراب بصوت خفيض) الحافة الداخلية للهلال غير منتظمة، مسننة، مملوءة بالنتوءات. وفي الجانب المظلم، بالقرب من الحافة المضيئة، توجد نقط ضوئية. تظهر الواحدة بعد الأخرى. وابتداء من هذه النقط، ينتشر الضوء وينبسط على سطوح تزداد اتساعا، حيث تلحق بالمسطح المضيء الكبير.

جاليليو : كيف تفسر نقط الضوء هذه؟

سجريدو : هذا غير ممكن.

جاليليو : نعم، هذه جبال.

سجريدو : جبال فوق نجم!

جاليليو : جبال هائلة، قَمَمها دَهَبَتْها الشمسُ المشرقة، بينما حولها لايزال الليل يُلقِي ظلامه على السفوح. ما تراه هو الضوء الذي ينزل من أعلى القمم إلى عمق الأودية.

سجريدو : لكن هذا يتناقض مع عشرين قرنا من علم الفلك!

جاليليو : تماما. ما تراه لم يره أحد من قبل، غيري أنا. وأنت ثاني إنسان.



- سجريدو : لكن من المستحيل أن يكون القمر أرضا ذات جبال وأودية، كما أنه من المستحيل أن تكون الأرض نجما .
- جالليو : من الممكن أن يكون القمر أرضا ذات جبال وأودية، ومن الممكن أن تكون الأرض نجما: مجرد جرم سماوي، بين آلاف الأجرام، ولا شيء أكثر من هذا. هل أنت ترى الجزء المظلم مظلما تماما؟
- سجريدو : كلا. الآن وقد ركزت انتباهي فأني أرى فيه ضوءا ضعيفا، ضوءا رماديا .
- جالليو : وهذا الضوء ماذا عسى أن يكون؟
- سجريدو : ؟؟؟
- جالليو : إنه قادم من الأرض .
- سجريدو : غير معقول. كيف يتأتى للأرض أن تكون مضيئة بجبالها وغاباتها وأنهارها، وهي جسم بارد؟
- جالليو : بالطريقة نفسها التي بها القمر مضيء. لما كان كلا الكوكبين مضيئا بالشمس، فهذا يجعلهما مضيئين. وما القمر بالنسبة إلينا إلا كما نحن بالنسبة إلى القمر. والقمر يرانا أحيانا على هيئة هلال، وأحيانا نصف دائرة، وأحيانا دائرة كاملة، وأحيانا لا يرانا أبدا .
- سجريدو : إذن لا فارق بين القمر والأرض؟
- جالليو : لا فارق، كما يظهر.
- سجريدو : منذ أقل من عشر سنوات، أُحرق رجل في روما. وكان اسمه جوردانو، وكان هذا تماما هو ما قرره.
- جالليو : بالتأكيد. ونحن نرى الأمر بوضوح. ركز عينك في العدسة، يا سجريدو. ما تراه هو أنه لا فرق بين السماء والأرض. نحن اليوم في العاشر من يناير سنة ١٦١٠. والإنسانية سجّلت في سجلها: «اليوم حذفنا السماء».
- سجريدو : هذا مخيف.



- جالليو : لقد اكتشفتُ شيئاً آخر، شيئاً ربما كان أكثر إثارة للدهشة.
- السيدة سارتي : (وهي تدخل) المدير!
(المدير يدخل في لهفة)
- المدير : معذرة عن المجيء في ساعة متأخرة. سأكون ممتناً إذا استطعتُ الكلام معك وحدك.
- جالليو : يا سيد بريولي، كل ما أستطيع سماعه يستطيع السيد سجريدو أيضاً سماعه.
- المدير : ربما لا يسرك أن يسمع هذا السيد الحكاية. إنه لأمر مع الأسف لا يمكن أبداً تصديقه.
- جالليو : اعلم أنه حين يكون السيد سجريدو معي فإنه متعود سماع أمور لا يمكن تصديقها.
- المدير : أنا خائف من الأمر، خائف تماماً. (وهو يشير إلى المقرب) هذا هو الجهاز إياه! هذا الجهاز تستطيع أن تلقي به في المهملات. لا فائدة منه، أبداً.
- سجريدو : (وكان يتمشى باضطراب محموم) وكيف؟
- المدير : هل تعرف أن اختراعك هذا المزعوم، الذي قدمته على أنه ثمرة سبعة عشر عاماً من البحث، يمكن شراؤه باسكودات قليلة في كل أنحاء إيطاليا؟ وفوق هذا، هو مصنوع في هولندا. وفي هذا الوقت بالذات هناك سفينة هولندية تفرغ في الميناء مجموعة من خمسمائة وحدة من جهازك هذا.
- جالليو : صحيح؟
- المدير : أنا لا أفهم السر في هدوتك يا سيدي.
- سجريدو : ماذا يحزنك؟ اعلم أن السيد جالليو قد استطاع بهذا الجهاز أن يكتشف في هذه الأيام اكتشافات عن عالم النجوم ستقلب كل شيء.



- جالليو : (ضاحكا) يمكنك أن تنظر، يا بريولي.
- المدير : إذن فلتعلم أن اكتشافي يكفيني: أنا الذي وافقت على مضاعفة مرتب السيد الجليل جالليو، من أجل هذه القطعة من الحديد الخردة. والسادة أعضاء المجلس، الذين اعتقدوا أنهم بهذه الآلة قد أمّنوا للجمهورية امتلاك شيء لا يمكن صناعته إلا هنا، ويمكنهم إذا نظروا فيها أن يشاهدوا بائعا جوالا بسيطا مكبرا سبع مرات وهو يبيع في أقرب زاوية من الشارع، هذه الأنبوبة نفسها تباع بما يساوي ثمن قطعة من الخبز.
- (جالليو يضحك ضحكة رنانة)
- سجريدو : يا سيدي بريولي العزيز، لا شك في أنني لا أستطيع الحكم الصحيح على القيمة التجارية لهذه الآلة، لكن قيمتها بالنسبة إلى الفلسفة كبيرة جدا إلى حد..
- المدير : بالنسبة إلى الفلسفة! وما شأن السيد جالليو بالفلسفة، وهو عالم رياضيات؟ يا سيد جالليو؟ لقد اخترعت منذ مدة للمدينة مضخة ماء جيدة، وجهاز الري هذا يعمل بكفاءة تامة. والنساجون هم الآخرون لا يتحدثون عن ماكينتك هذه إلا بكل خير. فكيف كنتُ أتوقع منك مثل هذه الضريبة؟
- جالليو : رفقا، يابريولي. إن الطرق البحرية لاتزال بطيئة، قليلة الأمان، وغالية التكاليف. ويعوزنا نوع من الساعات في السفن. وعندي من الأسباب ما يجعلني أفترض أنه بفضل هذا المقرب يمكن رصد بعض النجوم ذوات الحركات المنتظمة جدا. خرائط جديدة للسماء، يا بريولي، ستوفر للملاحه الملايين من الاسكودات.
- المدير : كفى، كفى. كفاني أنني سمعت كلامك مرة أكثر مما ينبغي. وبدلا من أن تشكر لي فضلي جعلت مني هُزأة المدينة. وستبقى ذكراي عند الناس ذكري مدير احتيل عليه بعدسة



هي سلعة رديئة. لك الحق في أن تضحك! أنت، لقد حصلت على الخمسمائة اسكوده التي طالبت بها. أما عن نفسي فأني أستطيع أن أقول لك، ومن يقول لك هذا هو رجل شريف: إن العالم الذي أعيش فيه يثير في نفسي الاشمئزاز (يخرج قارعا الباب من خلفه)

جالليو : في غضبه يصير شَبَهَ لطيف. هل سمعت: عالمٌ يستحيل فيه عقد صفقات مادية، هذا العالم يثير في نفسه الاشمئزاز!

سجريدو : هل كنت على علم بهذه الآلات الهولندية؟

جالليو : نعم، بالسماع. لكنني صنعت لهؤلاء الأشخاص أعضاء المجلس الأعلى آله أفضل بعشر مرات. كيف يمكنني أن أشتغل، والمحضر في غرفتي؟ وفرجينيا، وقد أن الأوان لإعداد جهازها، إنها قليلة الحظ من الذكاء. ثم إنني أحب شراء الكتب، وليس فقط في علم الطبيعة. كما أنني أحب الأكل الجيد. ففي أثناء الطعام الجيد تتثال على الأفكار يا له من عصر فاسد! إنهم لم يعطوني حتى مقدار ما يعطونه للحوزي الذي ينقل براميل الخمر. أربعة أحمال حطب وقودا من أجل دروس لمدة ساعتين أسبوعيا في الرياضيات! والآن قد انتزعت منهم خمسمائة اسكوده، لكن بقيت علي ديون مطلوب دفعها، بعضها مستحق من عشرين سنة. كل ما أريده هو خمس سنوات من الهدوء للقيام بأبحاثي. وحينئذ سأحصل على كل البراهين، أود أن أريك شيئا آخر.

سجريدو : (وهو يتردد في الاقتراب من المقراب) يا جالليو، أشعر بما يشبه الخوف.

جالليو : سأريك الآن واحدا من هذه الضبابات اللامعة اللبينة التي تكوّن المجرة. قل لي، من أي شيء تتكون؟

سجريدو : من نجوم، يستحيل إحصاؤها.



جالليو : فقط في كوكبة الجوزاء يوجد خمسمائة نجم ثابت. هذه هي العوالم العديدة، العوالم التي لا حصر لها، والنجوم البعيدة التي تكلم عنها هذا الذي أحرقوه. إنه لم يرها، ولكنه توقعها.

سجريدو : لكن حتى لو فرضنا أن هذه الأرض التي نحن عليها هي كوكب، فإننا لانزال بعيدين عن أقوال كوبرنيكوس الذي يرى أنها تدور حول الشمس. إذ لا يوجد في السماء كوكب يدور حول كوكب آخر. لكن، وفق علمي، حول الأرض يدور القمر.

جالليو : إنني أسائل نفسي، يا سجريدو. منذ أمس وأنا أسائل نفسي. خذ المشتري (يصوّب المقراب) هناك بالقرب منه أربعة نجوم أصغر منه لا يمكن رؤيتها إلا بالمقراب. شاهدتها يوم الاثنين، لكن من دون أن ألتفت إلى مواقعها. وأمس عاودت النظر إليها. وكان في وسعي أن أقسم على أن النجوم الأربعة غيرت مواقعها. سحبت مواقعها. فتغيرت مواقعها أيضا. ماذا يحدث؟ ومع ذلك رأيت أربعة. (بدهشة كبيرة) انظر، وقل لي.

سجريدو : أرى ثلاثة.

جالليو : أين الرابع إذن؟ هذه هي الرسوم. لا بد أن نحسب الحركات التي قامت بها.

(يجلسان في احتياج شديد ويأخذان في العمل. المسرح يصبح مظلمًا، لكن لا يزال يشاهد في الأفق المشتري وتوابعه. وحينما يضاء من جديد، يُرى الرجلان لا يزالان جالسين. وهما يلبسان معاطف شتوية)

جالليو : تم البرهان. الإمكان الوحيد هو أن النجم الرابع انتقل إلى الجانب الآخر من المشتري بحيث لم يعد مرئيا. وهكذا لديك كوكب يدور حول كوكب آخر.

سجريدو : والغلاف البلّوري الذي يوجد فيه المشتري؟



- جالليو : صحيح، أين هو الآن؟ في أي شيء يوجد المشتري، إذا كانت هناك نجوم أخرى تدور حوله؟ ليس في السماء نقطة ارتكاز وليس في الكون مرساة! لدينا شمس جديدة.
- سجريدو : هديء نفسك! أنت تتعجل البرهنة.
- جالليو : كيف أتعجل؟ تحمس! فإن ما تراه هناك لم يره أحد من قبل. لقد كانوا على صواب.
- سجريدو : من؟ أنصار كوبيرنيكوس؟
- جالليو : وكذلك الرجل الآخر. العالم كله كان ضدهما، وهما اللذان كانا على صواب. هذا شيء من أجل أندريا. (في حماسة شديدة يهرع إلى الباب ويصرخ صائحا): سيدة سارتي! سيدة سارتي!
- سجريدو : يا جالليو، هديء من روعك.
- جالليو : يا سجريدو، تحمس. سيدة سارتي!
- سجريدو : (مزيجا المقرب) ألا تتوقف عن النهيق عاليا كالمجانين؟
- جالليو : وأنت ألا تتوقف عن القبوع هناك كالحطبة، في الوقت الذي فيه انكشفت الحقيقة؟
- سجريدو : لست قابعا كالحطبة، بل أنا أهتمز من فكرة أن هذه ربما كانت الحقيقة.
- جالليو : ماذا؟
- سجريدو : هل فقدت كل عقلك؟ هل صرت عاجزا عن فهم ما تخاطر بالوقوع فيه لو صح ما ترى، ولو رحت تصيح في كل مكان بأن الأرض جرم سماوي، وليست مركز العالم؟
- جالليو : نعم، وأنه ليس كل هذا الكون الهائل، بكل أجرامه السماوية، هو الذي يدور حول أرضنا الصغيرة جدا، كما كان الكل يعتقدون.
- سجريدو : وإذن ليس هناك غير أجرام سماوية! إذن أين الرب؟



- جالليو : ماذا تريد أن تقول؟
- سجريدو : والرب؟ أين الرب؟
- جالليو : (غاضبا) إنه ليس هناك في أعلى، على كل حال! لن نعرثر عليه هناك في أعلى، كما أن الناس الذين في أعلى لن يجدوه هاهنا .
- سجريدو : وفي هذه الحالة، أين الرب؟
- جالليو : هل أنا لاهوتي؟ أنا رياضي .
- سجريدو : قبل كل شيء، أنت إنسان . وأنا أسألك: أين الله في نظامك هذا؟
- جالليو : في داخل نفوسنا، أو ليس في أيّ مكان .
- سجريدو : (صائحا) مثل ما قال ذلك الذي أحرقوه؟
- جالليو : نعم، كما قال ذلك الذي أحرقوه .
- سجريدو : إنهم أحرقوه لهذا السبب عينه، منذ أقل من عشر سنوات!
- جالليو : لأنه لم يقدم الدليل . كان يقرر فقط . يا سيدة سارتي!
- سجريدو : جالليو، لقد عرفتك دائما رجلا ماكرا . طوال سبع عشرة سنة في بادوا وثلاث سنوات في بيزا كنت تدرس - من دون تبرّم - لمئات التلاميذ نظام بطلميوس الذي أعلنته الكنيسة وأيده الكتاب المقدس الذي هو أساس الكنيسة . لقد كنت ترى هذا النظام زائفا، متفقا في ذلك مع كوبرنيكوس، وعلى الرغم من هذا كنت تقوم بتدريسه .
- جالليو : لأنه لم يكن عندي أدلة .
- سجريدو : (غير مقتنع) وهل تظن أن هذا يحدث فرقا؟
- جالليو : فرقا هائلا جدا . أنت ترى، يا سجريدو، أنني أثق بالإنسان، ومعنى هذا أنني أثق بعقله . وبدون هذه الثقة لن تكون لديّ القدرة على النهوض في الصباح من فراشي .



سجريدو : أما أنا فأقول لك عن نفسي: إنني لا أثق. أربعون عاما قضيتها بين الناس قد جعلتني دائما أتبين أنهم لا يستمعون لصوت العقل. أرهم الذنب الأحمر لنجم مُدُنَّب، وأثر فيهم جزعا صامتا - تجدهم يقفزون من النافذة ويكسرون سيقاتهم. لكن قل لهم شيئا معقولا، وسق لهم عشرات البراهين، تجدهم يسخرون منك.

جالليو : هذا خطأ فاحش، وافتراء. ولا أفهم، وأنت تعتقد هذا الاعتقاد، كيف تستطيع أن تحب العلم. الموتى وحدهم هم الذين لا تؤثر فيهم البراهين والأدلة.

سجريدو : كيف تخلط بين خبثهم المثير للشفقة وبين العقل؟

جالليو : أنا لا أتكلم عن خبثهم ودهائهم. أنا أعلم جيدا أنهم يسمون الحمار فرسا حين يريدون بيعه، ويسمون الفرس حمارا حين يريدون شراءه. هذا هو كل خبثهم. أما العجوز التي تعطي البغل حزمة زائدة من العلف بيدها الخشنة عشية السفر، والملاح الذي يتوقع حدوث العاصفة والسكون الساكن، حينما يشتري الزاد للسفينة، والطفل الذي يكبس طاقيته حين يشار إليه بأن المطر سيسقط - هؤلاء الناس هم أملي، إنهم عقلاء. نعم، لدي ثقة في الضغط الرقيق الذي يمارسه العقل على الناس. وبمرور الزمن لا يملكون شيئا ضده. لن يسكت أحد. (يرمي بحصاة فتسقط على الأرض) إذا سقطت الحصاة وقلت: إنها لم تسقط. لا لن يستطيع أحد ذلك، إن الإغراء الصادر عن برهان لا يمكن أن يقاوم. الكل تقريبا لا بد أن يسلموا به في نهاية الأمر. إن التفكير يؤلف جزءا من أكبر اللذات التي يستشعرها الجنس البشري.

السيدة سارتي : (وهي تدخل) هل أنت في حاجة إلى شيء يا سيد جالليو؟

جالليو : وقد عاد إلى المقرب وأخذ يسجل ملاحظات، بلهجة ودية للغاية) نعم، أنا في حاجة إلى أندريا.



- السيدة سارتي : أندريا؟ هو في فراشه بسبيل النوم.
- جالليو : ألا تستطيعين إيقاظه؟
- السيدة سارتي : لكن ماذا تريد منه؟
- جالليو : أريد أن أطلع على شيء يسره. سيرى شيئاً لم يره إنسان من قبل، منذ أن وجدت الأرض، فيما عدانا نحن الاثنين.
- السيدة سارتي : لا بد أنه شيء مما يُرى بأنبوبتك هذه.
- جالليو : تماما. بأنبوبتي. يا سيدة سارتي.
- السيدة سارتي : ومن أجل هذا عليّ أن أوقظه في جنح الليل؟ هل أنت مجنون؟ إنه في حاجة إلى الليل لينام. أما أن أوقظه، فهذا مستحيل.
- جالليو : صحيح؟
- السيدة سارتي : تماما.
- جالليو : في هذه الحالة، يا سيدة سارتي، ربما تستطيعين أنت أن تساعديني. لقد وقعنا على مسألة لم نصل فيها إلى اتفاق، ربما لأننا قرأنا الكثير من الكتب. مسألة تتعلق بالسماء، مسألة تتعلق بالنجوم. وها هي ذي: ما هو الأكثر احتمالا: أن يدور الشيء الكبير حول الصغير، أو الصغير حول الكبير؟
- السيدة سارتي : (بتشكك) معك يا سيد جالليو لا يشعر المرء أبدا باطمئنان. هل هذا سؤال جاد، أو تريد فقط أن تسخر مني؟
- جالليو : المسألة جد .
- السيدة سارتي : إذن فخذ الجواب في الحال. هل أنت الذي تقدم لي الطعام، أو أنا الذي أقدم لك الطعام؟
- جالليو : أنت التي تقدمين إليّ طعامي. وأمس كان شائطا.
- السيدة سارتي : ولماذا كان شائطا؟ لأنك ألزمتني بإحضار حذائك حينما كنت مشغولة بطهو الطعام. ألم أحضر لك حذاءك؟



- جالليو : ممكن .
- السيدة سارتي : من بين كلينا أنت الذي درست ويمكن أن تدفع الأجرة للآخر .
- جالليو : فاهم، فاهم، هذا ليس صعبا . صباح الخير يا سيدة سارتي . (السيدة سارتي تخرج مبتهجة) وبعد هذا يقال إن ناسا مثلها لا يستطيعون إدراك الحقيقة؟ إنهم متعطشون إليها كأنها خبز جيد . (ناقوس يبدأ في الدق معلنا عن القداس الأول . تدخل فرجينيا متدثرة بمعطف وفي يدها مصباح
- فرجينيا : صباح الخير، يا أبي .
- جالليو : لماذا استيقظت؟
- فرجينيا : أنا ذاهبة مع السيدة سارتي لحضور قداس الساعة السادسة صباحا . ولودفكو سيذهب أيضا . هل كانت الليلة حسنة يا والدي؟
- جالليو : كانت صافية .
- فرجينيا : هل يمكنني النظر فيه؟
- جالليو : لماذا؟ (فرجينيا لا تعرف بماذا تجيب) هذه ليست لعبة .
- فرجينيا : لا، يا والدي .
- جالليو : ثم إن هذه الأنبوبة خدعة كبيرة ، هكذا ستسمعين الناس يقولون في كل مكان . إنها تباع في الشارع بثلاث اسكودات، وقد سبق اختراعها في هولندا .
- فرجينيا : ألم تطلعك على شيء جديد في السماء؟
- جالليو : لا شيء يشوقك . مجرد بقع صغيرة غامضة على يسار نجم كبير، ولا بد لي من أن أجد الوسيلة للفت النظر إليها . (وهو يتحدث إلى سجريدو من فوق رأس فرجينيا) أستطيع أن أسميها الكواكب المدتشية، باسم الدوق الكبير في فيرننتسه . (مخاطبا فرجينيا) قد يهملك يا فرجينيا أن



تعلمي أننا راحلون إلى فيرننتسه. كتبت رسالة إلى هناك
أسأل فيها هل لدى الدوق الكبير وظيفة من أجلي، رياضيا
في البلاط.

فرجينيا : (مبتهجة) في البلاط؟

سجريدو : جاليليو!

جاليليو : يا صديقي، أنا في حاجة إلى الفراغ، أنا في حاجة إلى
براهين. وأريد نصيبي من صحن العدس. في هذا المنصب
لن أعود في حاجة إلى تكرار نظام بطلميوس في دروس
خصوصية. سيكون عندي الوقت، الوقت لنفسى، يا
سجريدو، من أجل تحرير براهيني. لأن ما عندي حتى
الآن غير كاف. لا قيمة له، مجرد أعمال غير منسقة،
لا أستطيع بها أن أتقدم إلى العالم. لم أعر بعد على
أي برهان على أن ثمة جرما سماويا يدور حول الشمس.
لكني سأتي بالبراهين، البراهين التي ستفرض نفسها على
كل الناس، من الأمّ سارتي حتى البابا على عرشه. الشيء
الوحيد الذي يقلقني هو أن البلاط لا يعطيني منصبا.

فرجينيا : من المؤكد أنك ستعطى منصبا، يا أبى! مع النجوم الجديدة
والباقي!

جاليليو : اذهبي لحضور القداس. (فرجينيا تخرج) من النادر أن
أكتب إلى شخصيات كبيرة. أظن أنني أحسنت؟

(يعطي الرسالة إلى سجريدو)

سجريدو : (يقرأ - بصوت عال - نهاية الرسالة التي أعطاه إياها
جاليليو) «... إذ ليس أعز عندي من أن أكون بقريكم، يا من
شمسه البازغة ستكون نور الدنيا بأسرها». الدوق الكبير
عمره تسع سنوات.

جاليليو : تماما. يبدو لي أنك تجد رسالتي مملوءة بالتذلل. وأنا
على العكس من ذلك أسألك نفسي: هل فيها من التذلل ما



ينبغي، واما إذا كان فيها تحفظ، وكأنه يعوزني الإخلاص الكافي. مَنْ برهن على نظرية أرسطو له الحق في أن يستخدم أسلوبا متحفظا، أما أنا، فلا. بل لا بد لرجل مثلي أن يزحف على بطنه ليصل إلى مكانة محترمة. وأنت تعلم جيدا أنني أحتقر أولئك الذين لا تستطيع عقولهم أن تملأ بطونهم.

(السيدة سارتي وفرجينيا تمران بالقرب منهما من دون أن تتوقفا وهما في طريقهما إلى القديس)

- سجريدو : يا جالليو، لا تذهب إلى فيرننسه.
- جالليو : لماذا؟
- سجريدو : لأن الرهبان هم السادة هناك.
- جالليو : في بلاد فيرننسه علماء مشهورون.
- سجريدو : ناس مستعدون لعمل أي شيء.
- جالليو : سأمسك بهم من آذانهم وأجرهم إلى هذه الأنبوبة. وحتى الرهبان، يا سجريدو، هم بشر. هم أيضا ينهارون أمام إغراء البراهين. ولا تنس أن كويرنيكوس التمس منهم أن يثقوا بحساباته بعيونهم. حين يكون الحق ضعيفا غير قادر على الدفاع عن نفسه، فلا بد له أن ينتقل إلى الهجوم. سأمسك بهم من آذانهم وأرغمهم على النظر بهذه الأنبوبة.
- سجريدو : يا جالليو، أراك تسلك طريقا مروعا. اللعنة على الليلة التي فيها يرى الإنسان الحقيقة! لحظة عمى، تلك التي فيها يثق بعقل الإنسان! عمى يقال إنه يمشي مفتوح العينين؟ عمى يسعى إلى هلاكه. وأنتى للأقوياء أن يدعوا حرا من يعرف الحقيقة، حتى لو كانت هذه لا تتعلق إلا بالنجوم القصية؟
- لو قلت للبابا إنه مخطئ، فهل تعتقد أنه سيسمع إلى حقيقتك لا إلى قولك له «أنت مخطئ»؟ وهل تعتقد



أنه سيكتفي بأن يسجل على ألواح: « ١٠ يناير سنة ١٦١٠ إلغاء السماء»؟ كيف يخطر ببالك أن تترك هذه الجمهورية، والحق في جيبك، لتلقي بنفسك والأنبوية في يدك، في حباتل الأمراء والرهبان؟ أنت القليل الثقة فيما يتعلق بالعلم، ما بالك ساذجا كالطفل في كل ما يبدو أنه يساعدك على ممارسته؟! أنت لا تثق بأرسطو، أما الدوق الكبير فأنت تثق به. منذ قليل وأنا أشاهدك بالقرب من أنبوبتك تشاهد النجوم الجديدة، خُيل إليّ أني أراك تتلوى على حطب مشتعل، وحينما قلت: «أنا أثق بالبراهين»، خُيل إلى أنني أتشم رائحة اللحم المشوي. أنا أحب العلم، لكنني أحبك أكثر، يا صديقي القديم، يا جاليليو، لا تذهب إلى فيرننسه.

إذا أرادوني، فإنني سأذهب.

جاليليو

(على ستارة تبدو الصفحة الأخيرة من الرسالة)

«وحين أجرؤ على أن ألعب النجوم الجديدة التي اكتشفتها بلقب أسرة مدتشي، لا يفوتني أن ألاحظ أنه إذا كان الانتساب إلى السماء ذات النجوم يضيف المزيد من المجد على الآلهة والأبطال، فإن الاسم السامي لآل مدتشي هو الذي سيضمن لهذه النجوم شهرة لا تمحى. وأما عن نفسي، وأنا أذكركم بأنني واحد من أخلص خادميكم، فإنني سأعد دائما أن أعز ما أعتز به هو أنني ولدتُ واحدا من رعاياكم، إذ ليس أعز عندي من أن أكون بقريكم، يا من شمسها البازغة ستكون نور الدنيا بأسرها».

جاليليو جاليلاي



(٤)

(غيّر جاليليو مقامه في جمهورية البندقية إلى بلاط فيرننتسه. وهناك اصطدمت اكتشافاته - التي توصل إليها بمقراه - بالإنكار من جانب العلماء .

«أنا ما قد كان دوما»

هكذا قال القديم .

«صِرْتُ لَا تَصْلُحُ، فَادْهَبْ»

هكذا قال الجديد .

منزل جاليليو في فيرننتسه. في مكتب جاليليو، السيدة سارتي تهيئ كل شيء من أجل استقبال مدعوين. وابنها أندريا جالس يرتب خرطاً للسماء)

السيدة سارتي : منذ وصلنا إلى فيرننتسه هذه، ولم نفرغ من المجاملات والنفاق. كل المدينة تمر أمام هذه الأنبوبة، وبعدها أستطيع التنظيف. وكل هذا لا يؤدي إلى شيء. لو كانت في هذه الاكتشافات ذرة من الحقيقة، فمن أولى بمعرفتها من رجال الكنيسة؟ لقد اشتغلت أربع سنوات عند مونسنيور فلبو، ولم أفرغ قط من تنظيف التراب المتراكم على كتبه. مجلدات ترتفع حتى السقف، وليس فيها قصائد. وهذا المونسنيور الهمام كان في مقعدته رطلان من الجروح الناجمة عن استمراره قاعدا على كل هذا العلم. أفمثل هذا الرجل لا يعرف أين الحقيقة؟ واليوم هو يوم التفتيش الكبير وغدا لن أجرؤ مرة أخرى على التطلع في وجه اللبان. كنت أعرف ما كنت أقوله حين نصحته بأن يقدم وليمة عظيمة لهؤلاء السادة، وفخذة فخمة من لحم الضأن، قبل أن ينظروا في أنبوبته. أنت تتكلم! (تقلد جاليليو) «عندي لهم شيء آخر». (قرع على باب الشارع. السيدة سارتي تتطلع في مرآة النافذة) يا إلهي،



ها هو الدوق الكبير نفسه! وجاليليو لا يزال في الجامعة!
(تنزل السلم بسرعة وتدخل دوق توسكانيا الكبير، كوزمو دي
مدتشي، يصحبه كبير الياوران ووصيفتان)

- كوزمو : أريد أن أرى الأنبوبة.
- كبير الياوران : هل يفضل سموك فينتظر حتى يحضر السيد جاليليو
وبقية السادة؟ (مخاطبا سارتي) السيد جاليليو أراد أن
يقوم السادة علماء الفلك بفحص النجوم التي اكتشفها
والتي تسمى الكواكب المدتشية.
- كوزمو : إنهم لا يعتقدون في الأنبوبة أبدا. أين هي؟
السيدة سارتي : هناك فوق، في قاعة المكتب.
(الولد يشير برأسه، ويشير إلى السلم، وبإشارة من السيدة
سارتي يصعد السلم بسرعة)
- كبير الياوران : (وهو رجل عجوز جدا) يا صاحب السمو! (مخاطبا السيدة
سارتي) هل من الضروري صعود هذا السلم؟ لقد أتيت
فقط لأن المربي مريض.
- السيدة سارتي : لا خطر بالنسبة إلى السيد الفتى، وابني موجود فوق.
كوزمو : (وهو يدخل الغرفة العليا) مساء الخير!
(ينحني الصبيان باحترام. صمت. ثم يأخذ أندريا في
العمل)
- أندريا : (بنفس لهجة أستاذه جاليليو) الزحام هنا كما في برج
الحمام.
- كوزمو : كثير من الزوار؟
أندريا : إنهم يأتون إلى هاهنا، يجرون شحمهم، ويفتحون عيونهم
هكذا، ولكنهم لا يفهمون في الأمر شيئا.
- كوزمو : فاهم. أهذه هي...
(يشير إلى الأنبوبة)



- أندريا : نعم، هاهي ذي. لكن، حاسب. لا تمسسها!
- كوزمو : وهذا، ما هذا؟
- (يشير إلى النموذج الخشبي لنظام بطلميوس)
- أندريا : هذا نظام بطلميوس.
- كوزمو : إنه يبين كيف تدور الشمس، أليس كذلك؟
- أندريا : نعم، هذا ما يقولونه.
- كوزمو : (وقد جلس على كرسي، وأخذ النموذج الخشبي على ركبتيه) إن معلمي مصاب بذكاء. لهذا استطعت المجيء مبكرا. هذا المكان لطيف.
- (أندريا لا يقف في مكانه، ويدور في الغرفة بخطى مترددة، ناظرا إلى هذا الصبي الذي لا يعرفه نظرة غير مطمئنة. وأخيرا، حين لم يتمالك مقاومة الإغراء، سحب من خلف كومة من الخرائط نموذجا آخر، هو نموذج نظام كوبرنيكوس)
- أندريا : لكن بالطبع الأمر يجري على هذا النحو.
- كوزمو : أي أمر؟
- أندريا : (مشيرا إلى النموذج الذي مع كوزمو) يظن الناس أن الأمر يجري هكذا، ولكن (وهو يشير إلى النموذج الذي معه) الحقيقة أنه يجري هكذا. الأرض هي التي تدور حول الشمس، فاهم؟
- كوزمو : تعتقد حقا؟
- أندريا : وكيف! لقد ثبت هذا بالبرهان.
- كوزمو : صحيح؟ أود أن أعرف لماذا لم يسمحوا لي بالدخول عند العجوز. بالأمس كان مع مدعويين إلى العشاء.
- أندريا : يبدو أنك لا تصدق هذا؟
- كوزمو : بلى، بالتأكيد.



- أندريا : (مشيرا فجأة إلى النموذج الذي يحمله كوزمو على ركبتيه)
هات هذا، أنت لا تستطيع حتى أن تفهم هذا.
- كوزمو : لست في حاجة إلى الاثني في وقت واحد .
- أندريا : أعطني هذا . إنه ليس لعبة للأطفال الصغار .
- كوزمو : إنني لا أمتنع من إعطائك إياه، لكن عليك أولاً أن تكون مؤدباً، فاهم؟
- أندريا : أنت أبله، وبأدب أو بغير أدب، أعطني هذا وإلا أريتك .
- كوزمو : لا تمسسنني، فاهم؟
- أندريا : (يتضاربان، وبعد قليل يتمرغان على الأرضية)
سأريك كيف يعامل النموذج . استسلم!
- كوزمو : لقد انكسر . لقد لويت يدي .
- أندريا : سنرى من هو الذي على صواب . قل إنه يدور، وإلا لكمتك .
- كوزمو : أبدا . آخ، يا أشعل! سأعلمك الأدب .
- أندريا : أشعل؟ أنا أشعل؟
- (يواصلان معركتهما في صمت . في أسفل يدخل جاليليو وكثير من أساتذة الجامعة . وخلصهم فدرتسوني)
- كبير الياوران : يا سادة، توقعك خفيف منع السيد سوريو، معلّم صاحب السمو، من مصاحبة صاحب السمو .
- اللاهوتي : أرجو ألا يكون مرضه خطيراً .
- كبير الياوران : لا خطر منه أبدا .
- جاليليو : (وعليه أمارات خيبة الأمل) وصاحب السمو؟ هل هو موجود؟
- كبير الياوران : صاحب السمو موجود فوق . من فضلكم لا داعي للتأخير . البلاط يتحرق من أجل معرفة رأي الجامعة الشهيرة في الآلة العجيبة التي اخترعها السيد جاليليو، وفي الكوكبة (المجموعة الكوكبية) الجديدة .



يصعدون. الصبيّان لايزالان على الأرضية وقد سكنا
حينما سمعا الضجة في أسفل)

كوزمو : ها هم أولاء. دعني أنهض.

(ينهضان بسرعة)

الزوار : (وهم يصعدون) كلا، كل شيء على ما يرام : كلية الطب
تقرر تقريراً قاطعاً أن الحالات التي لوحظت في المدينة
القديمة لا يمكن أن تكون حالات طاعون. والأبخرة
ستتجمد بالضرورة، وذلك نظراً إلى الحرارة الموجودة.
أسوأ شيء في هذه الحالة هو أن يمتلك الناس الذعر..
مجرد موجة الزكام المعتادة في مثل هذا الفصل من السنة.
لا شيء مشتبه فيه.. كل شيء على ما يرام.

(لما وصلوا إلى أعلى، ألقوا التحية)

جاليليو : أنا سعيد، يا صاحب السمو، أن أستطيع أن أطلع رجالات
الجامعة، في حضرتكم، على الاكتشافات الجديدة.

(كوزمو ينحني بأدب رسمي متجهاً إلى كل النواحي، وحتى
أمام أندريا)

اللاهوتي : (وقد شاهد النموذج المحطم لنظام بطلميوس) يبدو أن ثم
شيئاً قد تحطّم. (كوزمو ينحني بسرعة ويعطي أندريا النموذج
بأدب، بينما جاليليو يرتب شأن النموذج الآخر خلسة)

جاليليو : (أمام المقراب) سموّك يعلم من غير شك، أن حساباتنا نحن
الفلكيين تصطدم منذ زمان بعيد بصعوبات كبيرة. ونحن
نستعمل فيها نظاماً قديماً جداً، يلوح أنه على اتفاق تام مع
مبادئ الفلسفة، لكنه مع الأسف لا يتفق مع الوقائع. وفقاً
لهذا النظام، نظام بطلميوس، يُعزى إلى حركات النجوم
عقيد شديد. فوفقاً له، الكوكب فينوس (الزهرة) مثلاً
يقوم بحركة من هذا النوع. (يرسم على لوحة مدار الزهرة
وفقاً لنظام بطلميوس) لكن حتى لو أقررنا بحركات معقدة



كهنه، فإننا لن نستطيع التنبؤ بمواقع النجوم، إذ لا نجدها في المواقع التي ينبغي أن تكون فيها. يضاف إلى هذا بعض الحركات السماوية التي لا يستطيع نظام بطلميوس تفسيرها. فهذا شأن الحركات التي تقوم بها النجوم الصغيرة التي اكتشفتها بالقرب من جوبتر (المشتري). هل تودون، ياسادة، أن نبدأ بإلقاء نظرة على توابع المشتري^(*)، المسماة بالكواكب المدتشية؟

أندريا : (مشيرا إلى الكرسي المستدير أمام المقراب) تفضل اجلس.

الفيلسوف : شكرا، ولدي، أخشى ألا يكون الأمر بهذه البساطة. يا سيد جاليليو، قبل الانتقال إلى تطبيقات مقرابك الشهير هذا، هل تسمح بالدخول في مناقشة موضوعها: هل يمكن وجود مثل هذه الكواكب؟

الرياضي : نعم، مناقشة منظمة.

جاليليو : كنت أتصور أنكم ستكتفون بإلقاء نظرة من خلال هذه العدسة، ثم تحكمون بأنفسكم.

أندريا : على هذا الكرسي، من فضلك.

الرياضي : مؤكد، مؤكد. إنك لا تجهل أن من رأي الأوائل أنه من المستحيل تصور وجود كواكب دوراتها لا تتخذ الأرض مركزا لها، وكذلك وجود نجوم من دون ارتكاز في السماء.

جاليليو : من غير شك.

الفيلسوف : وحتى من دون أن أتوقف للبحث فيما إذا كان من المتصور وجودها، وهو ما يبدو أن زميلي الرياضي (ينحني في اتجاه الرياضي) يضعه موضع الشك، فإنى أود بكل

(*) معظم الكواكب السيارة لها توابع تتناسب مع قدر الكوكب: فلكل من زحل والمشتري - وهما أكبر الكواكب السيارة التسعة - توابع، ولأورانوس توابع، وهكذا. والمعتقد هو أن التوابع هي في الأصل قطع انتزعت من الكواكب السيارة، كما انتزعت الكواكب السيارة من الشمس.



تواضع، بوصفي فيلسوفاً، أن أثير السؤال التالي: هل مثل هذه النجوم ضرورية؟ إن الكون عند أرسطوطاليس الإلهي(*)...

- جاليليو : أو ليس الأولى بنا أن نستعمل اللغة الجارية؟ إن زميلي السيد فدرتسوني لا يفهم اللاتينية.
- الفيلسوف : هل من المهم أن يفهمنا؟
- جاليليو : نعم.
- الفيلسوف : معذرة. كنت أعتقد أنه مجرد صَقَّال عدساتك.
- أنديا : وفي الوقت نفسه عالم.
- الفيلسوف : شكرا يا ولدي. إذا كان السيد فدرتسوني حريصا...
- جاليليو : أنا، أنا حريص على هذا.
- الفيلسوف : سنتقد المحاجة روعتها، لكن هذا البيت بيتك. إن الكون كما وصفه أرسطو الإلهي، بما فيه من انسجام سري يؤلفه أفلاكه وقيابه البلورية، وبالذرة الدائرية لأجرامه السماوية، وبميل المدار الشمسي، وبأسرار ألواح حركة التتابع، وبالعدد الهائل من النجوم التي يثري منها ثبُت نصف الكرة الجنوبي، وبالبناء للماع لكرة أورانوس - هذا الكون بناء محكم الترتيب فائق البهاء إلى حد ينبغي معه ألا تُخَلُّ بما فيه من انسجام.
- جاليليو : ومع ذلك، فهل يتفضل صاحب السمو بالنظر إلى هذه النجوم التي يقولون إنه لا يمكن تصورها ولا داعي لها، النظر إليها من خلال هذه العدسة؟
- الرياضي : هذا يغري بالرد عليك بأن أنوبتك هذه، وهي ترى شيئاً لا يمكن وجوده، هي آلة غير جديرة بالثقة. فاهم؟
- جاليليو : ماذا تريد بهذا التعريض؟

(*) هذه الجملة الأخيرة، باللاتينية: Aristotel's divini universum



- الرياضي : انظر يا سيد جاليليو: إنه يفيدك أكثر لو تسوق البراهين التي تحملك على افتراض أنه في الفلك الأعلى لسماء الثوابت يمكن أن تتحرك نجوم من دون أن تكون مثبتة في شيء.
- الفيلسوف : براهينك، يا سيد جاليليو، براهينك!
- جاليليو : براهيني؟ تكفي نظرة واحدة إلى النجوم نفسها، وأرصادي التي سجلتها، من أجل إيضاح المسألة. يا سيدي العزيز، إن المناقشة صارت غير معقولة.
- الرياضي : لو كنا واثقين بأنك لن تزداد انفعالا، لقلنا إنه بين ما يوجد في أنبوبتك وما يوجد في السماء يمكن أن يكون هناك فارق.
- الفيلسوف : هذه أرقّ طريقة للتعبير.
- فدرتسوني : هم يظنون أن الكواكب المدتشية نحن الذين رسمناها على العدسة.
- جاليليو : هل تتهماني بالاحتيال؟
- الفيلسوف : أنى لنا أن نفعل ذلك، ونحن بحضرة صاحب السمو؟
- الرياضي : ألتك، سواء كانت ابنتك، أو لنقل بالأحرى ابنتك المتبناة، بارعة الصنع من غير شك.
- الفيلسوف : ونحن واثقون، يا سيد جاليليو، بأنه لا أنت ولا أي إنسان ما كان له أن يتجرأ على أن يزين بالاسم المجيد لبيت أمراء نجومها وجودها ليس بمنأى عن كل شك.
- (الجميع ينحنون انحناء عميقة أمام الدوق الكبير)
- كوزمو : (موجها الخطاب إلى الوصيفتين) هل في كواكبي شيء من الاختلال؟
- كبرى الوصيفتين : كلاً، كل شيء على ما يرام في كواكب سموك. إن هؤلاء السادة يتساءلون فقط عما إذا كانت هذه الكواكب موجودة حقا.
- (صمت)



- صغرى الوصيفتين : أو لا يقولون إنه يمكن بهذه الآلة رؤية عجلات «المركبة»(*)؟
- فدرتسوني : نعم، وكذلك كل ما عند «الثور»(**)
- جاليليو : إذن يا سادتي، هل تريدون أن تنتظروا، أو لا؟
- الفيلسوف : بكل تأكيد، بكل تأكيد،
- الرياضي : بكل تأكيد.
- (صمت. فجأة يدير أندريا ظهره راغبا في الخروج، مخترقا القاعة بشكل آلي. أمه تقفه عند الباب)
- السيدة سارتي : ماذا جرى لك؟
- أندريا : إنهم مغضوبون جدا .
- (يتخلص منها ويهرب)
- الفيلسوف : هذا الولد جدير بالشفقة.
- كبير البايوران : يا صاحب السمو، يا سادة، هل أذكركم بأن حفلة الرقص الكبرى في القصر ستبدأ بعد ثلاثة أرباع الساعة؟
- الرياضي : فيم كل هذه البهلوانيات؟ عاجلا أو آجلا لا بد للسيد جاليليو من الإذعان لكلمة الحق. إن توابع المشتري من شأنها أن تخرق غلاف الفلك. هذا أمر واضح بنفسه.
- فدرتسوني : ستندesh من قولي: لا يوجد غلاف فلك.
- الفيلسوف : أي كتاب مدرسي سيقول لك إنه موجود يا صاحبي.
- فدرتسوني : إذن فلتؤلف كتب مدرسية أخرى.
- الفيلسوف : يا صاحب السمو! إن زميلي الجليل وأنا نستند إلى قول أرسطوطاليس الإلهي هو نفسه.
- جاليليو : (في شبه إذعان) يا أصحابي، إن الثقة بأرسطو العظيم شيء، والوقائع الملموسة شيء آخر. أنتم تقولون إنه تبعا

(*) ويسمى الدب الأكبر، وهي مجموعة كوكبية شكلها يشبه المركبة.
(**) برج من البروج بين الحمل والتوأمن حافل بالنجوم وأبرز مجموعاته الثريا.



لأرسطو العظيم ثمة أغلفة بلورية، وأن بعض الحركات مستحيلة إذن، لأن النجوم في هذه الحالة من شأنها أن تخرق الأغلفة. لكن إذا تهيأ لكم أن تشاهدوا هذه الحركات بأنفسكم، فما قولكم؟ ربما دعاكم هذا إلى التفكير في أن الأغلفة البلورية هذه لا وجود لها. يا أصحابي الأعزاء، أرجوكم بكل تواضع أن تتقوا بعيونكم.

الرياضي : يا عزيزي جاليليو، يحدث لي أحيانا أن أقرأ أرسطو - وإن بدا هذا أمرا عفاً عليه الزمن - وأؤكد لك أنني أتق بعيني.

جاليليو : تعودت أن أرى السادة في كل الكليات يغلون عيونهم أمام الوقائع، وكأنها غير موجودة. أريهم أرسادي فيبتسمون، وأدعوهم إلى استعمال عدستي حتى يقتنعوا، فيذكرون لي أرسطو. لكن أرسطو لم تكن لديه هذه العدسة!

الرياضي : ليكن، ثم ماذا؟

الفيلسوف : (بجلال) إذا أريد هاهنا تمرير أرسطو في الوحل، وهو الحجة التي اعترف بها ليس فقط كل كبار العقول في العصر القديم، بل وأيضا آباء الكنيسة أنفسهم، فإنه يبدو لي من اللغو، على كل حال، أن نتابع المناقشة. إنني أرفض الخوض في مناقشة تخلو من الأمانة. لقد قلتُ.

جاليليو : الحقيقة بنت زمانها، وليست بنت السلطة. إن جهلنا لا حد له، فلنقل منه بمقدار ملليمتر مكعب! وفيهم الإصرار على ادعاء أننا عقول كبيرة، إذا كان في وسعنا الآن أن نكون أقل بلاهة؟ لقد واتاني حظ لا مثيل له، بأن وقعت بين يدي آلة جديدة تمكّن من فحص جزء ضئيل من الكون على نحو أدق، ولا أقول أدق كثيراً. فاستخدموها إذن!

الفيلسوف : يا صاحب السمو، سيداتي، سادتي! إنني أسألك نفسي حقا إلى أي شيء سيفضي بنا هذا كله.



- جالليو : يبدو لي، بوصفنا علماء، أننا لسنا بحاجة إلى أن نتساءل إلى أي شيء تؤدي الحقيقة.
- الفيلسوف : (منفجراً) يا سيد جالليو، الحقيقة يمكن أن تفضي إلى بعيد جداً.
- جالليو : يا صاحب السمو! في هذه اللحظة، وكل ليلة، في إيطاليا من أقصاها إلى أقصاها، تصوّب عدسات إلى السماء. وتوابع المشتري لا تجعل ثمن اللين أقل. لكنها لم تُرَقَط، ومع ذلك فهي موجودة. ورجل الشارع يستخلص من ذلك، أن أشياء أخرى كثيرة ستوجد، لو أنه صمم على أن يفتح عينيه! ومن حقه عليكم أن يجد منكم التأييد. وما يجعل الأذان تُرعى السمع لإيطاليا ليس حركات بعض النجوم البعيدة عنا، بل النبأ العظيم الذي يقول إن نظريات كانت تعد راسخة قد أخذت تتهاوى، والكل يعلم أن الكثير من المذاهب حاله هكذا! سادتي الأعزاء، لا ندافع عن مذاهب متداعية!
- فدرتسوني : عملكم أنتم يا أساتذة أن تثيروا هذا التداعي والتزعزع.
- الفيلسوف : أود لو أن مريدك هذا أعفانا من نصائحه في مناقشة علمية.
- جالليو : يا صاحب السمو! إن عملي في الترسانة الكبرى في الهندقية قد جعلني أحتك كل يوم بالرسامين، والبنائين ومُرَكَّبِي الآلات. هؤلاء الناس علموني طرقاً جديدة. لم يقرأوا شيئاً، ولكنهم وثقوا بشهادة حواسهم، وفي الغالب من دون أن يهتموا بماذا عسى أن تفضي إليه هذه الشهادة...
- الفيلسوف : يا للفظاعة!
- جالليو : كما فعل ملاحونا حين غادروا، منذ مائة عام، شواطئنا من دون أن يدروا ماذا عسى ستكون الشواطئ التي سيبلغونها، ولا حتى هل سيبلغون شاطئاً. وكأنه قد صار علينا اليوم،



في سبيل استعادة هذا التطلع الرفيع الذي كان السبب في
مجد يونان القديمة، أن ننشده في الورش والترسانات.

الفيلسوف : بعد كل الذي سمعناه في هذا البيت لم يعد عندي شك
قط في أن السيد جالليو يجد معجبين به في الورش
والترسانات.

كبير الياوران : يا صاحب السمو! أنا متأسف، لكن يظهر لي أن هذه المناقشة
المفيدة جدا قد طالت بعض الطول. ولا بد لصاحب السمو
أن يستريح قليلا قبل الرقص. (بناء على إشارة وجهت
إليه، انحنى الدوق الكبير أمام جالليو. وبدأت الحاشية
في الرحيل بسرعة. والسيدة سارتي، وقد اعترضت طريق
الدوق الكبير، تقدم إليه صحنا من الفطائر)

السيدة سارتي : كعك باللوز يا صاحب السمو.
(كبرى الوصيفتين تقتاد الدوق الكبير إلى الباب)

جالليو : (ملحا عليهم): يا سادة، لم يكن عليكم إلا أن تنظروا بهذه
الآلة.

كبير الياوران : سمو الأمير سيستشير فيما تقول أكبر علماء الفلك اليوم
وهو الأب كرسنوفر كلافيوس الفلكي الأول في المجتمع
البابوي بروما.

* * *



(٥)

(استمر جاليليو في أبحاثه من دون خوف، حتى من الطاعون)

(أ)

- مكتب جاليليو في فيرنتسه
- (الصباح الباكر. جاليليو، والأرصاد أمامه، ينظر من خلال المقرب. تدخل فرجينيا وهي تحمل حقيبة سفر)
- جاليليو : فرجينيا! ماذا جرى؟
- فرجينيا : المدرسة أُغُلقت، وكان علينا العودة حالا إلى بيوتنا. في فيزولي خمس حالات طاعون.
- جاليليو : (مناديا) يا أم سارتي!
- فرجينيا : وهنا أيضا، شارع السوق مغلق منذ هذه الليلة. يلوح أن ثم ميّتين في الحيّ القديم، وثلاثة آخرين في المستشفى على وشك الموت.
- جاليليو : مرة أخرى كتموا عنا كل شيء حتى آخر لحظة.
- السيدة سارتي : (وهي تدخل) ماذا أتى بك هاهنا؟
- فرجينيا : يوجد طاعون.
- السيدة سارتي : يا إلهي! سأذهب لحزم الأمتعة.
- (تجلس)
- جاليليو : لا، لا تحزمي أمتعة! خذي فرجينيا وأندريا. وسأقوم أنا بأرصادي. (يعود بسرعة إلى مكتبه ويجمع أوراقه بلهفة. السيدة سارتي تلبس أندريا معطفا، وهذا يصل مهرعا، ويخرج ويحضر بعض الأغطية والزاد. يدخل خادم الدوق الكبير)



- الخادم : نظرا إلى انتشار الوباء، غادر صاحب السمو المدينة متجها شطر بولونيا. لكنه حرص على تمكين السيد جالليو من أن يكون في أمان. ستكون العربية أمام الباب بعد دقيقتين.
- السيدة سارتي : (موجهة الخطاب إلى فرجينيا وأندريا) اخرجنا حالا. احمل هذا!
- أندريا : لماذا؟ إذا لم تقولي لي لماذا، فلن أرحل.
- السيدة سارتي : يوجد طاعون، يا بني.
- فرجينيا : نريد انتظار الوالد.
- السيدة سارتي : يا سيد جالليو، هل انتهيت؟
- جالليو : (واضعا المقرب في الغلاف) أجلسي فرجينيا وأندريا في العربية. وأنا قادم فورا.
- فرجينيا : لا. لن نخرج من هنا بدونك. لن تنتهي أبدا إذا أخذت في حزم كتبك.
- السيدة سارتي : العربية حضرت.
- جالليو : كوني عاقلة يا فرجينيا: إذا لم تأخذي مكانك في العربية، فسيرحل السواق. والطاعون وباء خطير.
- فرجينيا : (وهي تحتج بينما السيدة سارتي تقنأها هي وأندريا) ساعديه في حزم كتبه، وإلا فلن يحضر.
- السيدة سارتي : (عند المدخل، وهي تصيح) يا سيد جالليو! السواق يقول إنه لن ينتظر.
- جالليو : يا سيدة سارتي! أعتقد أنه يجب عليّ ألا أرحل. فكل شيء مختلط، ثلاثة أشهر من تدوين مذكرات، لن يكون فيها فائدة إذا لم أستمّر في العمل ليلة أو ليلتين أخريين. ثم إن هذا المرض منتشر في كل مكان.
- السيدة سارتي : يا سيد جالليو! تعال معنا في الحال. لقد فقدت صوابك.
- جالليو : عليك أن ترحلي مع فرجينيا وأندريا. وسأحضر فيما بعد.
- السيدة سارتي : بعد ساعة لن يسمحوا لأحد بالرحيل. عليك بالحضور! (تتسمع) إنه مضي. يجب عليّ أن ألحق به.
- (تخرج. جالليو يتجول في الغرفة. تعود السيدة سارتي، شاحبة جدا، وبدون لفتها)



- جالليو : ماذا تتظنين؟ العربية وفيها الولدان سترحل من دونك .
السيدة سارتي : لقد رحلوا . أرادت فرجينيا أن تقفز من العربية، وكان لا بد من الإمساك بها بالقوة . في بولونيا سيجد الولدان العناية . أما أنت، فمن الذي سيهيئ لك الطعام؟
جالليو : هل فقدت عقلك؟ .. تبقيين في هذه المدينة لمجرد طهو الطعام! (يلوح بمذكراته) لا تظني يا سيدة سارتي أنني مجنون . سأستطيع أن أترك هذه الأرصاد على حالها . إن لي أعداء أقوياء جدا، ولا بد لي من تحصيل البراهين على أشياء أقرها .
السيدة سارتي : لست في حاجة إلى الاعتذار . لكن ما تفعله ليس من العقل في شيء .

(ب)

- (أمام بيت جالليو في فيرنتسه . يخرج جالليو ويلقي نظرة صوب أسفل الشارع . تمر راهبتان)
جالليو : (مخاطبا إياهما) هل تستطيعان . يا أختي، أن تخبراني أين أستطيع الحصول على خبز؟ لم تأت بائعة اللبن في هذا الصباح، وخادمتي رحلت .
إحدى الراهبتين : فقط في أسفل المدينة توجد بعض المحلات المفتوحة .
الراهبة الأخرى : أنت خارج من هذا البيت؟ (جالليو يشير بنعم) إنه في هذا الشارع!
(الراهبتان ترسمان علامة الصليب، وهما ترطنان بنشيد «سلام لك يا مريم» وتهريان . يمر رجل)
جالليو : (مخاطبا إياه) هل أنت الخباز الذي يأتي إلينا بالخبز الأبيض؟ (الرجل يشير بنعم) هل رأيت خادمتي؟ إنها لا بد رحلت بالأمس . لم تكن موجودة هذا الصباح . (الرجل يهز رأسه . نافذة تفتح من الجانب الآخر من الشارع . امرأة تطل برأسها، وتنتظر)



- المرأة : (صائحة) امش بسرعة! عندهم طاعون!
(الرجل يهرب فزعا)
- جالليو : هل تعلمين شيئاً عن خادمتي؟
- المرأة : خادمتك وقعت هكذا دفعة واحدة، في أعلى الشارع. ولا بد أنها كانت تعرف ماذا أصابها. ولهذا رحلت. لم تفكر قط في غيرها!
- (تغلق النافذة بعنف. أولاد يأتون من أقصى الشارع. يشاهدون جالليو فيهربون صارخين. جالليو ينحرف. في هذه اللحظة يأتي جنديان بسلاح كامل)
- الجنديان : ادخل فورا في بيتك.
(برمحيهما الطويلين يدفعان جالليو إلى داخل بيته. ويصفقان الباب خلفه)
- جالليو : (من النافذة) هل تستطيعان أن تخبراني ماذا فعلوا بتلك المرأة؟
- الجنديان : هم يدفنون في المقبرة المشتركة.
- المرأة : (وقد أطلت من النافذة من جديد) لكن مادام الشارع الخلفي مملوءا بالطاعون!... ماذا تنتظران لإغلاقه؟ (الجنديان يمدان حبالا في عرض الشارع) لكن بهذه الطريقة لن يستطيع أحد الدخول. أنتم لا حاجة بكم إلى إغلاق الشارع هنا. الناس جميعا هنا في صحة جيدة. توقفوا توقفوا! اسمعوا. زوجي في المدينة، ولن يستطيع إذن العودة إلى البيت. متوحشون، شرذمة من المتوحشين!
- تُسمع في الداخل أنات وصيحات. يمضي الجنديان. من نافذة أخرى تطل امرأة عجوز)
- جالليو : هناك في الخلف نار، من غير شك.



- المرأة العجوز : الآن، حين يظنون أنه يوجد طاعون فإنهم لا يطفئون النار. الفكرة الوحيدة عندهم الآن هي الطاعون.
- جاليليو : هذه طريقتهم! وكل نظام حكومتهم هكذا! إنهم يقضون علينا كما يُقضى على الغصن المريض في شجرة التين، الغصن الذي لا يعود يثمر.
- المرأة العجوز : لا ينبغي التكلم هكذا. إنهم فقط لا يعرفون ماذا يعملون.
- جاليليو : هل أنت وحدك في بيتك؟
- المرأة العجوز : نعم. ابني بعث إليّ بكلمة. والحمد لله أنه بالأمس عرف في الوقت المناسب أن شخصا قد مات في الشارع الخلفي، لهذا لم يعد. في هذه الليلة كان في الحي إحدى عشرة حالة.
- جاليليو : إنني ألوم نفسي لأنني لم أرَّحل خادمتي حين كان لا يزال في الوقت متسع. كان عندي عمل مستعجل، ولكن لم يكن لديها أي داع للبقاء.
- المرأة العجوز : على كل حال، لا نستطيع نحن أيضا أن نرحل. إذ من هو الذي سيرحب بنا؟ لا داعي للوم نفسك. إنها رحلت في هذا الصباح، نحو الساعة السابعة. ولا بد أنها كانت مريضة: فإنها لما رأته أخرج لأخذ الخبز، تَجَنَّبْتِي. وأظن أنها كانت تريد ألا يطوق بيتك. لكنهم ينتهي بهم الأمر إلى أن يعرفوا.
- (يُسمع قرع طبول)
- جاليليو : ما هذا؟
- المرأة العجوز : إنهم يحدثون ضوضاء من أجل إبعاد الغيوم التي تحمل جراثيم الطاعون.
- (قهقهة عالية من جاليليو) ومع هذا أنت تضحك!
(رجل ينزل الشارع ويجده مسدودا)



- جالليو : يا رجل! كل شيء هنا مطوّق، وليس في البيت شيء يؤكل.
(اختفى الرجل وهو يعدو)
يا ناس، يا ناس! لا تدعونا نموت من الجوع هنا.
- المرأة العجوز : ربما أحضروا شيئاً. وإلا فزي وسعي أن أضع أمام بابك
قدرا من اللّبن إذا لم يكن هذا ليروعك، ولكن ليس قبل
مجيء الليل.
- جالليو : يا ناس، يا ناس! لكن ليس من المعقول ألا يكونوا
يسمعوننا.
(عند الجانب الآخر من الحبل يظهر أندريا فجأة ويرى من
وجهه أنه بكى)
- جالليو : يا أندريا؟ كيف استطعت المجيء إلى هنا؟
أندريا : لقد مررت في هذا الصباح، وقرعت الباب ولكنك لم تفتح.
والناس قالوا لي...
- جالليو : إذن أنت لم تكن رحلت؟
أندريا : بلى، لكنني في أثناء الطريق أفلحت في الوثوب من العربة.
غير أن فرجينيا بقيت فيها، ألا أستطيع الدخول؟
- المرأة العجوز : كلا، ليس هذا ممكنا. لا بد لك أن تذهب إلى دير الراهبات
الأرسوليات. وربما كانت أمك هناك.
- أندريا : لقد ذهبت إلى هناك. لكن منعوني من رؤيتها. إنها مريضة
جدا.
- جالليو : لقد جئت من مكان بعيد جدا؟ لأنك رحلت منذ ثلاثة
أيام.
- أندريا : لا تغضب مني إذا كنت قد أمضيت كل هذا الوقت. ذلك
أنهم أوقفوني مرة في الطريق.



- جالليو : (متضايقا) يجب عليك أن تكف عن البكاء الآن. لقد اكتشفت الكثير من الأشياء منذ رحيلك. هل أحكي لك؟ (أندريا، وهو يتشهد، يهز رأسه علامة الموافقة) انتبه جيدا، وإلا فما استطعت الفهم، أتذكر أنني أريتك كوكب الزهرة؟ لا تستمع إلى الضجة التي هناك، إنها ليست بشيء.
- أتذكر؟ أتعرف ما رأيته؟ إنها مثل القمر. لقد شاهدتها على شكل نصف كرة، وشاهدتها على شكل هلال. فما رأيك في هذا؟ وبوسعي أن أريك هذا بواسطة كرة صغيرة ومصدر ضوء. وهذا دليل على أن هذا الكوكب لا يستمد نوره من ذاته. أليس هذا مدهشا؟
- أندريا : (متتهدا) بالتأكيد، ثم إن هذه حقيقة.
- جالليو : (بصوت خفيض) لست أنا الذي طلبت إليها أن تبقى (أندريا لا يجيب) لكن من المؤكد أنه لو لم أبق أنا، لما حدث ما حدث.
- أندريا : والآن، هل سيضطرون إلى تصديقك.
- جالليو : الآن، جمعت كل الأدلة. حينما تنتهي هذه الحكاية، سأذهب إلى روما لأقدم إليهم الأدلة. (من أقصى الشارع يأتي رجلان يلبسان برنسا ومعهما عصوان وجرادل. ومن النوافذ يقدمان إلى جالليو، ثم إلى المرأة العجوز خبزا على أطراف عصواهما)
- المرأة العجوز : هناك في البيت المواجه توجد امرأة وأولادها الثلاثة. اتركوا لهم شيئا.
- جالليو : أما أنا فليس عندي ما أشريه. ليس في البيت ماء. (الرجلان يهزان أكتافهما) هل ستأتیان غدا أيضا؟
- أحد الرجلين : (بصوت محتسب، بسبب الشاش الموجود أمام فمه) هل يعرف أحد ماذا سيحدث غدا؟



- جالليو : لو جئتما فهل تستطيعان أن تحضرا إلي كتابا صغيرا أحتاج إليه في بحثي؟
- الرجل : (بضحكة مختقة) يريد كتابا! احمد ريك إذا جيء إليك بخبز!
- جالليو : لكن هذا الصبي هناك، وهو تلميذي، سيكون موجودا وما عليك إلا أن تعطيه الكتاب من أجلي. إنه خريطة ميبين فيها مدة دورة عطار، يا أندريا، ولا أدري أين وضعته. هل تحضره من المدرسة؟ (الرجلان رحلا)
- أندريا : بالتأكيد، سأذهب لإحضاره يا سيد جالليو.
- (يخرج. جالليو ينصرف. من المنزل المواجه تخرج المرأة العجوز وتضع أمام باب جالليو كوزا)

* * *



(٦)

(سنة ١٦١٦: الكلية الرومانية، وهي معهد أبحاث في الفاتيكان، تؤيد اكتشافات جاليليو.

في هذا العالم ما أندر

أن يقبل شيخ يتعلم.

كلافيوس، المخلص لله

قد أعطى الحق لجاليليو.

قاعة في الكلية الرومانية بروما. الوقت ليل. جماعات من كبار رجال الكهنوت ومن الرهبان والعلماء. وفي ناحية: جاليليو وحده. يسود الجوُّ سرور غامر. قبل بداية المنظر، تسمع قهقهات)

كاهن بدين : (وهو يمस्क بجنيبه) يا للبلاهة! يا للبلاهة السعيدة! أود أن يخبرني أحد بقول واحد لم يجد من يصدقه.

عالم : هذا القول مثلاً يا صاحب النيافة: إنك تكره أطايب الطعام كراهية شديدة.

الكاهن البدين : هناك من يصدقون ذلك، وسيوجد من يصدقون ذلك. فقط الأشياء المعقولة هي التي لا يصدقها الناس. وجود الشيطان، يشك فيه الناس، أما أن الأرض تدور حول نفسها مثل سداة في مجرى فهذا يصدقونه. يا للبساطة المقدسة!

راهب : (يمثل دور المازح) الدوران يسبب لي دواراً. الأرض تدور بسرعة. يا أستاذ، اسمح لي أن أستند إليك! (يتظاهر بأنه يترنج، ويمسك بعالم)

العالم : (مقلدا إياه) آه، نعم، لاتزال سكرى، هذه العجوز العزيزة. (يمسك بآخر)



- الراهب : توقف! نحن ننخلع! توقف، قلت لك.
- عالم ثان : ها هي ذي الزهرة مقلوبة. النجدة، لا أرى منها غير نصف مؤخرتها.
- راهب ثان : (رهبان يتلاصقون، ويتضاحكون، ويتظاهرون بأنهم يتماسكون حتى لا يقعوا من سفينة عصفت بها العاصفة) بشرط ألا يُلقَى بنا على القمر! يا إخواني، يبدو أن فيه جبالات ذات إير مخيفة.
- العالم الأول : ما عليك إلا أن تشد ساقك.
- الراهب الأول : ولا تنظر إلى أسفل. الدوران يجعلني مريضا.
- الكاهن البدين : (يرفع صوته عن قصد متفتتا نحو جاليليو) دوران؟ دعك من هذا! لا أحد يقدر على أن يجعل الكلية الرومانية تدور! (ضحك). من باب في العمق يدخل فلكيان من أعضاء الكلية الرومانية. الكل يسكت)
- راهب : امتحانكم طويل جدا! هذه فضيحة!
- أحد الفلكيين : (متضابقا) امتحاننا نحن .. كيف؟
- الفلكي الثاني : إلى أين سيفضى بنا هذا؟ إنني لا أفهم هذا الرجل الطيب كلافيوس. سيكون عجبا أن نصدق كل ما قيل خلال هذه السنوات الخمسين الأخيرة! في سنة ١٥٧٢ لمع نجم جديد في أعلى الأفلاك، الفلك الثامن، فلك الثوابت، وهو بالأحرى أشد لمعانا وأكبر من كل النجوم المجاورة، لكن لم تكد تمضي ثمانية عشر شهرا حتى اختفى من جديد وصار فريسة العدم. أهذا سبب للتساؤل: أين أزلية السماء وثباتها؟
- الفيلسوف : لو تركناهم يعملون ما يشاءون، فسينتهي بهم الأمر إلى أن يحطموا السماء ذات النجوم على رؤوسنا.
- الفلكي الأول : نعم، إلى أين نحن ذاهبون؟ بعد خمس سنوات حدد تيشوبراهي، الفلكي الدنماركي، طريق نجم مذنب. منشؤه



تحت القمر، وقد خرق كل الأغلفة الفلكية الواحد تلو الآخر، وهذه الأغلفة هي الحوامل المادية لحركة الأجرام السماوية! لا مقاومة، ولا انحراف لضوئه. فهل هذا سبب للتساؤل: «أين الأفلاك الآن؟».

الفيلسوف : لكن هذا مستحيل! كيف يتأتى لكرستوفر كلافيوس، أعظم فلكي في إيطاليا وفي الكنيسة أن يتنازل لفحص هذه الترهة؟
الكاهن البدين : هذه فضيحة؟

الفلكي الأول : على كل حال هو يفحصها. إنه يجلس هناك، ويفتح عينيه أمام هذه الأنبوبة الشيطانية.

الفلكي الثاني : هذا يناقض المبادئ! لا بد من خنق الشر وهو في البيضة. والأصل في هذا كله هو أننا منذ سنوات ونحن نحسب آلاف الأشياء، ومدة السنة الشمسية، وموعد كسوف الشمس وخسوف القمر، ومواقع الأجرام السماوية اعتماداً على لوحات كوبرنيكوس، مع أنه رجل مبتدع (هرطيق).

راهب : أريد أن أضع هذا السؤال: ما هو الأفضل؟ أن يحدث خسوف القمر بعد ثلاثة أيام من الموعد المذكور في التقويم، أو لا ننال النجاة الأبدية؟

راهب نحيف جداً : يتقدم ومعه الكتاب المقدس مفتوحاً، وبعصية يربت على موضع منه بإصبعه) ماذا يقول الكتاب المقدس هاهنا؟: «قفي أيتها الشمس فوق جبعون، وأنت، أيها القمر، توقفي على وادي عجلون». كيف يتأتى للسماء أن تتوقف إذا كانت لا تدور، كما يدعي هؤلاء المبتدعة؟ هل كذب الكتاب المقدس؟

الفلكي الثاني : هناك ظواهر أمرها مشكل علينا نحن الفلكيين، لكن هل من الضروري أن يفهم الإنسان كل شيء؟
(يذهب الفلكيان)

الراهب : مكان ميلاد النوع الإنساني يريدون أن يضعوه في مرتبة كوكب جوال. فالإنسان والحيوان والنبات والتربة التي تحملها



كل هذا يحمّلونه على عربة ويجعلونه يدور حول نفسه خلال سماء خاوية. الأرض والسماء لا يوجدان في نظر هؤلاء الناس. لم تُعدّ ثم أرض، لأنها جرم سماوي، ولم تعد ثم سماء، لأنها مؤلفة من أجرام مشابهة للأرض. ولم يعد ثم تمييز بين الأعلى والأسفل، بين السرمدى والزائل، أما أننا زائلون، فنحن نعرف ذلك. لكنهم يقولون لنا الآن إن السماء هي الأخرى زائلة. الشمس، والقمر، والنجوم ونحن، نحن مقيمون على الأرض: هذا ما كان يقال دائما، وما يقوله الكتاب المقدس. أما الآن فالأرض هي الأخرى جرم سماوي، تبعا لما يقوله هذا الرجل، لم يعد هناك غير أجرام سماوية. وسنرى اليوم الذي سيقولون فيه: «لا فارق بين الإنسان والحيوان، الإنسان هو نفسه حيوان، وليس ثم غير دواب.» (في أثناء هذه الخطبة أخرج جاليليو من جيبه حجرا، وراح يلعب به، ثم تركه يسقط)

العالم الأول : يا سيد جاليليو، لقد سقط منك شيء على الأرضية.
جاليليو : (وهو ينحني لالتقاط الحجر) على السقف، يا صاحب النيافة، لقد تركته يسقط على السقف.
الكاهن البدين : (ملتفتا) يا له من وقح!
(يدخل كردينال عجوز جدا، يستند إلى راهب، يُخْلِى أمامه المكان باحترام)

الكردينال الهرم : أليزالون في الداخل؟ ألا يستطيعون الإجهاز على هذه المسألة بسرعة، وهي مسألة غاية في التفاهة؟ كلافيوس هذا لا بد أنه يعرف الفلك جيدا. وبحسب ما قيل لي فإن السيد جاليليو هذا يزيح الإنسان من مركز الكون إلى أطراف لست أدري ما هي. إذن هو عدو للجنس البشري، وبشكل فاضح. ولا بد أن يعامل على أنه عدو. إن الإنسان تاج الخليقة، وفي وسع أي طفل أن يقرر هذا، وأسمى وأعز مخلوقات الله. مثل هذه الأعجوبة، ثمرة مثل هذا الجهد،



كيف يتسنى لله أن يلقي به على حصة صغيرة تائهة، تركض باستمرار خلال السماء؟ أيرسل الله ابنه إلى مثل هذا المكان؟ وهل يمكن أن يوجد ناس فسدت عقولهم إلى حد أن يثقوا بعبيد ألواحهم الحسابية هؤلاء؟ أي مخلوق من مخلوقات الله يسمح لنفسه بأن يهان هكذا؟

الكاهن البدين : (هامسا) الرجل الذي تشير إليه موجود هنا في القاعة.
الكردينال الهرم : (مخاطبا جاليليو) أهو أنت؟ اسمع: بصري ليس قويا، لكن ثم شيئا أراه: ذلك الشخص الذي أحرقتاه منذ مدة، ما اسمه؟ إنك تشبهه شبيها مدهشا.

الراهب : يا صاحب النيافة. لا تتحمس هكذا. فإن الطبيب...
الكردينال الهرم : (وهو يتخلص، يخاطب جاليليو) أنت تريد أن تحط من قدر الأرض، مع أنك تعيش عليها وتدين لها بكل شيء. إنك تدنس عشك. ولكني، على كل حال، لن أسمح لنفسي بأن أهان. (يزيح الراهب بعنف، ويأخذ في المشي باعتزاز رائحا جائئا) أنا لست أي شيء على تراب كوكب ما، أدور لمدة لحظة في مكان ما! أنا أمشي على أرض راسخة بخطى ثابتة، والأرض لا تتحرك، بل هي النقطة المركزية لكل ما هو موجود، وأنا في النقطة المركزية وعين الخالق ترعاني أنا وحدي. ومن حولي، النجوم الثابتة، ترسم دوائرها، وهي مثبتة في ثمانية أغلفة بلورية، والشمس الرائعة قد خلقت لإضاءة كل شيء حوالتي، وإنارتي أنا، حتى يستطيع الله أن يراني. إذن من الواضح وضوحا لا مجال أبدا لإنكاره أن كل شيء يتعلق بي، بي أنا الإنسان، ثمرة مجهود الله، أنا المخلوق المركزي، المصنوع على صورة الله، باق، و...
(ينهار)

الراهب : صاحب النيافة قد وثق كثيرا بقواه.
(في هذه اللحظة يفتح الباب الذي في العمق. يدخل كلافيوس العظيم على رأس فلكييه. ومن دون أن ينطق



بكلمة، ومن دون أن يلتفت برأسه، يخترق القاعة بخطوة سريعة. وعلى وشك الخروج يقول لأحد الرهبان:

كلافيوس : صحيح.

(يخرج، يتبعه الفلكيون. باب العمق يظل مفتوحا. صمت تام. الكردينال الهرم يفيق)

ماذا؟ هل أصدرت قرارهم؟ : الكردينال الهرم

(لا يجروا أحد على الكلام)

لا بد أن نصحب صاحب النيافة. : الراهب

(يقتاد الهرم إلى الباب الخارجي. الكل، وهم في حيرة تامة، يفادرون القاعة. راهب قصير في لجنة كلافيوس يتوقف قرب جاليليو)

(خلسة) يا سيد جاليليو، إن الأب كلافيوس قال قبل أن يرحل: «الآن على اللاهوتيين أن يعملوا على لصق كراتهم السماوية!». لقد كسبت أنت.

محاولا إيقافه) لم أكسب أنا، بل العقل هو الذي كسب. : جاليليو

(الراهب القصير صار بعيدا. جاليليو بدوره يرحل. على عتبة الباب يلتقي كاهنا كبيرا، هو الكردينال المكلف بالتفتيش. يصحبه فلكي. جاليليو ينحني، وقبل أن يخرج يهمس بالسؤال للحاجب)

(مجيبا باللهجة نفسها) صاحب النيافة الكردينال كبير المكلفين بالتفتيش. : الحاجب

(الفلكي يقود الكردينال إلى المقراب)

* * *



(٧)

(لكن محكمة التفتيش تقرر حرمان نظام كوبرنيكوس في

٥ مارس سنة ١٦١٦

في روما كان جَلِيُو

ضييفا في قصر نيافته

بالأكل الفاخر والخمر

نفعوه، مقابل هَيِّنة

قصر الكردينال بِلَرْمِين^(*) في روما. حفلة راقصة في

أوجها. في الدهليز، حيث كاتبان دينيان يلعبان بالشطرنج،

ويكتبان ملاحظات عن المدعويين، جالليو يُتَلَقَّى بتصفيق من

جماعة صغيرة من السيدات والسادة اللابسين الأتقنة.

تصحبه ابنته فرجينيا وخطيبها لودفكو مرسيلي)

فرجينيا : لن أرقص إلا معك، يا لودفكو.

لودفكو : دبّوس الكتف غير محكم.

جالليو : «دعي الغلالة، يا تاييس، تنزلق. لا تعديها، ففي إخلالها

فستن للراقصين في ضوء الشموع، ولي تدعو إلى ظلمة

الأيكات والظلل»

فرجينيا : تحسّس قلبي.

جالليو : (واضعا يده على قلبها) إنه يخفق.

فرجينيا : أود أن أبدو جميلة.

جالليو : بأي ثمن، وإلا فسيكفون عن تصديق أن الأرض تدور.

(*) روبرت بلرمين. Robert Bellarmin (١٥٤٢ - ١٦٢١): يسوعي، عُين في سنة ١٥٩٢ مديرا

للكلية الرومانية في روما، وصار في سنة ١٥٩٩ كرديناالا. وفي سنة ١٦٢٠ رسم قديسا. وله

كتاب أثار مساجلات شديدة، عنوانه: «مناقشات حول الشبه المواجهة ضد العقيدة المسيحية».

وذلك ردا على المبتدعة في هذا العصر.



لودفكو : لكنك تعلم جيدا أنها لا تدور. (جالليو يضحك) روما لم تكن تتحدث إلا عنك. ولكن ابتداء من هذا المساء فسيكون الحديث، يا سيدي، عن ابنتك.

جالليو : يقولون إنه ليس من الصعب أن يبدو المرء جميلا في روما إبان فصل الربيع. وحتى الآن تبدو عليّ هيئة أدونيس، مع شيء من الكرش. (للكاتبين) طلبوا إليّ أن أنتظر هنا صاحب النيافة. (لفرجينيا ولودفكو) اذهبا، واستمتعا. (يذهبان للاشتراك في الرقص من باب العمق. ثم تعود فرجينيا مسرعة)

فرجينيا : يا أبي، حلاقّ شارع النصر حلق لي قبل غيري وترك أربع سيدات جميلات ينتظرن. لقد تعرّف اسمك في الحال. (تخرج)

جالليو : (وهو ينظر إلى الكاتبين يلعبان الشطرنج) كيف لاتزالان تلعبان الشطرنج على الطريقة القديمة؟ المجال فيها محدود. هاكما كيف يُلعب اليوم: تُجرى الحجارة على طول ساحة الشطرنج، الطابية هكذا (يمثل بحركة)، والمجنون هكذا، والملكة هكذا، وهكذا. بهذا يتسع المجال، ويمكن تركيب عمليات وخطط.

أحد الكاتبين : هذا ليس في متناول مرتباتنا. نحن لا نستطيع إلا نقلات خفيفة. (ينقل حجرا من خانة)

جالليو : بالعكس يا صاحبي، بالعكس! لو عشت على قدم كبيرة، دفعوا لك ثمن أحذية طويلة. لا بد من التماشي مع الزمن، يا سادة. كفوا عن مساحلة الشواطئ، واندفعوا في عُرض البحر.

(الكردينال الهرم يخترق المسرح، بصحبة راهب. يلمح جالليو، يمر بالقرب منه، ثم يلتفت، وعليه أمارات التردد، ويحيي. يجلس جالليو. ومن قاعة الرقص يصل مطلع



القصيدة(*) المشهورة التي ألفها لورنتسو الماجد، لورنتسو دي مدتشي، وهي قصيدة في أن كل شيء مآله الزوال، ويغنيها صبيان:

الصبيان : (يغنون)

أنا من رأيت الورد يذبل أو يموت
أوراقه النضرات يلحقها الذبول
وعلى تراب البرد شاحبة، فقلت:
كمّ خادعٌ صَلَفُ الشباب!

جالليو : روما. حفلة عظيمة؟

الكاتب : هذا أول كرنفال بعد سنوات الطاعون. كل البيوتات الكبيرة
في إيطاليا ممثلة هذا المساء: آل فلانسي، آل نوكولي،
آل سولدانييري، آل كانسي، آل لكسي، آل استنسي، آل
كولومبيني...

الكاتب الثاني : (مقاطعا إياه) صاحبا النيافة، الكردينال بلرمين والكردينال
بربريني.

(يدخل الكردينال بلرمين، والكردينال بربريني وبواسطة يد
يمسكان أمام وجهيهما بقناع خروف وقناع حمامة)

بربريني : (مشيرا بالسبابة إلى جالليو) «الشمس تشرق ثم ترحل
عائدة إلى مكانها».

هكذا قال سُلَيْمَان، فما قولك يا جالليو؟

جالليو : حينما لم أكن أطول من هكذا (حركة بيده)، يا صاحب
النيافة، كنت على سفينة فصحت قائلا: «الشاطئ
يتحرك!». واليوم أنا أعلم أن الشاطئ كان ساكنا، وأن
السفينة هي التي كانت تتحرك.

(*) هي قصيدة كورنتو Corinto.



- بربريني : لا بأس، لا بأس. ما يشاهد، يا بلّرمين، مثلًا قبة السماء التي تدور، ليس من الضروري أن يكون صحيحًا، كما في مثل السفينة والشاطئ... لكن ما هو صحيح، مثل أن الأرض تدور، هذا ما لا يمكن أن يشاهد. لا بأس! وفي تلك الأثناء فإن توابع المشتري ستتحطم عليها أسنان الفلكيين. كان من سوء حظي، يا بلرمين، أن أدرس شيئًا من علم الفلك. إنه يلتصق بالجلد مثل الجرب.
- بلّرمين : لنمش مع زماننا، يا بربريني. إذا كانت الخرائط السماوية المبنية على أساس افتراض جديد من شأنها أن تجعل الملاحة أسهل على بحارتنا، فمن رأيي أنه لا بأس عليهم من استخدامها. لكن الشيء الذي لا نحبه هو الآراء التي تُكذّب الكتاب المقدس.
- (يحيي بيده في اتجاه قاعة الرقص)
- جالليو : الكتاب المقدس؟ «من يحتفظ بحبّته، يلغنه الناس»، (هكذا تقول) أمثال سليمان.
- بربريني : «الرجل العاقل يستر علمه» (هكذا تقول) أمثال سليمان.
- جالليو : «أينما تكن الثيران تكن القذارة. لكن قوة الثيران فيها فائدة كبيرة».
- بربريني : «من يكبح عقله أفضل ممن يستولي على المدن».
- جالليو : «لكن حين تضعف الروح، يجف نخاع العظام». (بعد برهة صمت) «أو لا يرفع الحق صوته؟».
- بربريني : «أيمكن المرء أن يمشي على فحم متقد من دون أن تحترق قدمه؟». مرحبا بك في روما، يا عزيزي جالليو. هل تعرف تاريخ نشأتها؟ تقول الخرافة إن طفلين تلقيا الغذاء والسكن من ذئبة. ومنذ ذلك اليوم، فإن على كل أبنائها أن يدفعوا للذئبة ثمن اللبن الذي يشربونه. وفي مقابل ذلك فإن الذئبة تهيب كل ألوان اللذات، السماوية منها والأرضية:



من مناقشة صديقي العلامة بلرّمين، حتى ثلاث أو أربع
غوان ذوات شهرة دولية. هل تريد أن أعرفك بهنّ.
يقتاد جالليو إلى الداخل ليرى قاعة الرقص. جالليو يتبعه
كارها)

بربريني : ألا تريد حقا؟ تودّ مناقشة جادة. ليكن! هل أنت واثق، يا
عزيزي جالليو، إنكم معشر الفلكيين، لا تَسعون إلى مجرد
تسهيل الأمور؟ (يقتاده إلى مقدم المسرح) في نظرك الأمر
كله يرجع إلى دوائر أو قطاع ناقصة، وسرعات منتظمة،
وبالجملة إلى حركات بسيطة، متصورة على صورة عقلك.
لكن لو كان الله قد شاء أن يحرك نجومه هكذا؟ (يأصبعه
يرسم في الهواء شكلا غاية في التعقيد، وذلك بتغيير
سرعة الحركة) فماذا عسى ستكون قيمة حساباتكم؟

جالليو : يا صاحب السيادة! لو كان الله قد بنى العالم هكذا (يكرر
الحركة التي رسمها بربريني)، لكان أيضا قد بنى أمخاذا
هكذا (يكرر الحركة نفسها)، بحيث يكون هذا المسار هو
أبسط المسارات. إن لي في العقل ثقة.

بربريني : أنا أرى أن للعقل حدودا. إنه لا يقول شيئا. إنه من الاحتشام
بحيث لا يريد أن يجيب بأن عقلي أيضا له حدود.
(يضحك ويعود إلى الشرفة)

بلرّمين : العقل، يا صديقي العزيز، لا يذهب بعيدا. ونحن لا نرى من
حولنا غير الاشتباه والشر والضعف. فأين الحق في هذا كله؟
جالليو : (بغضب) إنني أثق بالعقل.

بربريني : (مخاطبا السكرتيرين) لا، لا، لا تسجلا شيئا، هذا حديث
بين أصدقاء في موضوع علمي.

بلرّمين : فكر فيما اقتضاه آباء الكنيسة وآخرون كثيرون من جهد
وتأمل لإدخال بعض المعنى في مثل هذا العالم (أتجادل في
أنه عالم فضليع؟). فكر في وحشية أولئك الذين يجعلون



الفلاحين وهم نصف عراة يركضون في مزارعهم في مقاطعة كميانيا والسياط تلسع ظهورهم، فكّر في بلاهة هؤلاء المساكين الذين يقبلون أقدامهم شكرا لهم.

هذا عارا! وأنا قادم إلى هنا، شاهدت...

جالليو

كان لا بد أن نعزو حكمة إلى مثل هذه الظواهر التي لا نفهمها (وهي مادة الوجود نفسها) لهذا أحلنا مسؤوليتها على موجود فوقنا، وقلنا إنها تخدم غرضا محمدا، وإن كل شيء يتم وفقا لخطة رائعة، لا لأن هذا قد أعاد الطمأنينة إلى النفوس، لكنكم الآن تتهمون هذا الموجود الأعلى بأنه ليس لديه أفكار واضحة عن حركات العالم السماوي، بينما أنتم لديكم عنه أفكار واضحة كل الوضوح فهل هذا إنصاف؟

بلمين

(شارعا في التفسير) أنا ابن للكنيسة مطيع...

جالليو

هذا رجل مخيف حقا! إنه يريد، بكل براءة، أن يقرر أن الله هو الذي ارتكب أسوأ الأخطاء في علم الفلك. والخلاصة: هل الله لم يدرس فلكه بعناية قبل أن يؤلف الكتاب المقدس؟ يا صاحبي!

بربريني

ألا يقول لك الاحتمال، لك أنت، أن الخالق لا بد يعرف عن خليقته خيرا مما يعرف المخلوقون؟

بلمين

لكن، يا سادة، في وسع الإنسان أن يسيء تفسير الكتاب المقدس، وحركة الأفلاك معا.

جالليو

لكن طريقة تفسير الكتاب المقدس: هذا ميدان يرجع في نهاية الأمر إلى اللاهوتيين التابعين إلى أمنا المقدسة: الكنيسة. هل نحن متفقون على هذا؟ (جالليو يصمت) أنت ترى جيدا: ها أنت ذا تسكت. (يوجه إشارة إلى الكاتبين) يا سيد جالليو! إن الديوان المقدس قرر في هذه الليلة أن نظام كوبرنيكوس - الذي يجعل من الشمس المركز الثابت

بلمين



للعالم، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم - هو رأي أحمق غير معقول، مبتدع، ويسيء إلى الإيمان. وأنا مكلف بتحذيرك كي تتخلى عن هذا الرأي. (مخاطبا الكاتب) أعدّ ما قلته.

الكاتب : أبلغ صاحب النيافة الكردينال بلرمين المذكور أعلاه جاليليو جاليلاي أن «الديوان المقدس قرر أن نظام كوبرنيكوس-الذي يجعل من الشمس المركز الثابت للعالم، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم - هو رأي أحمق، غير معقول، مبتدع، ويسيء إلى الإيمان. وأنا مكلف بتحذيرك كي تتخلى عن هذا الرأي».

جاليليو : ما معنى هذا؟

(من قاعة الرقص تسمع مقطوعة أخرى من القصيدة تتشدها جوقة من الصبيان)

الصبيان : (يغنون)

قلت: أبهى العُمُر يمضي وبسرعة
فاقطفِ الوردة إبان الربيع

(بربريني يشير على جاليليو بالسكوت حتى ينتهي الغناء.
يصفون)

جاليليو : لكن الوقائع؟ لقد فهمت أن الفلكيين في الكلية الرومانية قد اعترفوا بأن أرسادي صحيحة.

بلرمين : وعبروا عن رضاهم العميق بعبارات كلها إطراء لك.

جاليليو : لكن توابع المشتري؟ وأطوار الزهرة؟

بلرمين : إن المجمع المقدس جدا لما قرر قراره لم يأخذ في حسابه هذه الاعتبارات الخاصة.

جاليليو : ومعنى هذا أن كل بحث علمي من الآن فصاعدا...

بلرمين : مكفول تماما، يا سيد جاليليو. وهذا يوافق مذهب الكنيسة



الذي يقول اننا عاجزون عن المعرفة، لكن البحث مباح لنا. (يجيي لحظةً أحد المدعويين في قاعة الرقص) هذا النظام، شأنه شأن أي نظام آخر، لك مطلق الحرية في أن تبحث فيه على شكل افتراض رياضي. إن العلم هو الابن الشرعي والحبيب للكنيسة، يا سيد جالليو. ولا أحد منا يفترض جدياً أنك تريد أن تقضي على الثقة التي يوليها الناس للكنيسة.

- جالليو : (متضايقا) إن الثقة تفنى من كثرة الالتجاء إليها.
- بربريني : أه، هكذا؟ (يربّت على كتفه وهو يقهقه. ثم ينظر إليه بتعال ويخاطبه بشيء من التودد) لا تَرَمَ الطفلَ مع ماء الحوض، يا عزيزي جالليو. وهذا أيضا ليس من شيمتنا. إننا أحوج إليك منك إلينا.
- بلرمين : إنني أتحرق إلى تقديم أكبر رياضي في إيطاليا إلى مندوب الديوان المقدس الذي يحمل لك أعلى التقدير.
- بربريني : (ممسكا بالذراع الأخرى لجالليو) بهذه الكلمات صار حمّلا وديعا. وأنت، يا عزيزي، للظهور هنا كان عليك أن تتخفى في زي مفسر بريء للحقائق المقررة. وقناعي هو الذي يخول لي اليوم بعض الحرية. في هذا الزي تستطيع أن تسمعي أ همس قائلا: «لو لم يوجد الرب لكان علينا اختراعه». والآن فلتستعد القناع. يا لجالليو المسكين، إنه لا يلبس قناعا.
- (يحيطان بجالليو ويقتادانه إلى قاعة الرقص)
- الكاتب الأول : هل سجلت الجملة الأخيرة؟
- الكاتب الثاني : أنا بصدها. (يكتبان بانشفال شديد) هل سجلت الجملة التي قال فيها إنه يثق بالعقل؟
- (يدخل الكردينال كبير محكمة التفيتش)
- كبير المحكمة : هل جرت هذه المحادثة؟



- الكاتب : (كأنه إنسان آلي) أولاً السيد جالليو جاء مع ابنته. وهذه خطبت اليوم إلى السيد... (كبير محكمة التفتيش يقطع كلامه بحركة منه) ثم إن السيد جالليو أخبرنا بالطريقة الجديدة للعب بالشطرنج، وهذه الطريقة تخالف كل القواعد، وفيها الأحجار تحرك خلال كل لوحة الشطرنج. (مقاطعا) المحضر!
- كبير المحكمة : (الكاتب يقدم إليه المحضر. يجلس الكردينال لتصفحه. سيدتان شابتان مُقنعتان تخترقان المسرح، وتتحيان انحناء خفيفة حين مرورهما أمام الكردينال)
- إحداهما : من هذا؟
- الأخرى : الكردينال كبير محكمة التفتيش. (تمضيان وهما تحاولان كتم ضحكة شديدة. تدخل فرجينيا، تلتفت حواليتها باحثة عن شخص)
- كبير المحكمة : (وهو في زاوية) ماذا يا ابنتي؟
- فرجينيا : (ولم تكن قد أبصرته، تقفز مفزعة) أوه، يا صاحب السيادة!
- كبير محكمة التفتيش، من دون أن يرفع بصره، يقدم إليها يده اليمنى. فرجينيا تقترب، وتركع وتقبل الخاتم)
- كبير المحكمة : ليلة رائعة. اسمحي لي بأن أتقدم إليك بالتهاني بمناسبة خطبتك. خطيبك من أسرة عظيمة. هل ستبقين عندنا؟
- فرجينيا : ليس في الحال، يا صاحب السيادة. هناك الكثير من الاستعدادات للزواج.
- كبير المحكمة : إذن سترحلين إلى فيرننتسه مع السيد والدك. أنا سعيد لهذا كل السعادة. وأتصور أن السيد والدك في حاجة شديدة إليك. والرياضة رفيقة عبوس، أليس كذلك؟ في مثل هذا الجو فإن مخلوقة مملوءة بالحياة كفيلا بتغيير كثير من الأشياء. ومن السهل جدا أن يضل المرء في كل هذه العوالم



فرجينيا : (وقد خنتها الانفعال) كم أنت كريم، يا صاحب السيادة!
إني كما تعرف لا أفهم شيئاً تقريبا في هذه الأمور.

كبير المحكمة : حقا؟ (يضحك) أسرة صانع الحلوى لا تأكل الفطائر، أليس كذلك؟ وسيُسر السيد والدك أن يعلم أنني أنا، يا بنيتي العزيزة، الذي علمك ما تعلمين عن العوالم السماوية. (وهو يتصفح المحضر) أرى ها هنا أنه تبعاً لرأي المجددين المحدثين، ووالدك هو زعيمهم المعترف به في كل مكان، وهو عقل كبير من بين كبار العقول، فإن تصوراتنا الحالية لأهمية أرضنا العتيقة العزيزة مبالغ فيها. ومنذ عصر بطلميوس، وهو حكيم قديم، حتى يوم الناس هذا، كان يقدر مجموع الخليقة، أعني مجموع كرة البلور التي فيها تحتل الأرض المركز، بنحو عشرين ألف مرة قطر الأرض. وهي مساحات جميلة، لكنها في نظر هؤلاء المجددين صغيرة جدا. وفي نظرهم أن الكون أوسع بكثير جدا، وأن المسافة بين الأرض والشمس، وهي مسافة محترمة جدا، فيما كان يبدو لنا، صارت بهذا ضئيلة جدا جدا إذا ما قورنت بالمسافة التي تفصل بين أرضنا المسكينة وبين النجوم الثابتة في الغلاف الأقصى، بحيث يمكن إسقاطها من حساباتنا! وهنا ينبغي أن نقول إن المجددين لا يعيشون على قدم كبيرة.

كبير المحكمة : (فرجينيا تضحك، وكذلك يضحك كبير محكمة التفتيش) (مواصلا كلامه) والواقع أن مثل هذه الصورة للعالم، تبدو بالنسبة إليها تلك التي نقر بها حتى الآن مجرد صورة مصغرة جدا، لا تصلح إلا لتزيين جيد جميل مثل جيد بعض الفتيات، ولهذا فإن هذه الصورة للعالم، قد أثارت ثائرة الأعضاء البارزين في الديوان المقدس. إنهم يخشون أن يضل السبيل في هذه المساحات الشاسعة أحد الكهنة



أو أحد الكرادلة أنفسهم. بل البابا نفسه، بكل سلطانه، قد يضل في مثل هذا النظام. نعم، في هذا ما يثير الضحك، لكنني مع ذلك سعيد بأن أراك في كنف أبيك العظيم، الذي نُكِّن له جميعاً كلَّ احترام، يا بنتي العزيزة. وأنا أسألك نفسي عما إذا كنت أعرف من يتلقى منك الاعتراف...

الأب كرستوفورو، في كنيسة القديسة أورسولا.

فرجينيا

نعم، أنا سعيد جداً أن أعلم أنك ستكونين في صحبة والدك. إنه في حاجة إليك، ربما يصعب عليك أن تتصوري السبب في هذا، لكن سيأتي اليوم عاجلاً أو آجلاً. أنت لاتزالين صغيرة، مملوءة بالحيوية، وليس من السهل دائماً تحمل العظمة بالنسبة إلى أولئك الذين وهبهم الله إياها. لا، ليس من السهل دائماً. لا، مهما يكن عظيماً، فإنه في حاجة إلى الدعاء.. أليس كذلك؟ ولكن هأنذا أعوقك، يا بنيتي العزيزة، وأثير الغيرة في نفس خطيبك، وربما أيضاً في نفس أبيك، وأنا أحدثك عن النجوم بعبارات ربما صارت عتيقة، وهذه هي الطامة الكبرى. عودي لاستئناف الرقص بسرعة، لكن لا تنسي أن تحيي باسمي الأب الطيب كرستوفورو.

كبير المحكمة

(فرجينيا تمضي مسرعة، بعد انحناء عميقة)

* * *



(٨)

(مناقشة).

في سجلّ «الحرمان» ألفاه يقرأ

راهبا يقرأ القرار الرهيبا

راهبا ينشر العلوم ويبغي،

وهو ابن الفلاح، علما جديدا

في روما. بقصر سفير فيرننتسه، جاليليو يصغي إلى الراهب الشاب الذي بلغه - بعد جلسة الكلية الرومانية - كلمة الفلكي البابوي

جاليليو : هيا، تكلم! الثوب الذي تلبسه يخول لك أن تقول أي شيء

الراهب الشاب : درست الرياضيات، يا سيد جاليليو.

جاليليو : سيكون هذا أمرا حسنا، لو أن هذا دعاك إلى الإقرار بأن

$2 + 2$ تساوي أحيانا ٤.

الراهب الشاب : يا سيد جاليليو! منذ ثلاث ليال وأنا لا أستطيع النوم. ذلك

أني لم أستطع التوفيق بين القرار الذي قرأته، وبين توابع المشتري التي شاهدتها. لهذا قررت اليوم أن أتلو قداسي ثم أجيء إليك.

جاليليو : لتقول لي إن المشتري ليست له توابع؟

الراهب الشاب : كلا. لقد اقتنعت بالأسباب الموجبة للقرار. لقد كشف لي

الأخطار التي تتعرض لها الإنسانية من جراء البحث المنطلق بغير قيود، وقد قررت أن أترك علم الفلك. لكنني حرصت على أن أعرض عليك الدواعي التي يمكن أن تحمل حتى الفلكي نفسه على التخلي عن إتمام بناء النظرية التي تعرفها.

جاليليو : أعتقد أن في وسعي القول بأن هذه الدواعي معروفة

لدي.



الراهب الشاب : أنا أقدر شعورك الميرير. أنت تفكر في تلك الوسائل الاستثنائية التي تملكها الكنيسة.

جاليليو : لا تفرغ من النطق بالكلمة: أدوات التعذيب.

الراهب الشاب : لكنني أود أن أذكر دواعي أخرى. واسمح لي بأن أتحدث عن نفسي: لقد نشأت في أسرة فلاحين في إقليم كمبانيا. وهم قوم بسطاء جدا، يعرفون كل ما يمكن معرفته عن أشجار الزيتون، وفيما عدا هذا لا يكادون يعرفون شيئا. والآن، حين أشاهد دورات الزهرة، يخيل إليّ أن أهلي يجلسون في صحن الدار مع أختي وهم يشربون حساء بالجبين. ومن فوقهم أرى ألواح السقف التي سوّدها الدخان طوال مئات السنين، وأرى تفاصيل أياديهم الهرمة التي شوهها العمل، والملفقة بين أصابعهم. ليست حياتهم بالسعيدة، لكن في ثنايا شقائهم نفسه، ثم ميّداً للنظام. هناك أدوار مختلفة: دور للتظيف الكبير، ودور للمواسم في مزارع الزيتون، ثم دور دفع الضرائب. وثم انتظام في كل هذه المصائب التي تنقض عليهم. وإذا كان ظهر أبي ينحني فلا يتم هذا دفعة واحدة، بل بالتدريج مع كل ربيع يقضيه في مزارع الزيتون، كما أن الولادات التي تقلل شيئا فشيئا من أنوثة أمي، تتم في فترات محددة. والقدرة على جر السلال على طول الطريق الحافل بالحصباء، والقدرة على إنجاب الأولاد، بل والقدرة على الأكل - هما يستمدانها من الشعور بالدوام والضرورة. هذا الشعور الذي يؤلده في نفسيهما منظر الشمس، ومنظر الأشجار التي تخضّر كل عام، والكنيسة الصغيرة، وآيات الكتاب المقدس التي يستمعون إليها في أيام الأحاد. لقد تلقوا توكيدا بأن الرب ينظر إليهم نظرة متسائلة، شبه قلقة، وبأن مسرح هذا العالم قد نظم من حولهم، حتى يستطيعوا، وهم الممثلون، أن يبرهنوا على أدائهم لأدوارهم، صغيرة كانت أو كبيرة.



فماذا عسى أن يقول أهلي لو سمعوني أقول إنهم يعيشون على حصة صغيرة تدور باستمرار في الفضاء، وتدور حول نجم آخر، حصة بين حصى عديد جدا، حصة لا أهمية كبيرة لها؟ فيم يعملون إذن، وفيم يتحلون بكل هذا الصبر، وفيم يتعلقون كل هذا التعلق بشقائهم؟ وما الفائدة بعدُ في الكتاب المقدس، الذي فسّر كل شيء، وبرر كل شيء على أنه ضروري: العرق، والصبر، والجوع، والخضوع، بينما اليوم يكتشف فيه الكثير من الأخطاء؟ كلا، يخيل إليّ أنني أشاهد نظرتهم اللهيّة والملفحة تسقط على حجر الأرضية، وأشاهد كيف يحسون بأنهم خُدعوا وُغرّر بهم. سيقولون: «وإذن لا أحد يرعانا؟ أعلينا نحن أن نرعى أنفسنا ونحن جهلة، عجائز، مستهلكون؟ ألا دور لنا غير دورنا البائس هذا على الأرض، هذا الجرم السماوي الصغير جدا الذي لا يستقل بوجوده وليس محورا لشيء؟ أليس هناك معنى إذن لشقائنا: فالجوع سيكون فقط مجرد نتيجة لكوننا لم نأكل، وليس امتحانا لقوتنا، والمجهود سيكون مجرد نتيجة للانحناء وحمل الأثقال، وليس مصدرا للفضائل والحسنات؟ أتفهم الآن لماذا أقرأ في قرار المجمع المقدس شفقة سخية، وإحسانا لاحد له؟

الشفقة! الإحسان! لعلك تريد أن تقول: «لا شيء لهم، كل الخمر قد شرب، وشفاههم جفت .. إذن فليقبلوا ثوب رجل الدين». لكن لماذا ليس ثم شيء لهم؟ ولماذا النظام في البلاد ليس شبيهاً آخر غير نظام الخزائنة الفارغة، والضرورة ليست إلا أن يقتل المرء نفسه في الشغل؟ وكل هذا وسط بساتين كروم حافلة بالعناقيد على تخوم حقول قمح وفير؟! إن فلاحيكم في إقليم كمبانيا يدفعون ثمن الحروب التي يشنها خليفة يسوع الرقيق الوديع، يشنها في إسبانيا وألمانيا. لماذا يجعل من الأرض مركزا للكون كله؟

جالليو



من أجل أن يصبح عرش القديس بطرس على الأرض مركز كل شيء! النقطة الثانية هي المهمة. أنت على حق: ليس المهم هو الكواكب، بل الفلاحون في كمبانيا. ولا تحدثني بعد هذا عن جمال الأشياء التي ذهبتها وخضرتها السنون. أتعرف كيف ينتج المحار اللؤلؤي لؤلؤته؟ إبان مرض يمكن أن يموت منه يُدخل المحار في كرة من المخاط جسما غريبا يهيجه، حبة رمل مثلا. ويكاد يموت في هذه العملية. ومن رأيي أنني أفضل المحار السليم، وتبا للؤلؤة. إن الفضائل ليست مرتبطة بالشقاء، يا صديقي. لو كان أهلك يعيشون في رخاء ويسر، لكان في وسعهم أن يمارسوا فضائل الرخاء واليسر. إن فضائل المنهوكين تتشأ من الأراضي المنهوكة، وهذا شيء لا أريده. يا عزيزي، مضخات الماء التي اخترعتها يمكن أن تحدث معجزات أفضل من عملهم الوجيه، عمل المستعبد، العمل الذي يتجاوز طاقة البشر. «تناسلوا تكاثروا»، لأن الحقول بقيت عقيمة والحروب تقضي عليكم. هل يجب علي أن أكذب على هؤلاء الناس؟ (في حالة تأثر شديد) إنها أسباب عالية جدا تفرض علينا أن نسكت: الطمأنينة الباطنة للذين يتألمون!

: الراهب الشاب

هل تريد أن ترى ساعة من صنع اتشليّني Cellini، وضعها سائق الكردينال بلرمين هنا هذا الصباح؟ يا صديقي العزيز، إن السلطة تقدم إليّ - من أجل مكافأتي على ترك أهلك الأعراء في طمأنينة، مثلا - أقول إن السلطة تقدم إليّ الخمر الذي حصده أهلك بعرق جبينهم، جبينهم الذي خلق على صورة الرب كما هو معلوم. لو وافقت على أن أسكت، فسيكون ذلك لأسباب حقيرة خسيصة: هي أن أعيش في سلام، من دون اضطهاد، الخ...

: جاليليو

: يا سيد جاليليو! أنا قسيس.

: الراهب الشاب



جالليو

: وأنت أيضا عالم طبيعة. ولقد شاهدت بعينيك أن للزُهرة أطوارا. تعال انظر من النافذة. (يشير إلى النافذة) أترى هناك برياب(*) الصغير على شاطئ ينبوع، بالقرب من شجرة الغار؟ إله البساتين، والطيبور واللصوص، هذا الجلف الفاجر الذي عمره أكبر من ألفي سنة!... إنه لم يقل مثل هذا القدر من الأكاذيب. ليكن لا نتحدث عن هذا، أنا أيضا ابن للكنيسة. لكن، هل تعرف الأهجية الثانية لهوراس؟ إنني أقرأها هذه الأيام، فإنها تحدث شيئا من الاتزان. (يتناول كتابا صغيرا). إنه يجعل برياب هذا يتكلم، وكان تمثالا صغيرا في حدائق الإسكولينو. وهذا مطلعا:

«جذع من شجر التين، وخشب قليل الفائدة

هكذا كنت حينما تساءل النجار

هل يصنع بريابَ أو كرسيًا

واختار أن يصنع الإله...»

هل تعتقد أن هوراس كان سيوافق على أن يُمنع مثلا من الكرسي، ويوضع في قصيدته مقعد؟ كذلك يا سيدي، سيجرح إحساسي بالجمال إذا حرمت الزهرة من أطوارها، في تصوري للعالم! إننا لا نستطيع أن نختع ميكانيكا لدفع وضخّ الماء من الأنهار إذا لم ندرس الميكانيكا الكبرى، تلك التي تتجلى أمام عيوننا، ميكانيكا الأجرام السماوية. ومجموع زوايا المثلث لا يمكن أن يعدل تبعا لهوى وحاجات الكلية المقدسة. ومدارات الأجرام التي تجول في الفضاء لا أستطيع أن أحسبها بطريقة توضح أيضا أشواط جري الساحرات على أيادي المكانس.

: أَوَ لا تظن أن الحقيقة، إذا كانت هي الحقيقة، ستفرض نفسها حتى من دوننا؟

(*) برياب Piriap إله الخصب عند اليونان وإله البساتين والكروم والولادة.



جالليو : لا، لا، لا. لا يفرض نفسه إلا الجزء من الحقيقة الذي
نفرضه نحن. إن انتصار العقل هو انتصار الذين يفكرون. إن
فلاحيكم في كمبانيا أنت تصفهم كما تصف الطحالب على
سقوف أكواخهم، هذا ما أنت عليه! فمن ذا الذي سيخيل
إليه أن مجموع زوايا المثلث يمكن أن يتعارض وحاجات هؤلاء
الناس؟ حتى لو لم يتحركوا، ولو لم يتعلموا كيف يفكرون،
فإن أروع أجهزة الري لن تفيدهم في شيء. فليذهب إلى
الشیطان صَبْرُ أهلك الإلهي. لكن أين غضبهم الإلهي؟
إنهم متعبون. : الراهب الشاب

جالليو : (راميا إليه بمخطوط كبير) هل أنت فيزيائي، يا بني؟ في
هذا الكتاب عرفت الأسباب التي من أجلها يتحرك المحيط
في المد والجزر. لكن عليك ألا تقرأ، فاهم؟ أوه، هأنت ذا
تقرأ؟ إذن أنت فيزيائي (الراهب الشاب أكب على قراءة
المخطوط) تفاحة تسقط من شجرة المعرفة، وهاهو ذا
يبتلعها. لقد حكم على نفسه بالهلاك الأبدي، لكن الأمر
أقوى منه، وهاهو ذا يبتلعه، هذا المسكين. ويخطر ببالي
أن أقدر أنني لا أمانع في أن أحبس نفسي في كهف تحت
الأرض بعشرات الأمتار، في سجن لا ينفذ إليه النور، لو
تعلمت بهذا الثمن ما هو النور. وأسوأ ما في الأمر أن ما
أعرفه هو أقوى مني، وعليّ أن أقوله للآخرين. مثل عاشق،
أو سكران، أو جاسوس. هذا فساد تام. هذه رذيلة، ولا
شيء غير هذا، وهذا سينتهي نهاية سيئة. كم من الوقت
سأقدر على إعلان ما أعرف، وإن كان في ذلك إذكاء النار
التي ستحرقني؟ تلك هي المسألة.

: الراهب الشاب (وهو يريه صفحة من المخطوط) هنا عبارة لا أفهمها.
: سأشرحها لك، سأشرحها لك. جالليو

* * *



(٩)

بعد ثماني سنوات من الصمت، كان تولي «بابا» جديد، هو في الوقت نفسه عالم، مشجعا لجاليليو على استئناف أبحاثه في الموضوعات المحرمة: بقع الشمس.

كَتَمَ الحَقِيقَةَ مَدَّةً

ولسانه لم ينطق

إِبَانِ أَعْوَامِ ثَمَا

نية، ولكن لم يُطَقَّ

للحق صاح مُرَدِّدًا:

يا أيها الحق انطلق

في فيرننسه، في منزل جاليليو. تلاميذ جاليليو: فدرتسوني، والراهب الشاب، وأندريا سارتي، وقد صار الآن شابا، اجتمعوا لمشاهدة تجربة جاليليو، وهو واقف، يقرأ كتابا، وفرجينيا والسيدة سارتي تخيطان ثياب العرس)

فرجينيا : خياطة ثياب العرس أمر مسلّ. هذا المفروش سيصلح لمائدة كبيرة في المسآب. إن لودفكو يجب دعوة الضيوف. لكن لا بد من إتقانه، لأن أمه تلاحظ أقل غرزة رديئة. إنها غير راضية عن كتب والدي تماما مثل الأب كرسstofورو.

السيدة سارتي : إنه لم يؤلف كتابا منذ سنوات.

فرجينيا : أعتقد أنه أدرك أنه أخطأ. في روما، شرح لي رجل دين كبير جدا كثيرا من الأشياء المتصلة بعلم الفلك. إن المسافات أوسع مما ينبغي.

أندريا : (وهو يكتب على السبورة برنامج اليوم) «يوم الخميس بعد الظهر: الأجسام الطافية». لا بد لنا من ثلج، وكمية من الماء في حوض وميزان، وإبرة من الحديد.



- (يذهب للبحث عن هذه المواد . والآخرون يدرسون درس اليوم في كتب . يدخل فيلبو موشيوس، وهو عالم في منتصف العمر، مشيته تدل على شيء من الاختلال)
- موشيوس : هل تستطيعين أن تخبري السيد جالليو أنه لا بد له أن يستقبلني؟ إنه يُدِينني من دون أن يسمع كلامي .
- السيدة سارتي : لكن مادام لا يريد أن يقابلك؟
- موشيوس : إذا طلبت منه ذلك، جزاك الله خيرا . لا بد لي من التكلم معه .
- فرجينيا : (وقد مضت إلى أسفل السلم) يا أبي!
- جالليو : ماذا؟
- فرجينيا : إنه السيد موشيوس .
- جالليو : (متضايقا، يرفع بصره عن كتابه، يذهب صوب السلم، يتبعه تلاميذه) ماذا تريد مني؟
- موشيوس : يا سيد جالليو، يا سيد جالليو! اسمح لي بأن أشرح لك المواضيع في كتابي التي يبدو أنها تدين مذهب كوبرنيكوس في دوران الأرض . عندي فقط ...
- جالليو : وأي مجال للشرح بعد؟ أنت توافق تماما على القرار الصادر من المجمع المقدس في سنة ١٦١٦ . ولك الحق في هذا كل الحق . لقد درست هنا الرياضيات، أنا لا أعارض في هذا، لكن هذا لا يعطينا الحق في إرغامك على أن تقول إن $٢ + ٢ = ٤$. لك الحق تماما في أن تقول إن هذه الحصة (يخرج من جيبه حصة صغيرة ويلقي بها على بلاط الأرضية) قد طارت إلى السقف .
- موشيوس : يا سيد جالليو، أود ...
- جالليو : لا تتكلم عن صعوبات . أنا، برغم الطاعون، استمررت في إجراء ملاحظاتي .



- موشيوس : يا سيد جالليو، هناك ما هو أسوأ من الطاعون.
- جالليو : أقول لك: إن من لا يعرف الحقيقة، هو مغفل فقط. ولكن من يعرفها ويصفها مع ذلك بأنها كذب، هذا مجرم. اخرج من هذا البيت!
- موشيوس : بصوت خال من النبرة) أنت على صواب.
- (يخرج. جالليو يعود إلى مكتبه)
- فدرتسوني : نعم، الأمر هكذا! إنه ليس عبقرياً، ولعله كان لا يساوي شيئاً إذا لم يتلمذ عليك. هم طبعاً يقولون: «هذا الرجل استمع إلى كل ما علمه جالليو، ويرى نفسه مضطراً إلى الإقرار بأنه خطأ كله».
- السيدة سارتي : هذا السيد المسكين يثير الشفقة في نفسي.
- فرجينيا : لقد كان أبي يحبه كثيراً!
- السيدة سارتي : يا فرجينيا! منذ مدة وأنا أريد أن أحادثك بشأن زواجك. أنت لاتزالين صبية، وليس لك أم، وأبوك يمضي وقته في جعل قطع صغيرة من الثلج تعوم على الماء. على كل حال، لا أنصحك بأن تسأليه أبداً فيما يتعلق بالزواج. وإلا بقي ثمانية أيام ينطق بأشياء غاية في الفظاعة، ويفضل ذلك عند تناول الطعام، حين يكون الشباب هنا، لأنه ليست لديه ذرة من الحياء. على كل حال ليس عن هذه الأمور أود أن أحدثك، بل فقط عن مستقبلك. لست أدري وأنا امرأة غير متعلمة، ولكن في مسألة مهمة مثل هذه ينبغي على المرء ألا يسير فيها خبط عشواء. حقاً أعتقد أنه يجب عليك أن تذهبي لاستشارة فلكي من الجامعة، ليحسب لك طالعك، وبهذا تعرفين ما سيحصل غداً. لماذا تضحكين؟
- فرجينيا : لأنني قمت بهذا فعلاً.
- السيدة سارتي : (بشغف) وماذا قال؟



- فرجينيا : يجب عليّ أن احتاط مدة ثلاثة أشهر، لأنه في هذه المدة تكون الشمس في برج الجدي، لكن بعد هذا تتحسن حالي تماما وتتبدد الغيوم. وإذا لم أنس الاهتمام بالمشتري، ففي وسعي أن أقوم بأي رحلة، لأن برجتي هو الجدي.
- السيدة سارتي : ولودفكو؟
- فرجينيا : برجه الأسد. (صمت قصير) مزاجه عاشق. (صمت) أنا أعرف هذه الخطوة، إنه السيد جافوني، المدير.
- جافوني : (يدخل جافوني، مدير الجامعة)
- جافوني : جئت فقط من أجل إحضار كتاب ربما يهمّ أباك. وأرجوك، بحق السماء، ألا تزعجي السيد جالليو. ذلك أنني أعتقد أن كل دقيقة تؤخذ من وقت هذا الرجل العظيم، دقيقة مسلوية من إيطاليا. وهكذا أودع الكتاب برفق بين يديك، وأعود أدراجي على أطراف أصابع قدمي.
- جالليو : (يخرج. فرجينيا تعطي فدرتسوني الكتاب)
- فدرتسوني : في أي موضوع؟
- فدرتسوني : لا أدري. (يقرأ حرفا حرفا) «في البقع الشمسية».
- أندريا : البقع الشمسية. كتاب آخر في هذا الموضوع أيضا! (فدرتسوني يعطيه الكتاب غاضبا) اسمع الإهداء: «إلى أكبر حجة بين الأحياء في الفيزياء، إلى جالليو جاليلي». (يفرق جالليو في قراءة كتابه) قرأت الرسالة التي كتبها فبريسيوس عن البقع، وهو هولندي. إنه يعتقد أن هذه البقع هي أسراب من الأجرام السماوية تمر بين الأرض والشمس.
- الراهب الشاب : أليس هذا الأمر مشكوكا فيه تماما، يا سيد جالليو؟ (جالليو لا يحير جوابا)
- أندريا : في باريس وبراج يعتقدون أنها أبخرة متصاعدة من الشمس.



- فدرتسوني : أه!
- أندريا : فدرتسوني يشك في هذا كثيرا.
- فدرتسوني : إذا كان هذا لا يضايقك، دعني خارج المعركة. لقد قلت: «آه»، وهذا كل شيء. أنا أصقل العدسات، أنا صاقل عدسات، أما أنتم فتلاحظون السماء، وما تشاهدونه ليس بقعا، بل Maculis (*) فأنى لي أن أشك في أي شيء؟ وكمن من المرات عليّ أن أقول لكم إنني لا أستطيع قراءة الكتب: إنها مكتوبة باللاتينية.
- (في غضبة تبدو منه حركات، والميزان في يده. تسقط كفة على الأرضية. جاليليو يخترق المسرح ويلتقطها (في صمت)
- الراهب الشاب : نحن نقول: «طوبى للذين يَشْكُون.» وأنا أتساءل: لماذا؟
- أندريا : منذ أسبوعين، وفي كل يوم تسطع فيه الشمس، كنت أتسلق إلى الغرفة العليا تحت قرميد السقف. ومن ثقب القرميد لا يمر غير شعاع رفيع جدا، مما يسمح بتلقي الصورة المقلوبة للشمس على ورقة. وشاهدت بقعة كبيرة مثل الذبابة، رخوة مثل السحابة الصغيرة. وكانت تتنقل. لماذا لا ندرس بقع الشمس، يا سيد جاليليو؟
- جاليليو : لأننا نبحث في الأجسام الطافية.
- أندريا : عند أمي سلال كبيرة مملوءة بالخطابات، كل أوروبا تريد أن تعرف رأيك. إن شهرتك ارتفعت إلى درجة لا تستطيع معها أن تسكت بعد.
- جاليليو : إذا كانت روما قد تركت شهرتي تتصاعد، فذلك لأنني اعتصمت بالصمت.
- فدرتسوني : لكنك اليوم لا تستطيع بعد أن تسمح لنفسك بالاستمرار في الصمت.

(*) باللاتينية: بقع



- جالليو : لكني لا أستطيع أيضا أن أسمح لنفسي بأن أشوى على نار الخشب، مثل قديد الخنزير.
- أندريا : أتظن إذن أن للبقع علاقة بهذه الحكاية؟ (جالليو لا يجيب) حسن، لنقتصر على قطع الثلج، فهذا لن يسبب لنا أذى.
- جالليو : بالضبط. ما الذي افترضناه يا أندريا؟
- أندريا : فيما يتعلق بطفو الأجسام، سنفترض أنه لا يتوقف على شكلها، بل على ثقلها وتفاوته بالنسبة إلى ثقل الماء.
- جالليو : ماذا يقول أرسطو؟
- الراهب الشاب : «Discus Iatus Planusque»
- جالليو : ترجم!
- الراهب الشاب : «لوح الثلج العريض المسطح يمكن أن يطفو على الماء، بينما إبرة الحديد تغوص إلى القاع»
- جالليو : لماذا لا يفوص الثلج تبعا لأرسطو العظيم؟
- الراهب الشاب : لأنه عريض ومسطح، وتبعا لذلك هو عاجز عن إزاحة الماء.
- جالليو : طيب. (يأخذ قطعة من الثلج تقدم إليه، ويضعها في الحوض). والآن بضغط كبير، أجعل الثلج ينزل حتى قاع الحوض. أتوقف عن الضغط بيدي. فماذا يحدث؟
- الراهب الشاب : يصعد الثلج من جديد.
- جالليو : تماما. يبدو أنه من أجل الصعود قادر على زحزحة الماء. فلجنتسيو!
- الراهب الشاب : لكن، لماذا يطفو؟ إن الثلج أثقل من الماء، لأنه ماء كثيف.
- جالليو : لكن لو كان هو ماء أقل كثافة؟
- أندريا : لا بد أنه أخف من الماء، وإلا لما طفا.
- جالليو : يا سلام، يا سلام!
- أندريا : كما أن إبرة الحديد لا تطفو. كل ما هو أخف من الماء يطفو، وكل ما هو أثقل من الماء يغوص. وهو المطلوب.



- جالليو : يلزمك يا أندريا أن تتعلم كيف تبرهن بدقة واحتياط. أعطني
إبرة الحديد. ثم هات ورقة. هل الحديد أثقل من الماء؟
- أندريا : نعم.
- (جالليو يضع الإبرة على قطعة ورق ويضع الورقة على
الماء. صمت)
- جالليو : ماذا يحدث؟
- فدرتسوني : الإبرة تطفوا! أي أرسطو المقدس! إنهم لم يحققوا هذا
قط!
- (يضحكون)
- جالليو : كثيرا ما يكون السبب في عدم تقدم العلم توهم الوصول إلى
الغرض. إن هدفهم ليس فتح باب على لا نهائية المعرفة، بل
رسم حد للانهائية الخطأ. سجل ما حصل.
- فرجينيا : ماذا جرى؟
- السيدة سارتي : في كل مرة يضحكون، هذا يجعلني أفضز. إني أتساءل: «مَمَّ
يضحكون؟».
- فرجينيا : أبي يقول دائما: «إن للاهوتيين قرع نواقيسهم وللفيزيائيين
ضحكهم».
- السيدة سارتي : على كل حال أنا راضية، لأنه لم يعد ينظر كثيرا في أنبويته.
لقد كان ذلك شيئا فظيحا.
- فرجينيا : كل ما يفعله الآن أن يضع قطع ثلج في الماء. وهذا أمر لا
يمكن أن ينجم عنه شر كبير.
- السيدة سارتي : لست متأكدة من هذا.
- (يدخل لودفكو مرسيلي بملابس السفر، يتبعه خادم يحمل
أمتعة. فرجينيا تهرع إليه وتقبله)
- فرجينيا : لماذا لم تكتب إلي أنك قادم؟
- لودفكو : كنت قريبا من هنا وأنا أتفقد مزارع الكروم في ناحية



- برتشيولي، فلم أتمالك أن أمنع نفسي من المجيء .
- جالليو : (وكانه قصير النظر) من هذا؟
- فرجينيا : هذا هو لودفكو .
- الراهب الشاب : أو لا تراه؟
- جالليو : آه، صحيح! لودفكو! (يغدو في اتجاهه) وما حال الخيول؟
- لودفكو : في أحسن حال، يا سيدي .
- جالليو : سارتي، استراحة. اذهبي فأحضري إبريقا من ذلك النبيذ الصقلي الفاخر، العتيق .
- (السيدة سارتي تخرج بصحبة أندريا)
- لودفكو : (مخاطبا فرجينيا) أنت شاحبة. الحياة في الريف ستفيدك .
- أمي تنتظرك في سبتمبر .
- فرجينيا : انتظر، سأريك ثوب زفافي .
- (تخرج مسرعة)
- جالليو : اجلس .
- لودفكو : وفقا لما قيل لي يا سيدي، لديك أكثر من ألف طالب في المحاضرات التي تلقيها في الجامعة. فيم تشتغل الآن؟
- جالليو : العمل اليومي المعتاد. هل مررت بروما؟
- لودفكو : نعم. آه، قبل أن أنسى.. أمي تهنئك على حصافتك النموذجية في هذه المعركة القائمة حول البقع الشمسية، والتي يصول فيها الآن الهولنديون ويجولون .
- جالليو : (بجفاف) شكرا جزيلا .
- (السيدة سارتي وأندريا يحضران النبيذ والأقداح. يتحلقون حول المائدة)
- لودفكو : أهل روما لديهم موضوع جديد للحديث طوال شهر فبراير . وكرستوفر كلافيوس قد عبر عن خوفه من أن حكاية البقع قد تؤدي إلى استئناف الجدل بشأن مسألة دوران الأرض



- حول الشمس .
- أندريا : لا خطر .
- جالليو : وأي جديد في المدينة الخالدة (روما)، فيما عدا الأمل في ارتكابي خطايا جديدة؟
- لودفكو : أنت تعلم من غير شك أن أبانا المقدس (البابا) يعالج سكرات الموت؟
- الراهب الشاب : يا إلهي!
- جالليو : عمّن يتحدثون لخلافته؟
- لودفكو : في الغالب عن الكردينال بربريني .
- جالليو : بربريني!
- أندريا : السيد جالليو يعرف بربريني .
- الراهب الشاب : الكردينال بربريني رياضيّ .
- فدرتسوني : عالم على عرش البابوات!
- (صمت)
- جالليو : حسن . إنهم الآن في حاجة إلى رجل مثل بربريني ممن درسوا بعض الرياضيات . بدأت الأمور تتحرك . يا فدرتسوني، ربما يقدر لنا أن نعيش في عصر لن نحتاج فيه إلى الاستتار والتخفي كالمجرمين حين نعلن أن $2 + 2 = 4$. (مخاطبا لودفكو) أنا أجد هذا النبيذ جيدا يا لودفكو . وأنت، ما رأيك فيه؟
- لودفكو : إنه جيد .
- جالليو : أنا أعرف مزرعة الكرم (التي من عناقيدها اعتُصر) . المنحدر وعر وفيه حصباء، والعنب شبيه أزرق . إني مغرم بهذا النبيذ .
- لودفكو : نعم، يا سيدي .
- جالليو : إن فيه ما يشبه الظل القليل، ويكاد يكون حلوا، «يكاد» فقط .



يا أندريا! ارفع هذه الأشياء: الثلج، والحوض، والإبرة. إنني
أقدر مُنَع الحواس. ولا أحتمل النفوس الضعيفة التي تحسب
هذا نوعا من الضعف. إنني أقرر أن الاستمتاع فعل كريم.

- الراهب الشاب : ماذا قررت أن تفعل؟
فدرتسوني : سنستأنف معركة دوران الأرض حول الشمس.
أندريا : (وهو يدندن)
قال «الكتاب» بأن الأرض ثابتة
والعالمون أبانوا ذلك تكرارا
والبابا يمسكها من أصل أذنيها،
بالرغم من ذا، تدور الأرض دورتها!
(أندريا وفدرتسوني والراهب الشاب يهرعون إلى منضدة
التجارب وينظفونها مما عليها)
أندريا : ونحن نستطيع أن ندرك أن الشمس هي الأخرى تدور.
فماذا يطيب لك، يا لودفكو؟
لودفكو : لماذا تتحمس كل هذه الحماسة؟
السيدة سارتي : لكنك لن تستأنف كل هذه الحكايات الشيطانية، يا سيد
جالليو؟
جالليو : الآن أعرف لماذا بعثت بك أمك إليّ. بريريني نجمه في
صعود. العلم سيصير وجدانا، والبحث شهوة. كلافيوس
على صواب: يقع الشمس هذه تهمني كثيرا وتشوقني. هل
وجدت نبيذي جيدا، يا لودفكو؟
لودفكو : قلت لك ذلك من قبل يا سيدي.
جالليو : صحيح، تجده جيدا؟
لودفكو : (بتصلب) نعم، أجده جيدا.
جالليو : هل تتنازل وتقبل نبيذ أو بنت رجل من دون أن تطالبه
باطراح عمله؟ ما العلاقة بين فلكي وبين بنتي؟ إن أطوار



- الزهرة لا تغير شيئاً في استدارة جسدها .
- السيدة سارتي : لا تكن جلفا هكذا . سأذهب فوراً لإحضار فرجينيا .
- لودفكو : (مانعا إياها) إن الزواج، في أسرة مثل أسرتي، لا يقوم فقط على اعتبارات جنسية .
- جالليو : إذن منعوك من الزواج بابتني طوال ثماني سنوات، لتجعلني في أثناء هذه المدة موضوعا للملاحظة والمراقبة .
- لودفكو : ينبغي أن تُحدث زوجتي، في قريتي، أثرا طيبا وهي جالسة على كرسيها في الكنيسة .
- جالليو : تريد أن تقول إن فلاحيك جعلوا دفع الإيجارات مشروطا بقداسة زوجة صاحب الأرض؟
- لودفكو : بمعنى من المعاني .
- جالليو : أندريا، فولجنتسيو، اذهبا وأحضرا المرأة النحاسية والستارة! سنسقط عليها صورة الشمس، لنخفف على أعيننا: وهذه الطريقة أنت الذي اكتشفتها، يا أندريا .
- (أندريا والراهب الشاب يذهبان لإحضار المرأة والستارة)
- لودفكو : في روما، تعهدت يا سيدي بآلا تخوض بعد ذلك في حكاية الأرض التي تدور هذه .
- جالليو : آه، صحيح! لكن في ذلك الوقت كان عندنا بابا رجعي!
- السيدة سارتي : تقول: «كان!» والبابا لم يميت بعد!
- جالليو : على وشك، على وشك، ضعوا على الستارة شبكة ذات عيون مربعة . سنسلك بنظام منهجي . ثم نستطيع بعد ذلك أن نرد على رسائلهم، أليس كذلك يا أندريا؟
- السيدة سارتي : «على وشك!» إنه يزن ويعيد وزن قطع الثلج خمسين مرة، لكن حين يتعلق الأمر بشيء يناسبه وييسر أموره، فإنه يصدقه تصديقا أعمى .
- (يضعون الستارة)



لودفكو : لو مات قداسة البابا، يا سيد جاليليو، فإن البابا الذي سيخلفه، مهما يكن، ومهما كانت مشاعره نحو العلوم طيبة، فإنه لن يستطيع أن يسمح لنفسه بإهمال مشاعر الأسر الكبيرة في البلاد نحوه.

الراهب الشاب : انظريا لودفكو! الله صنع الكون الطبيعي، والله صنع المخ البشري والله سمح بدراسة علم الطبيعة.

السيدة سارتي : جاليليو، أود أن أقول لك شيئاً. لقد شاهدت ابني يقع في الخطيئة بسبب كل «تجاربيك»، و«نظرياتك» و«مشاهداتك»، ولم أستطع أن أفعل شيئاً. لقد وقفت في وجه السلطة، وهي قد حذرتك. وكبار الكرادلة راحوا يعظونك كما يصنع مع الفرس المريض. وكان لهذا أثره مدة من الزمان، لكن منذ شهرين، بعد عيد الحَمَل بلا دنس بأيام، فاجأتك وأنت تقوم بـ «مشاهداتك» خفية. وفي غرفة السطوح أيضاً! لم أشأ التكلّم في هذا، لكنني فهمت على الفور. وفي الحال هرعت لإشعال شمعة على اسم القديس يوسف. وهذا فوق طاقتي. حين أكون وحدي معك، تظهر عليك أمارات العقل السليم وتقول لي إن من اللازم أن تبقى هادئاً. لأن هذا خطر، لكن إجراء تجارب لمدة يومين يعيد الأمور من جديد. إذا كنت أحرم نفسي من النجاة في الآخرة لأنني أبقى مع مبتدع هرطيق فهذا شأنني أنا، لكن ليس من حقك أن تحطم سعادة بنتك بقدميك الغليظتين.

جاليليو : (متضايقا) هات المقراب (التلسكوب)

لودفكو : يا جوزيّه، أعد الأمتعة إلى العربية.

(يخرج الخادم)

السيدة سارتي : إنها لن تتحمل هذا. تستطيع أن تقول أنت لها هذا.

(تمضي، والجرة في يدها)

لودفكو : أرى أنك قد اتخذت قرارك. يا سيد جاليليو، إننا، أمي وأنا،



نمضي ٩ أشهر كل عام في مزرعتنا في كمبانيا، ونحن واثقون بأن فلاحينا لم يضطربوا بسبب رسائلنا عن توابع المشتري. إن عملهم شاق جدا. ومع ذلك فربما تشوشت أفكارهم لو عرفوا أن هجمات طائشة على عقائد الكنيسة المقدسة تبقى من دون عقاب. ولا تتس أن هؤلاء الناس المساكين، وهم على ما هم فيه من حيوانية، يخلطون بين الأمور. إنهم فعلا كالأنعام. ولا تكاد تتصور أحوالهم. يكفي أن تتطلق إشاعة تقول إنه عثر على كمثرى في شجرة تفاح، لكي يطلقوا لأنفسهم العنان في التخيلات.

- جالليو : (باهتمام) آه، هكذا!
لودفكو : دواب حقا. حينما يأتون إلى البيت للشكوى من أفته الأشياء، تضطر أومي إلى الأمر بضرب كلب بالسياط أمام عيونهم، إذ لا وسيلة أخرى لردهم إلى النظام والأدب. وأنت، يا سيد جالليو، تلقي نظرة من بعيد إلى حقول الذرة الفاخرة من نافذة عربتك، وتأكل زيتونا وجبننا وعقلك بعيد في عالم آخر، وليست لديك أي فكرة عما يقتضيه إنتاج هذا كله من مشقة ومراقبة في كل وقت.
- جالليو : أيها الشاب، إنني حين أكل زيتوني، لا يكون عقلي بعيدا في عالم آخر.
- (بعنف وشراسة) أنت تضيع وقتي (يصيح إلى بعيد) هل معكم الستارة؟
- أندريا : نعم. هل أنت حاضر؟
- جالليو : أنت لا تضرب فقط كلابا، يا سيد مرسيلي ليحافظوا على النظام؟
- لودفكو : يا سيد جالليو، إن عقلك عجيب. يا للخسارة!
- الراهب الشاب : (مندehشا) إنه يهددك.
- جالليو : نعم، إن في استطاعتي إشاعة الاضطراب في عقول



فلاحيه، وتوجيههم إلى أفكار جديدة. وكذلك خدمه ومعاونيه.

- فدرتسوني : وكيف ذلك؟ ليس فيهم واحد يعرف اللاتينية.
- جالليو : في وسعي أن أكتب بلغة الشعب، وللجمهور، وليس باللاتينية لعدد قليل من الخاصة. نحن في حاجة إلى أناس يعملون بأيديهم من أجل تحقيق الأفكار الجديدة. ومن غير هؤلاء يريدون أن يعرفوا أسباب الأشياء؟ إن الذين لا يرون الخبز إلا على موائدهم لا يريدون أن يعرفوا كيف عجن وخبز. هؤلاء الأوغاد يفضلون أن يشكروا الرب على أن يشكروا الخباز الذي خبز هذا الخبز. لكن الذين يصنعون الخبز يعرفون أنه لا شيء يتحرك إلا إذا حركه شخص. وأختك التي تعمل في معصرة الزيتون، يافولجنتسيو، لن يغمى عليها، بل ستضحك ملء شديها حين يقال لها إن الشمس ليست شكلا مرسوما على درع، بل هي رافعة: إذا كانت الأرض تتحرك فما ذلك إلا لأن الشمس تحركها.
- لودفكو : لن تكون أبدا غير عبد لشهواتك. قدم اعتذاراتي لفرجينيا، أعتقد أن الأفضل ألا أراها في الوقت الحاضر.
- جالليو : البائنة تحت تصرفك، في أي لحظة.
- لودفكو : مساء الخير!
- (يخرج)
- أندريا : وبلغ احتراماتنا لكل آل مرسييلي في العالم.
- فدرتسوني : الذين يأمرّون الأرض بألا تتحرك، خوفا من أن تنهار قصورهم.
- أندريا : وبلغها أيضا لآل اتشينشي Cenci، وآل فلّاني Villani.
- فدرتسوني : وآل تشرفيلي Cervilli!
- أندريا : وآل لكي Lecchi!



- فدرتسوني : وآل برليونى Pirleoni!
- أندريا : الذين لا يريدون أن يقبلوا نعل البابا إلا إذا استعمله لسحق الشعب والدوس عليه.
- الراهب الشاب : (وهو منهمك في العمل حول الأجهزة) البابا الجديد سيكون سلطانا مستتيرا.
- جالليو : سنأخذ الآن في ملاحظة بقع الشمس هذه التي تهمنا جدا، ولنتحمل النتائج، من دون أن نحسب حسابا لحماية بابا جديد.
- أندريا : (مقاطعا إياه) مع التوكيد الراسخ على تشتيت أسراب النجوم التي قال بها فابرتسيوس، وكذلك الأبخرة الشمسية التي تقول بها براج وباريس، وإثبات دوران الشمس.
- جالليو : رفقا! وللبهنة بشيء من التأكيد على دوران الشمس. فليس قصدي أن أبرهن على أنني كنت على صواب حتى الآن، بل النظر فيما إذا كنت على صواب. وأقول لك: يا من تدخل طريق الملاحظة، تخلّ عن كل أمل. ربما كانت أبخرة، وربما كانت بقعا، لكن قبل افتراض أنها بقع وهو يوافق نظريتنا، نحن نفضل أن نفترض أنها أجنحة ذباب. نعم، سنعيد النظر في المسألة كلها من جديد، ولن نتقدم بخطئ واسعة، بل بخطئ الحلزون. وما نجده اليوم سنمحوه غدا، ولن نسجله من جديد إلا بعد أن نجده مرة ثانية. وما نرجو العثور عليه، سننظر إليه، حين نعثر عليه، بتشكك وعدم ثقة. إذن سنأخذ في رصد الشمس ونحن عازمون عزمنا راسخا على إثبات أن الأرض ثابتة! و فقط حين نخفق في هذا، وحين ننهزم انهزاما تاما لا أمل في تغييره، ولا يعود أمامنا إلا أن نلحق جراحنا، حينئذ وحينئذ فقط سنتساءل ونحن محزونون، عما إذا كنا على صواب بالرغم من كل شيء، وعما إذا كانت الأرض لا تدور. (وهو يحد نظره)



لكن إذا ذابت بين أصابعنا كل نظرية أخرى، حينئذ لن نرحم أولئك الذين لم يبحثوا، ومع ذلك يسمحون لأنفسهم بفتح أفواههم. أزيلوا غلاف هذه الأنبوية وصوبوها نحو الشمس!

(يرتب المرأة)

الراهب الشاب : لقد كنت فهمت أنك بدأت العمل فعلا. فهمت ذلك حينما لم تتعرف السيد مرسييلي.

(يبدأون البحث في هدوء وصمت. وحينما تظهر صورة الشمس المتوهجة على الستارة، تأتي فرجينيا مسرعة وهي بثوب الزفاف)

فرجينيا : هل طردته يا أبي؟

(يغمى عليها. أندريا والراهب الشاب يندفعان نحوها)

جالليو : لا بد أن أعرف.

* * *



(١٠)

(خلال السنوات العشر التالية انتشر مذهب جاليليو بين عامة الناس. وفي كل مكان كان أصحاب الرسائل والمغنون الجوالون يرددون الأفكار الجديدة. وإبان كرنفال سنة ١٦٣٢ اتخذ الكثير في مدن إيطاليا من الفلك موضوعا لمواكب النقابات.

ميدان عام. بهلوان وزوجته جائعان، ومعهما بنت عمرها خمس سنوات وطفل رضيع، يصلون إلى الميدان، حيث جمهور، بعضه يلبس الأقنعة ينتظر موكب آخر أيام الكرنفال. الزوجان يجبران حزمة أمتعة وأشياء أخرى تتصل بعملهما)

المغني الجوال : (وهو يقرع الطبل) أيها الناس الكرام، سادتي وسيداتي! نقدم إليكم، قبل موكب النقابات الكبير، أحدث المحدثات في فيرننسه، أغنية تنتشر بسرعة هائلة، في كل إيطاليا الشمالية، وقد استوردناها هنا نظير تضحيات هائلة. عنوانها: النظريات والآراء المخيفة التي يقول بها الأستاذ جاليليو جاليلاي، عالم الطبيعة الكبير في بلاط توسكانيا، أو، إذا شئتم - نفحة من المستقبل.

(يفغني)

حينما قال إله الكون: «كن»

صاح في الشمس: «وهاك واجبك:

حول هذي الأرض، كالخادم

ياشمس أديري شعلتك

ذاك أن الله قد شاء لكل أن يدور

دائما حول الذي يسمو عليه



ولذا يُلَمَّى الصغار
دائماً حول الكبار
دائرين
والخوالف
دائماً حول الطلائع
هكذا في الأرض أو أعلى السماء
حول البابا يدور الكرادلة
وحول الكرادلة يدور الأساقفة
وحول الأساقفة يدور الكتبة
وحول الكتبة يدور أعيان المدينة
وحول أعيان المدينة يدور الصنّاع
وحول الصنّاع يدور الخدم
وحول الخدم تدور الكلاب والدجاج
والشّحاذون.

هذا يا حضرات الأفاضل، هو النظام العظيم، نظام
الأنظمة، كما يقول السادة اللاهوتيون. وقاعدة القواعد،
والقاعدة الأزلية، لكن ماذا حدث أيها القوم الأعزاء؟

(يغني)

ظهر الدكتور جالليو
(وأطرح كتابَ الرب
أخذ المقراب وصوّب
نظراته على ذا الكون)
صاح للشمس: أقيمى ساكنه!
في اتجاه العكس ذا الكونُ يدور
حول خادمته تدور السيّدة



أيها القوم، وليس الأمر هزلاً!
كلّ يوم قحّة يزدادُ أوزاعُ الخدم!
ذاك عينُ الحق: والنادر قد صار المزاح.
أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيّد نفسه؟
هذه الآراء يا قوم خطيرة.
(يغني)

الخادم يخدع سيّده
والبنّت الخادم تتلاعب
كلب القصاب ربا شحمه
طفل القدّاس قد أهمله
بقي التلميذ على فَرشه.
كلا يا سادة، لا، كلا!
فكتاب الرب هو الجِدّ
حبل المشنقة أعدوه
بالشدّ، وإلّا يتحطّم!
ذاك عين الحق: والنادر قد صار المزاح.

أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيّد نفسه؟
أيها القوم الكرام. ألقوا نظرة على المستقبل كما يتبأ به
العالم الدكتور جاليليو جاليلاي.
(يغني)

سيدتا بيت في السوق
في سوق السمك بلا عمل



بائعة السمك على خبز
تلتهم هي الأخرى السّمكَ
والبنّا يحضر آساسا
يستخدم أحجار المالك
والبيت إذا تم بناؤه
يأخذه البنا ويسكنه
أيجوز لهذا أن يحدث؟
كلا، يا سادة، لا، كلا
فالأمر خطيرٌ، لا هزل
ذاك عين الحق: والنادر قد صار المزاح
أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيّد نفسه؟
هذا المستأجر، بوقاحة
يضرب ذا المالك في ظهره
زوجته تزود باللبن
ابنيها وتترك قسيسا
واللبن نصيب القسيس
كلا يا سادة، لا، كلاً
فكتاب الرب هو الجد
حيل المشنقة أعدوه
بالشدّ، وإلا يتحطم
ذاك عين الحق، والنادر قد صار المزاح
أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيّد نفسه؟



- زوجة المغني : تركتُ الرقص في الحلبه
وقلت لزوجي: اسمعني
ترى هل ثم بين النّجم
نجم ثابت أبرع.
- المغني : كلا، كلا، أبدا كلا
جالليو، حسبك، جالليو!
لو كلب أُطلق من خطمه
لاسترسل في عض الناس
هذا والله هو الحق
والمرح الآن هو النادر
أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيّد نفسه؟
- كلاهما : يا من تعيشون في هم وإذلال
استجمعوا كل ما في النفس من قوة
ثم استمدوا من العلام جالليو
مبادئ العيش في رَغَدٍ على الأرض
كانت مصيبتنا في الذل والطاعة
أين يا قوم الذي لا يبتغي
أن يُرى سيد نفسه؟
- المغني : والآن أيها الناس الكرام، ستشاهدون الاكتشاف العظيم
الذي قام به جالليو جاليلي، وهو: الأرض وهي تدور
في مدارها الدائري حول الشمس. (يقرع طبلته بعنف.
الزوجة والبنث تتقدمان. الزوجة تحمل صورة غليظة تمثل
الشمس، والبنث تحمل على رأسها قرعة مالطية تمثل
الأرض، وترسم دائرة حول أمها. وبعد ذلك تتقدم البنث،



على إيقاع قرعات منفردة من الطبلية، بوثبات متدافعة.
والمغني، وهو في حالة وجد، يشير إليها بذراعه الممدودة،
وكأنها تقوم بقفزة خطيرة. وفجأة، في عمق المسرح، قرع
مستمر للطبول)

صوت عميق ينادي : الموكب!

(يدخل رجلان في أسمال بالية وهما يجران عربية صغيرة
يجلس فيها، على عرش حقير، «دوق توسكانيا الكبير»،
وعليه تاج من الكرتون وثوب من الخيش، ينظر في تلسكوب،
وفوق العرش بطاقة كتب عليها: «ينظر عن ضيق وملال»،
وبعد ذلك يسير أربعة رجال مقنعين يحملون غطاء عربية
كبيراً. يتوقفون ويطلقون في الهواء دمية تمثل كردينالا.
رجل قزم يقف في جانب وهو يحمل لوحة كتب عليها:
«العصر الجديد». وفي الجمهور يقف شحاذ على عكازته
ويرقص برجليه، ثم يسقط بدويّ شديد. يدخل مانكان
هائل يمثل جاليليو، المانكان يحيي الجمهور وأمامه طفل
يحمل نسخة ضخمة من «الكتاب المقدس» مفتوحاً عند
صفحات معلم عليها بصليب)

المغني : جاليليو جاليلاي، محطم «الكتاب المقدس»!
(الجمهور يقهقه قهقهات عالية)

* * *



(١١)

(سنة ١٦٣٣ . محكمة التفتيش تستدعي الباحث الشهير
إلى روما .

في أسفل: حر لافح

في أعلى: بَرْدٌ قارس

في الشارع صيحات ضجيج

وبلاط بالصمت يلوذ

غرفة انتظار وسلم في قصر مدتشي في فيرننتسه . جاليليو
وابنته ينتظران أن يستقبلهما الدوق الكبير)

فرجينيا : الوقت طال .

جاليليو : نعم .

فرجينيا : هذا الرجل أيضا، إنه كان يتعقبنا .

(تشير إلى شخص يمر كأنه لا يراهما)

جاليليو : (وكان بصره قد ضعف) لا أعرفه .

فرجينيا : لكني أنا شاهدته عدة مرات في هذه الأيام الأخيرة . إن فيه
شيئا يقلقني .

جاليليو : غير معقول، نحن في فيرننتسه، ولسنا بين قطاع الطرق في
قورسقه

فرجينيا : ها هو ذا السيد جافوني، مدير الجامعة .

جاليليو : الآن أنا خائف . هذا الأبله سيجرني مرة أخرى إلى مناقشة

لا تنتهي . (المدير جافوني ينزل السلم . وعند رؤيته لجاليليو
يقفز ويصرف رأسه بسرعة ويمر أمامه بتزمت صلب،
مكتفيا بإشارة من رأسه غير مدركة) ماذا جرى له؟ إن
نظري ضعف . هل حيا؟

فرجينيا : كاد . ماذا في كتابك؟ هل من الممكن أن يجدوه مبتدعا؟



- جالليو : أنت تَغشَيْنِ الكنائسَ أكثر مما ينبغي. وبسبب استيقاظك مبكرة والإسراع إلى القدّاس ستفسدين نضارة بشرتك. أنت تصلين من أجلي، أليس كذلك؟
- فرجينيا : ها هو ذا السيد فاني Vanni، صاحب المصانع، الذي من أجله وضعت مشروع مصنع لصهر الحديد، لا تنس أن تشكر له إرساله الحَجَل.
- (نزل إنسان من السلم)
- فاني : هل أعجبك الحَجَل الذي أرسلته إليك، يا سيد جالليو؟
- جالليو : الحجل كان ممتازا، يا معلم فاني، فشكرا جزيلا لك مرة أخرى.
- فاني : هناك في أعلى كانوا يتحدثون عنك. إنهم يعدونك مسؤولا عن الرسائل التي كتبت ضد «الكتاب المقدس»، والتي تباع في كل مكان هذه الأيام.
- جالليو : إنني أجهل كل شيء عن هذه الرسائل الانتقادية. و«الكتاب المقدس» هو، وهوميروس من كتبي المفضلة للقراءة.
- فاني : وحتى لو لم يكن الأمر هكذا... فإنني أود أن أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لك أننا نحن العاملين في المصانع نحن معك. لسْتُ على اطلاع واسع على حركات النجوم، لكنك في نظري الرجل الذي يناضل في سبيل حرية تعليم الأشياء الجديدة. خذ مثلا تلك الماكينة الزراعية الألمانية التي وصفتها لي. وفي السنة الماضية وحدها نشرت في لندن خمس رسائل وأبحاث في الزراعة. أما نحن هنا، فإننا نكون راضين لو كان عندنا كتاب عن القنوات في هولندا. والأوساط نفسها التي تثير لك المشاكل هي التي تمنع الأطباء في بولونيا من تشريح الجثث لأغراض البحث العلمي.
- جالليو : يا فاني، إن لصوتك تأثيره.
- فاني : أرجو ذلك. هل تعلم أن في أمستردام ولندن سوقا للنقود؟



ومدارس مهنية أيضا؟ وصحفا تظهر بانتظام وتخبر الناس عما يجري من أحداث؟ أما هنا فليست لدينا الحرية حتى في إيجاد الثروة. إنهم يعارضون ويقفون ضد مصانع صهر الحديد، بحجة أن تجمع أعداد كبيرة من العمال في المكان نفسه يساعد على انتشار الفساد الخلفي. أنا متضامن مع الرجال من أمثالك يا سيد جالليو، في السرّاء والضراء. وإذا حاولوا أن يدبروا شيئا ضدك، فتذكر أن لك أصدقاء في كل فروع النشاط. سيدي، إن وراءك مدن شمال إيطاليا تسندك وتشد أزرك.

- جالليو : وفق علمي، ليس في نية أحد أن يدبر شيئا ضدي.
- فانّي : صحيح؟
- جالليو : نعم.
- فانّي : من رأيي أنك ستكون في أمان أكثر في البندقية. فعدد رجال الكهنوت هناك أقل. ومن هناك تستطيع أن تواصل النضال. إن عندي عربة وخيولا، يا سيد جالليو.
- جالليو : لا أريد لنفسني أن أعيش عيشة لاجئ. ويهمني أن أعيش في رفاهية.
- فانّي : مؤكد. لكن بعد الذي سمعته هناك فوق، أرى أن الأمر يحتاج إلى التصرف بسرعة. عندي شعور بأنه في هذه الأوقات بالذات هم يفضلون ألا تكون في فيرننسه.
- جالليو : غير معقول. إن الدوق الكبير كان تلميذي، فضلا عن ذلك فإن البابا نفسه سيحول دون إلحاق أي أذى بي، لو حاولوا، بحجة من الحجج، أن يدبروا لي مكيدة.
- فانّي : يبدو لي، يا سيد جالليو، أنك لا تستطيع أن تميز أصدقاءك من أعدائك.
- جالليو : لكنني أستطيع أن أميز القدرة من العجز.
(يمضي بعنف)



- فاني : طيب. أرجو لك حظا سعيدا .
(يخرج)
- جالليو : (وقد عاد إلى جوار فرجينيا) في هذا البلد، كل من له شكوى يريد تقديمها، يلجأ إليّ أنا للتعبير عن شكواه، خصوصا لدى جهات لا يفيدني هذا خيرا عندها. لقد ألقت كتابا في ميكانيكا الكون، هذا كل ما في الأمر. وما يستخلص منه - أو لا يستخلص - ليس من شأنى أنا.
- فرجينيا : (بصوت عال جدا) لو عرف الناس كم نددت بما جرى في الكرنفال الأخير من طيش...
- جالليو : صحيح! أعط عسلا إلى دُبِّ، تفقد ذراعك إذا جاع هذا الحيوان.
- فرجينيا : (بصوت خفيض) لكن هل صحيح أن الدوق الكبير استدعاك للممثل أمامه اليوم؟
- جالليو : لا، لكنني أنا طلبت مقابله. ويهمه أن يحصل على الكتاب، لأنه هو الذي قدّم المال. أسألي الحاجب واشكي له أننا هنا ننتظر منذ مدة طويلة.
- فرجينيا : (تذهب إلى الحاجب، ووراءها ذلك الشخص) يا سيد منتشوا! هل أبلغ صاحب السمو أن أبي يريد أن يتحدث إليه؟
- الحاجب : وهل أنا أعرف؟
- فرجينيا : ليست هذه إجابة.
- الحاجب : صحيح؟
- فرجينيا : كن مهذبًا.
- (الحاجب يوليها ظهره ويتأهب وهو ينظر إلى الشخص)
- فرجينيا : (وقد عادت إلى جوار أبيها) إنه يقول إن الدوق الكبير لا يزال مشغولا.
- جالليو : سمعت كلمة «مهذب». فما هذا الذي كان؟



- فرجينيا : لقد شكرته على جوابه المهذب، هذا كل ما في الأمر. ألا تستطيع أن تترك الكتاب وتذهب؟ إنك هنا تضيع وقتك .
- جالليو : أصبحت أسائل نفسي: هل وقتي ثمين حقا . ربما قبلت دعوة سجريدو لأقضي بضعة أسابيع في بادوا . صحتي ليست على ما يرام .
- فرجينيا : إنك لا تستطيع أن تعيش من دون كتبك .
- جالليو : ويمكن أن نحمل في العربة بعض النبيذ الصقلي، صندوقا أو صندوقين .
- فرجينيا : كنت تقول دائما إنه لا يتحمل النقل . ثم إن البلاط لايزال يدين لك بمرتب ثلاثة أشهر، وهم لن يرسلوها إليك .
- جالليو : هذا صحيح .
- (الكردينال كبير محكمة التفتيش ينزل السلم)
- فرجينيا : الكردينال كبير محكمة التفتيش . (الكردينال وهو يمر أمام جالليو يحيي جالليو بانحناء عميقة) يا أبي، ماذا جاء بالكردينال، كبير محكمة التفتيش، إلى فيرننسه؟
- جالليو : لست أدري . لكن موقفه دل على شيء من الاحترام . كنت أعرف ما كنت أفعل حين رحلت إلى فيرننسه واعتصمت بالصمت طوال سنوات . لقد رفعوا من شأني إلى حد أنهم مضطرون اليوم إلى أخذي على علاتي كما أنا .
- الحاجب : (بصوت قوي) صاحب السمو الدوق الكبير .
- (كوزمو دي مدتشي ينزل السلم، جالليو يتقدم نحوه . كوزمو يتوقف، في شيء من الارتباك)
- جالليو : جئت لأقدم إلى سموكم محاوراتي عن النظم الكبرى...
- كوزمو : أه صحيح؟ كيف حال عينيك؟
- جالليو : ليست على ما يرام، يا صاحب السمو . لو يسمح سموكم، أحضرت الكتاب...



- كوزمو : حالة عينيك تقلقني. حقا، تقلقني. وأنا أستنتج من هذا أنك تفرط في استخدام أنبوبتك الثمينة. أو أنا غلطان؟
(يستمر في طريقه من دون أن يأخذ الكتاب)
- جالليو : لم يأخذ الكتاب، أليس كذلك؟
فرجينيا : أبي، أنا خائفة.
- جالليو : (بصوت مختق، ولكنه حازم) لا تظهرني شيئا. وبدلا من الذهاب إلى بيتنا سنذهب إلى منزل فولبي Volpi، الرّجّاج. لقد اتفقت معه على أن يكون في فناء الحانة، بجوار منزله، عربة مستعدة للرحيل في أي وقت، وفيها براميل فارغة، لاقتيادي إلى خارج المدينة...
- فرجينيا : أنت تعرف إذن...
جالليو : لا تعودي.
(يريدان الخروج)
- موظف كبير : (ينزل السلم) يا سيد جالليو! أنا مكلف بإعلانك أن بلاط فيرننسه لا يستطيع من الآن فصاعدا أن يقاوم الرغبة التي أبدتها محكمة التفتيش المقدسة في إرسالك إلى روما لاستجوابك. يا سيد جالليو! عربة محكمة التفتيش المقدس جدا في انتظارك.

* * *



(١٢)

(البابا)

جناح في الفاتيكان. البابا أربان الثامن، واسمه الأصلي: الكردينال بربريني، استقبل الكردينال كبير محكمة التفتيش. بينما الجلسة مستمرة، يلبس ثيابه. يُسمع في الخارج تدافع حشد)

البابا : (بصوت جهوري) لا، لا، لا!
محكمة التفتيش : في اللحظة التي فيها علماء كل الكليات، وممثلو كل الطرق الرهبانية والكهنوت، بسبيل الاجتماع، وقد جاءوا جميعا، تحذوهم الثقة البنوية في كلام الله كما هو وارد في الكتاب المقدس، ليسمعوا من قداستكم ما يؤيد ثقتهم هذه، في هذه اللحظة إذن تريدون قداستكم أن تخبروهم أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يعد منذ الآن صادقا؟
البابا : لن أعمل على تحطيم ألواح الحساب. لا!
كبير المحكمة : أما أن الأمر يتعلق بألواح الحساب وليس بروح التمرد والشك، فهذا ما يقوله أولئك الناس. والواقع أن الأمر لا يتعلق بألواح الحساب، بل باضطراب مروّع استولى على العالم. وهؤلاء الناس يعززون إلى الأرض الثابتة اضطراب عقولهم هم.

إنهم يصيحون: «الأرقام ترغمننا». لكن أرقامهم من أين جاءت؟ كل إنسان يعرف أنها جاءت من الشك. هؤلاء الناس يشكون في كل شيء. فهل نبني مجتمع الناس على الشك، لا على الإيمان؟ «أنت سيدي، لكنني أشك في أن هذا صواب»، هذا بيتك وزوجتك، لكن عندي شك: أليس «الأولى أن يكونا لي أنا؟»، وفي مجال آخر، إن ولوع قداستكم



بالفنون الجميلة، هذا الولوع الذي ندين له بمجموعات جميلة، أفلا يفسر عند البعض تفسيرات مهينة، كما في هذا المكتوب على كل جدران روما، وهو: «ماتركه البرابرة في روما، سرقة آل بربريني». وفي الخارج، لقد أراد الله للكرسي الرسولي، كرسي القديس بطرس، أن يعاني المحن والتجارب. فهناك قوم مجردون من الفطنة، قد أساءوا فهم سياسة قداستكم مع إسبانيا، ويأسفون لنزاعكم مع الإمبراطور. ومنذ خمسة عشر عاما وألمانيا صارت مذبحا يمزق الناس فيه بعضهم بعضا، والكتاب المقدس في فمه يستشهد به الآن والطاعون والحرب والإصلاح الديني قد جعلت المسيحية تتحلل وتتمزق إلى قطعان قليلة العدد، تسري إشاعة في كل أوروبا تقول إنكم مرتبطون مع السويد، التي تدين بالمذهب اللوثري، في مخالفة سرية تهدف إلى إضعاف الإمبراطور، وهو كاثوليكي. والآن تجيء هذه الحشرات من رجال الرياضيات ويصوبون أنابيبهم نحو السماء ويعلنون للعالم أنه حتى في هذا المجال، وهو الوحيد الذي لا يجادلك بعد أحد فيه، ليست لقداستكم قواعد راسخة. ويحق للمرء أن يتساءل: ما الداعي إلى هذا الاهتمام المفاجئ بعلم بعيد مثل علم الفلك؟ ألا يستوي الأمر أن تدور هذه الأكر في هذا الاتجاه، أو ذلك؟ وبالقدوة السيئة التي كانت لهذا الرجل الفيرنتسي (= جاليليو) صار كل إنسان في إيطاليا، حتى أحقر سائس للخيل، يتحدث عن أطوار الزهرة بترهات، ولا يوجد شخص لا يقصد بالطبع كثيرا من الأمور التي كانت تعد في المدارس راسخة، ومن شأنها أن تحدث الكثير من الضرر. فماذا عسى أن تكون النتيجة، لو أن كل هؤلاء الناس، وأجسادهم ضعيفة، وهم مفضوون على المبالغة والإفراط، لم يعودوا يثقون إلا بعقولهم، عقولهم التي يقول عنها هذا المأفون إنها الحكم



الوحيد؟ لو حَدَّتْ أن أخذوا يشكون في أن يوشع قد أوقف الشمس، ففي استطاعتهم بعد هذا أن يتناولوا بالشك الخسيس حتى جَمَعَ النذور. ومنذ أن انطلقوا في عرض البحار - ولا اعتراض عندي على هذا - صاروا يضعون ثقتهم في كرة من النحاس يسمونها البوصلة، وليس في الرب. وجاليليو هذا، إبان شبابه، قد أُلّف في الماكينات. وهم يريدون بالماكينات أن يصنعوا المعجزات. كيف؟ لم يعد بهم حاجة إلى الرب على كل حال، لكن عن أي معجزات يتحدثون؟ مثلاً، لن يكون ثم فارق بين الأعلى والأدنى. فهم ليسوا في حاجة إلى هذا. وأرسطو العظيم - وهم لا يعدونه إلا ككلب ميت - قد قال، وهم يرددون ذلك: «لو أن مكوك النَّسَّاج ينسج وحده، ولو أن عصا القيثارة تعزف وحدها، فلن يصبح أصحاب الورش في حاجة إلى صنّاع، ولا السادة في حاجة إلى خدم». وها نحن أولاء في هذا الوضع، هكذا يقولون. وهذا الرجل الفاسد يعرف تماماً ما يعمل، حين يؤلف كتبه في الفلك لا باللاتينية، بل بلهجة بائعات السمك وتجار الأقمشة.

هذه قلة ذوق منه. سأحدثه في هذا .

البابا

إنه يهيج البعض، ويعري البعض الآخر. والمدن التجارية شمالي إيطاليا تلح كل يوم في طلب المزيد من الخرائط السماوية التي رسمها السيد جاليليو للاستعانة بها في الملاحة على سفنها. ولا بد من التسليم لهم بهذا، لأن في ذلك منافع مادية ومصالح.

كبير المحكمة

لكن هذه الخرائط السماوية قائمة على أساس أقواله المبتدعة، إذ فيها الكلام عن حركات الكواكب التي نعرفها، والتي لا يمكن أن تحدث لو رفضنا نظريته. فليس من الممكن القول ببطلان النظرية والإبقاء مع ذلك على الخرائط.

البابا



- كبير المحكمة : ولمَ لا؟ لن نستطيع تجنب ذلك.
- البابا : ديبب الأقدام يزعجني. واعذرني، إذا كنت لا أملك إلا الانتباه إليه.
- كبير المحكمة : إنه ربما يعبر لك خيرا مما أستطيع، أيها البابا الأقدس. وهل يعود كل هؤلاء الناس أدراجهم والشك في قلوبهم؟
- البابا : لكن هذا الرجل هو أعظم عالم طبيعة في عصرنا، وهو نور إيطاليا، وليس مجرد عقل مختل. وله أصدقاء. فكر في بلاط فرنسا. فكر في بلاط فيينا. إنهم سينعتون الكنيسة المقدسة بأنها حماة من الأفكار البالية المتعفنة. إنني لن أسمح لأحد بأن يمسّه.
- كبير المحكمة : عمليا لن نكون في حاجة معه إلى أن ندفع الأمور شوطا طويلا، ذلك أنه إنسان من لحم ودم، وسيستسلم بسهولة.
- البابا : إنه أمهر خبير باللذات عرفته بين الناس. التفكير هو في نظره لذة جسدية. وأمام خمرة معتقة، أو فكرة جديدة تراه عاجزا عن الرفض. ومن ناحية أخرى، لا أريد إدانة أي وقائع علمية، ولا إطلاق شعارات مثل: «هنا أنصار الكنيسة!» و «هناك أنصار العقل!». لقد سمحت له بنشر كتابه على شرط أن يذكر في خاتمته أن الكلمة الأخيرة ليست للعلم، بل للإيمان. وقد وفى الرجل بوعده.
- كبير المحكمة : لكن على أي نحو؟ إن كتابه يعرض مناقشة بين مغفل يؤيد طبعاً، آراء أرسطو، وبين رجل ذكي يؤيد، طبعاً، آراء السيد جاليليو، والملاحظة الختامية، أيها البابا الأقدس، من الذي نطق بها؟
- البابا : ماذا وجدت أيضاً؟ ومن الذي ينطق بالختامة؟
- كبير المحكمة : ليس الرجل الذكيّ.
- البابا : هذه وقاحة، أنا معك في هذا. لكن ديبب الأقدام في



- الدهاليز لا يُحتمل. هل العالم كله قد جاء؟
كبير المحكمة : ليس العالم كله، ولكن أفضل من فيه.
(صمت. البابا يلبس الآن كل زينة)
البابا : أقصى ما يصل إليه الأمر هو أن تُرَوَّه آلات التعذيب.
كبير المحكمة : هذا يكفي، يا قداسة البابا. فإن السيد جالليو يفهم جيدا
في أمور الآلات.

* * *



(١٣)

(٢٣ يونيو سنة ١٦٢٣ . جاليليو، أمام محكمة التفتيش، يعلن
تبرؤه من نظريته في حركة الأرض
كان يوما عاصفا من شهر يونيو
كان يوما حافلا عندي وعندك
خرج العقل من الظلمة، لكن
ظل طول اليوم عند العتبة

روما . قصر سفير فيرنتسه . تلاميذ جاليليو ينتظرون
الأخبار . الراهب الشاب وفدرتسوني يلعبان لعبة الشطرنج
الجديدة، ذات التحركات الواسعة . وفي ركن، ركعت فرجينيا
وهي تنشد دعاء «السلام عليك يا مريم!»
البابا لم يستقبله . المناقشات العلمية انتهت .

الراهب الشاب

كان أملة الأخير . هذا صحيح، فقد قال له منذ سنوات في
روما حينما كان لا يزال اسمه الكردينال بريريني: نحن في
حاجة إليك . والآن استولوا عليه .

فدرتسوني

سيقتلونه . ولن تتم «الأقوال» Discorsi

أندريا

(وهو ينظر إليه خلسة) أتعتقد ذلك؟

فدرتسوني

لأنه لن يتبرأ من مذهبه أبدا .

أندريا

(صمت)

في الليل، حين يتعذر النوم، يجتر الإنسان أفكارا لا فائدة
منها . ففي الليلة الماضية مثلا، لم أكف عن القول لنفسي:
لم يكن عليه قط أن يغادر جمهورية البندقية .

الراهب الشاب

هناك لم يكن يستطيع أن يؤلف كتابه .

أندريا

وفي فيرنتسه لم يستطع نشره .

فدرتسوني

(صمت)



- الراهب الشاب : وكنت أسائل نفسي أيضا: هل يتركون له حصاته الصغيرة التي يحملها دائما في جيبه، وكأنها مسنّ.
- فدرتسوني : للذهاب إلى حيث يقتادونه يلبس المرء ملابس من دون جيوب.
- أندريا : (صائحا) هذا، لن يجرؤوا عليه. وحتى لو فعلوا هذا معه، فإنه لن يتبرأ من نظريته. «من لا يعرف الحقيقة، هو مغفل فحسب. لكن من يعرفها ويصفها بأنها كذب، هذا مجرم».
- فدرتسوني : لا أظن ذلك، ولن أطيع العيش لو فعل ذلك، لكن الآخرين عندهم القدرة على ذلك.
- أندريا : لا يحصل المرء بالقوة على كل شيء.
- فدرتسوني : ربما.
- الراهب الشاب : (بصوت هامس) صار له في السجن ثلاثة وعشرون يوما. وأمس كان الاستجواب الأساسي، واليوم تتعدّد الجلسة. (وقد أدرك أن أندريا يُرعى السمع، يرفع صوته) لما زرته هنا بعد المرسوم بيومين كنا جالسين في هذا الركن هناك، وأراني تمثال برياب الصغير في الحديقة، بالقرب من المزولة، ويمكن أن تراه من هنا، وشبّه عمله بقصيدة لهوراس، ولا يمكن إجراء أي تغيير فيها. وكان يتحدث عن إحساسه بالجمال، الذي دفعه إلى البحث عن الحقيقة.
- وروى البيت «في الشتاء كما في الصيف، من قريب أو بعيد، طالما كنت حيا وبعد ذلك». وكان يفكر في «الحقيقة».
- أندريا : (مخاطبا الراهب الشاب) هل رويت له كيف كان في الكلية الرومانية بينما كانوا يمتحنون ويفحصون أنبويته؟ حاك! (الراهب الشاب يهز رأسه) تماما كالعادة: كان يضع يديه على ركبتيه، وبطنه مقلوب، ويقول: «أرجوكم يا سادة، شيئا من الإدراك السليم!»



- (يقلد جالليو، وهو يضحك. صمت. مشيراً إلى فرجينيا)
إنها تصلي من أجل أن يتبرأ من نظريته.
- فدرتسوني : دعها! إن عقلها قد تشوش منذ أن تكلموا معها. لقد
أحضروا متلقي اعترافها من فيرنثسه.
- الشخص : (يدخل الشخص الذي شوهد في قصر الدوق الكبير)
السيد جالليو سيكون هنا بعد قليل. وربما سيكون في
حاجة إلى سرير.
- فدرتسوني : أطلقوا سراحه؟
- الشخص : ينتظرون إلى الساعة الخامسة، في أثناء جلسة محكمة
التفتيش، حين يعلن السيد جالليو تبرؤه من نظريته.
وحيثُتد سيقرع ناقوس القديس مرقس الكبير، وسيُقرأ
إعلان التبرؤ علنا على الناس.
- أندريا : لا أعتقد ذلك.
- الشخص : ونظرا إلى التجمهرات في الشوارع، فإن السيد جالليو
سيُقتاد إلى القصر من الباب الخلفي، باب الحديقة.
- أندريا : (يرفع صوته فجأة) القمر شبيه بالأرض، ولا يضيء
بنفسه. وكذلك الزهرة لا تضيء بنفسها: إنها مثل الأرض
وتنتقل حول الشمس. وهناك أربعة أقمار تدور حول كوكب
المشتري، وارتفاع هذا هو ارتفاع النجوم الثوابت، وليس
مربوطا بأي غلاف. والشمس هي مركز العالم، وتظل
ساكنة في مكانها، لا تتحرك، والأرض ليست مركز العالم،
وهي تتحرك. وهو الذي بين لنا ذلك.
- الراهب الشاب : وعبثا يستعملون القوة، فما شوهد لا يمكن جعله لم
يشاهد.
- فدرتسوني : (وهو ينظر إلى المزالة في الحديقة) الساعة الخامسة.
(فرجينيا تصلي وتدعو بحرارة أشد)



- أندريا : كلا، لا أستطيع احتمال الانتظار. إنهم الآن يضربون الحقيقة على أم رأسها.
- (يغلق إذنيه. وكذلك الراهب الشاب. لكن الناقوس لا يدق. وبعد برهة مشغولة بتمتمات صلوات فرجينيا، فدرتسوني يقول «لا» برأسه. الآخرون يلقون بأيديهم)
- فدرتسوني : (بصوت لا نبرة فيه) لا شيء. مضت ثلاث دقائق بعد الخامسة.
- أندريا : إنه يقاوم.
- الراهب الشاب : إنه لن يتبرأ من نظريته.
- فدرتسوني : لا. يا لنا من سُعداء!
- (يتعانقون، وهم في أوج الفرحة)
- أندريا : وهكذا، لا تستطيع القوة أن تنال كل شيء. وليست قادرة على كل شيء. وإذن يمكن هزيمة الحماقة، الحماقة ليست بمأمن من الطعن! وإذن الموت لا يخيف الإنسان!
- فدرتسوني : الآن حَقَّ القولُ بأن عصر المعرفة قد بدأ، في هذه الساعة قد ابتداءً. تصور، لو أنه تبرأ.
- الراهب الشاب : لم أقل ذلك، لكنني كنت شديد القلق. كنت رجلاً قليل الإيمان.
- أندريا : أما أنا، فكنت أعلم.
- فدرتسوني : كأن الليل قد عاد في الضحى، هكذا كان سيكون شعورنا.
- أندريا : كأن الجبل قد قال: أنا نَهَرٌ.
- الراهب الشاب : (جاثياً وهو يبكي) الحمد والشكر لك يا إلهي.
- أندريا : لكن تغير الآن كل شيء. رفع الإنسان رأسه، ومخلوق الألام يقول: «أريد أن أحيأ». هذا ما نكسبه لو أن إنساناً واحداً بقي واقفاً وقال: لا.



(في هذه اللحظة يرن صوت ناقوس القديس مرقص بنبرة
حادة. الكل مسّمرون في أماكنهم)

فرجينيا : (وقد نهضت) ناقوس القديس مرقص! لن يدان.

(من الشارع يصّاعد صوت المنادي العام، وهو يقرأ إعلان
جالليو لتبرئته من نظريته)

صوت المنادي : «أنا جالليو جاليلاي، أستاذ الرياضيات والطبيعة في

فيرنتسه، أعلن تبرئي مما علّمته، وهو أن الشمس هي
مركز العالم، ولا تتحرك من مكانها، وأن الأرض ليست
المركز وأنها تتحرك. أتيراً من، وأكره، وألعن، بقلب مخلص
وإيمان لا مرأء فيه، كل هذه الأخطاء والبدع، وكذلك كل
خطأ آخر وكل رأي آخر يتعارض مع تعاليم الكنيسة، أمنا
المقدسة».

(المسرح يأخذ في الإظلام. وحين يضاء من جديد، لايزال
الناقوس يقرع، ثم يتوقف. فرجينيا خرجت وتلاميذ جالليو
لايزالون هناك)

فدرتسوني : لم يدفع لك شيئاً ذا بال نظير العمل الذي قمت به. ولم يكن

في مقدورك أن تشتري لباساً، ولا أن تشتري شيئاً باسمك.
وكل هذا قد تحمّلته لأنه كان «عملاً في سبيل العلم».

أندريا : (بصوت عال جداً) ويل للأمة التي لا أبطال فيها!

(يدخل جالليو، وقد تغير تماماً، لا يكاد المرء يتعرفه بسبب
القضية. سمع الجملة التي قالها أندريا. وبقي عند وصيد
الباب بضع لحظات، منتظراً أن يحيوه. لكن لا أحد يفعل
ذلك، والتلاميذ بيتعدون عنه، حينئذ يتقدم بخطى بطيئة،
مترددًا بسبب ضعف بصره، نحو مقدمة المسرح، حيث
يجد كرسيًا مستديرًا فيجلس عليه)

أندريا : لا أستطيع بعدُ أن أراه. فليرحل!

فدرتسوني : هدّئ نفسك.



أندريا : يا خابية النبيذ! يا مفترس الحلزون! أنقذت جلدك العزيز؟
(يجلس) أشعر بغثيان.

جالليو : (بهدهوء) أعطوه كوب ماء!
(الراهب الشاب يذهب ليحضر لأندريا كوب ماء من الخارج. الآخرون لا يهتمون بجالليو، وجالليو يستمتع من دون أن يتحرك من كرسيه المستدير. من بعيد يُسمع مرة أخرى صوت المنادي العام)

أندريا : الآن أستطيع المشي، لو ساعدتموني قليلا.
(يقتادونه نحو الباب. في هذه اللحظة جالليو يتكلم)

جالليو : لا! الويل للأمة التي في حاجة إلى أبطال.
نص يقرأ أمام الستارة:

«أليس من الواضح أن الفرس الذي يسقط من ارتفاع ثلاث أذرع أو أربع يجوز أن تتكسر عظامه، بينما الكلب لا يصاب بأي أذى، وكذلك القط الذي يسقط من ارتفاع ثماني أذرع أو عشر، أو الزنبور الذي يسقط من ارتفاع برج، أو النملة إذا سقطت من القمر؟ وكما أن الحيوانات الضعيفة القائمة أقوى وأشد نسيبا من الحيوانات البدينة، كذلك النباتات الصغيرة أقدر على المقاومة: فإن سنديانة طولها مائتا ذراع لا يمكنها أن تنمي فروعها بالنسبة نفسها التي بها تفعل السنديانة الصغيرة، والطبيعة لا يمكنها أن تعطي الفرس قامة عشرين فرسا، كما لا يمكنها أن تعطي المارد قامة عشرة رجال، إلا إذا عدلت نسب جميع الأعضاء، وخصوصا العظام، بحيث يكون حجمها أكبر من الحجم الذي تتطلبه نسبة الأبعاد. والرأي الشائع، الذي يعزو إلى الآلات الكبرى درجة المقاومة نفسها التي يعزوها إلى الآلات الصغرى، هو رأي بين البطلان».

جالليو، من كتاب: «الأقوال» Discorsi

* * *



(١٤)

(سنة ١٦٢٣ - ١٦٤٢)

جالليو جاليلاي يعيش في بيت ريفي بالقرب من فيرننتسه، وهو سجين محاكم التفتيش حتى وفاته. كتاب «الأقوال»،

من عام ١٦٢٣ حتى عام ١٦٤٢

بقي جالليو سجين الكنيسة حتى وفاته.

قاعة كبرى، وفيها منضدة، وكرسي من الجلد وكرة أرضية. جالليو، وقد صار شيخا هرما، نصف أعمى، يقوم بتجارب دقيقة بواسطة كرة من الخشب، ومجرى من الخشب منحني الشكل. وفي الدهليز، يجلس راهب يراقبه. يُقرع الباب. الراهب يعدو لفتح الباب ويدخل فلاحا يحمل إوزتين منتوفتي الريش. فرجينيا، وقد صار عمرها الآن نحو الأربعين سنة، تخرج من المطبخ)

كلفوني بأن أحمل إليك هذا .

الفلاح

من الذي أرسل بها، أنا لم أوص على إوزّ.

فرجينيا

قالوا لي إن الذي بعث بها عابر طريق.

الفلاح

(يخرج. فرجينيا تتطلع في الإوزتين بدهشة. الراهب يأخذهما من يديها ويفحصهما بارتياب. ثم، وقد اطمأن، يعيدهما إليها، وهي تحملهما إلى جالليو في القاعة الكبرى وهي تحملهما من عنقيهما).

عابر طريق قد أتى بهذه الهدية.

فرجينيا

ما هي؟

جالليو

ألا تراهما فعلا؟

فرجينيا

لا. (يقترب) إوز. هل معهما بطاقة تحمل اسما؟

جالليو

لا .

فرجينيا



- جالليو : (وقد أخذ منها إحدى الإوزتين) ثقيلة. عندي شهية لقطعة منها.
- فرجينيا : ليس من الممكن أن تكون جائعا. إذ تناولت عشاءك منذ قليل. وماذا في عينيك بعد؟ كان من المفروض أن تراهما من دون أن تتحرك من المنضدة.
- جالليو : أنت في الظلام.
- فرجينيا : أنا لست في الظلام.
- (تأخذ الإوزتين)
- جالليو : ضعي فيهما زعترا وتفاحا.
- فرجينيا : (مخاطبة الراهب) لا بد أن يذهب أحد لإحضار الطبيب، فإن أبي لم يستطع رؤية الإوزتين وهو عند منضدته.
- الراهب : سأطلب أولا إذنا من مونسنيور كربولا. إنه يريد أن يكتب بنفسه.
- فرجينيا : لا. لقد أملى عليّ كتابه، وأنت تعرف ذلك جيدا. وقد تسلمت الصفحتين ١٣١ و ١٣٢، وهما الأخيرتان في الكتاب.
- الراهب : إنه ثعلب عجوز.
- فرجينيا : هو لا يفعل شيئا مخالفا للتعليمات. وتوبته نصوح مخلص، وأنا متنبهة إليه. (تعطي الراهب الإوزتين) قل لهم في المطبخ يشووا الكبد، مع تفاحة وبصلة. (تعود إلى القاعة الكبرى) والآن سنوجه اهتمامنا إلى عيوننا، ونرتب كرتنا ونملي جزء صغيرا من رسالتنا الأسبوعية إلى سيادة كبير الأساقفة.
- جالليو : لست أشعر بأنني على ما يرام. الأفضل أن تقرئي عليّ بعضا من شعر هوراس.
- فرجينيا : في الأسبوع الماضي قال لي المونسنيور كربولا - ونحن ندين له بالكثير، مثلا الخضراوات التي أرسلها إلينا منذ مدة - قال إن رئيس الأساقفة يسأل في كل مرة: هل أعجبتك المسائل والاقتراسات التي بعث بها إليك؟ (تجلس لتكتب تحت إملائته)



- جالليو : أين وصلنا؟
- فرجينيا : القسم الرابع: «... وفيما يتعلق بموقف الكنيسة أمانة المقدسة، من الاضطراب الذي حدث في ترسانة البندقية، أؤيد كل التأييد الموقف الذي اتخذته الكردينال اسبولتي تجاه تمرد الحبالين»
- جالليو : هذا هو. (يملي) «أؤيد كل التأييد الموقف الذي اتخذته الكردينال اسبولتي Spoltti تجاه تمرد الحبالين، وهو أن الأفضل توزيع الحساء عليهم باسم المحبة المسيحية، من زيادة أثمان حبال السفن والحبال الخاصة بالنواقيس. خصوصا أن الحكمة تقضي بتقوية الإيمان في نفوسهم، لا الشراهة والجشع. لقد قال القديس بولس: «المحبة قادرة على كل شيء...»، فما رأيك في هذا؟
- فرجينيا : هذا رائع، يا أبي.
- جالليو : ألا تعتقدن أنهم قد يتسمون في هذا شيئا من التهكم؟
- فرجينيا : لا. سيسر المطران كل السرور. إنه يحب الأشياء الملموسة.
- جالليو : أنت قادرة على الحكم. وماذا بعد هذا؟
- فرجينيا : حكمة رائعة: «حينما أكون ضعيفا، هنالك أكون قويا»
- جالليو : لا شرح.
- فرجينيا : لماذا؟
- جالليو : وماذا بعد هذا؟
- فرجينيا : «حتى نستطيع أن ندرك أن محبة المسيح تفوق كل معرفة». (الرسالة إلى أهل أفسوس، الإصحاح الثالث، الآية ١٩)
- جالليو : وأشكر لنيافتك بوجه خاص اقتباسك الرائع من الرسالة إلى أهل أفسوس. وقد هزنتني إلى أن أجد في كتاب «الافتداء بالمسيح»، وهو كتاب لا مثيل له، الحكمة التالية (يقولها عن ظهر قلب) «من يبلِّغُه الكلام الأزلي لا يَصْعَقُ بَعْدُ



أسئلة لا جدوى منها». هل في استطاعتي بهذه المناسبة، أن أتحدث عن حالتي الخاصة؟ إنهم لا يزالون يأخذون عليّ أنني سبق لي أن ألقت كتابا في الأجرام السماوية بلغة الشارع. ولم أكن أقصد من هذا قط أن أقترح أو أؤيد أن تكتب الكتب المتعلقة بموضوعات أهم بألاف المرات، مثل موضوعات اللاهوت، بلغة صانعي المكرونة. وحينما يحتجون بأن «المبرر لاستخدام اللغة اللاتينية في الطقوس والشعائر الدينية هو كون هذه اللغة لغة عالمية، مما يمكن كل الشعوب من فهم القداس»، فإنه يبدو لي أن هذه الحجة ليست وجيهة تماما، لأن الساخرين، وهم لا يعوزهم القول، يستطيعون حينئذ أن يعترضوا قائلين إن النص لا يفهمه أي شعب في هذه الحالة. أما عن نفسي، فيطيب لي أن أتخلي، فيما يتعلق بالأسرار المقدسة، عن الوضوح المريب. ولاتينية منبر الوعظ، وهي تحمي الحقائق الأزلية للكنيسة من استطلاع الجهلاء، تبعث الثقة لو كان أبناء الطبقات الدنيا، حين يصيرون قساوسة، ينطقونها بنبرات اللهجة المحلية. لا، اشطبي هذا.

- فرجينيا : كل هذا الموضوع؟
جالليو : ما يأتي بعد: «صانعي المكرونة».
- أندريا : (يُقرع الباب. فرجينيا تمضي إلى الدهليز. الراهب يفتح. يدخل أندريا سارتي، وقد صار الآن رجلا يناهز الأربعين). مساء الخير. أنا على وشك مغادرة إيطاليا لأتابع أبحاثي العلمية في هولندا، وقد طلبوا إليّ أن أزوره في أثناء مروري لأزودهم بأخباره.
- فرجينيا : لست أدري هل يريد أن يراك. إنك لم تحضر قط.
أندريا : أسأليه.
- (جالليو قد تعرف الصوت. يبقى جالسا، بغير حراك. فرجينيا تأتي إليه)



- جالليو : أليس هو أندريا؟
- فرجينيا : بلى. هل ينبغي طرده؟
- جالليو : (بعد لحظة صمت) أدخله.
- فرجينيا : (فرجينيا تُدخِل أندريا)
- فرجينيا : (تخاطب الراهب) إنه ليس خطرا. كان تلميذا له. واليوم صار خصما له.
- جالليو : يا فرجينيا، اتركيني وحدي معه.
- فرجينيا : أريد أن أسمع ما يقوله.
- (تجلس)
- أندريا : (ببرود) كيف حالك؟
- جالليو : اقترب. ماذا جرى لك؟ حدثني عن شغلك. قيل لي إنه ينصبّ على علم المائيات.
- أندريا : كلفني فابرتسيوس من أمستردام بالسؤال عن صحتك.
- (صمت)
- جالليو : صحتي جيدة. وأنا محاط بالعاية والاهتمام.
- أندريا : سأكون سعيدا حين أخبرهم بأنك في صحة جيدة.
- جالليو : فابرتسيوس سيكون سعيدا حين يعلم ذلك. وتستطيع أيضا أن تخبره أنني أعيش في راحة مقبولة. فبفضل عمق توبتي استطعت أن أظفر برضا ورعاية المشرفين عليّ، حتى أنهم أذنوا لي بمواصلة نشاطي العلمي، في حدود معقولة، وتحت مراقبة الكنيسة.
- أندريا : هكذا إذن! ونحن أيضا علمنا أن الكنيسة راضية عنك. خضوعك التام أنتج أثره. ووفق ما يؤكدون، فإن المشرفين عليك قد لاحظوا، برضا بالغ، أنه منذ خضوعك لم ينشر في إيطاليا كتاب واحد يؤيد الأفكار الجديدة.



- جالليو : (وهو يصغي باهتمام) لكن مع الأسف توجد بلاد تفلت من حماية الكنيسة الساهرة. وأخشى أن تستمر النظريات المدانة في أن تجد في تلك البلاد من يرعونها ويسندونها.
- أندريا : في تلك الدول أيضا حدث رد فعل، فرحت به الكنيسة، وكان ذلك نتيجة لتبرُّك من نظرياتك.
- جالليو : صحيح؟ (صمت) هل لديك أخبار عن ديكرت؟ وهل لديك أخبار عن باريس؟
- أندريا : نعم. لما علم ديكرت بتبرُّك من نظرياتك، بادر فأخفى رسالة عن الضوء، خبأها في درج.
- (صمت طويل)
- جالليو : أنا مهموم بشأن بعض العلماء من أصدقائي الذين جررتهم في طريق الضلال. هل بعد تبرُّئي عادوا إلى آراء أكثر صوابا؟
- أندريا : عزمتم على الذهاب إلى هولندا، كي أستطيع مواصلة أبحاثي. لا يعطى التلميذ إذنا لم يحصل عليه الأستاذ.
- جالليو : فاهم.
- أندريا : عاد فدرتسوني إلى صقل العدسات، في محل لا أدري مكانه في ميلانو.
- جالليو : (ضاحكا) إنه لا يعرف اللاتينية.
- (صمت)
- أندريا : وفولجنسيو، راهبنا الصغير، تخلَّى عن البحث وعاد إلى حظيرة الكنيسة.
- جالليو : هذا حسن. (صمت) المشرفون عليّ يحسبون أنني على وشك الشفاء الروحي. وأنا أتقدم فيه أكثر مما كان يُتوقع.
- أندريا : آه!



- فرجينيا : الحمد لله!
- جالليو : (بلهجة خشنة) اذهبي وانظري ماذا حدث للإوز، يا فرجينيا.
- (فرجينيا تخرج غاضبة. الراهب يكلمها وهي مارة)
- الراهب : هذا الشخص لا يعجبني.
- فرجينيا : إنه ليس خطرا. أنت قد سمعت بنفسك. (وهي ذاهبة)
- وصلنا جبن معز طازج.
- (الراهب يخرج معها)
- أندريا : سأسافر طوال الليل، وذلك لأعبر الحدود غدا عند الفجر.
- هل أستطيع الرحيل؟
- جالليو : لست أدري لماذا جئت، يا سارتي. ألتشيع الاضطراب في نفسي؟ إنني أعيش بتحوط، وأفكر بتحوط منذ أن جئت إلى هنا، وكفاني ما وقعت فيه من نكسات.
- أندريا : لا أريد أن أعكر عليك هدوءك، يا سيد جالليو.
- جالليو : بربريني سمى هذا نوعا من الجرب. وهو نفسه ليس بريئا منه تماما. عدت إلى الكتابة.
- أندريا : أه؟
- جالليو : فرغت من كتاب «الأقوال».
- أندريا : وكيف؟ المحاورات المتعلقة بفرعي المعرفة الجديدين:
- الميكانيكا، وسقوط الأجسام؟ هل هي هنا؟
- جالليو : أوه، إنهم يعطونني ما أكتب به. والمشرفون عليّ ليسوا بلهاء. إنهم يعلمون أن الرذائل المتأصلة لا تمحى في يوم وليلة. وهم يحمونني من النتائج الوخيمة، وذلك بأخذ الصفحات كلما فرغت منها، وحفظها في مكان أمين.
- أندريا : يا إلهي!
- جالليو : هل قلت شيئا؟



- أندريا : يا إلهي!
- جالليو : هل قلت شيئاً؟
- أندريا : إنهم يجعلونك تحرث في البحر. يعطونك ما تكتب به، لكن من أجل أن يخرسوك. كيف يتسنى لك أن تكتب؟ أو ليس أمامك من هدف غير هذا؟
- جالليو : أوه، أنا أسير عاداتي!
- أندريا : كتاب «الأقوال» بين أيدي الرهبان! بينما أمستردام ولندن وبراج في أشد الحاجة إليه!
- جالليو : إنني من هنا أسمع فابرتسيوس يبكي، مطالباً بحقه في رطل اللحم، وهو آمن في هولندا.
- أندريا : معنى هذا ضياع علمين جديدين!
- جالليو : إنه هو وبعض الآخرين سيهتزون جزعا حينما يعلمون أنني خاطرت بالبقايا الضئيلة الباقية من راحتي من أجل عمل نسخة منه، من وراء ظهري، مستتفداً آخر بريق من نور الليلي المضيئة في هذه الأشهر الأخيرة.
- أندريا : عندك نسخة؟
- جالليو : غروري قد منعني حتى الآن من تدميرها.
- أندريا : وأين هي؟
- جالليو : «إذا تسببت عينك في الخطيئة فاقطعها». أيا من كان مؤلف هذه العبارة، فإنه كان أعلم مني بأمور الراحة العقلية. وأظن أنه من الجنون المطبق أن أسلمها إلى أيدي أخرى. ومادمت أنا قد كنت عاجزاً عن الكف عن العمل العلمي، فلا بأس عليك أنت من الانتفاع بها. النسخة مخبأة في الكرة الأرضية. فإذا كنت تنوي حملها إلى هولندا فعليك أن تتحمل وحدك كل المسؤولية. وعليك أن تقول حينئذ إنك اشتريتها من شخص اطلع على النسخة الأصلية في الديوان المقدس.



- (يذهب أندريا لاستخراج النسخة من الكرة الأرضية).
- أندريا : كتاب «الأقوال» (يتصفح المخطوط، ويقرأ بصوت عال) «غرضي هو أن أنشئ علما جديدا كل الجدة، يتناول موضوعا قديما جدا، هو الحركة. وقد اكتشفت - بفضل التجارب - بعض خواصها التي تستحق أن تُعرف».
- جاليليو : كان لا بد من تمضية وقتي في شيء.
- أندريا : سيكون أساسا لفيزياء جديدة.
- جاليليو : خبئه في ثيابك.
- أندريا : ونحن الذين ظننا أنك خُنْتَ! وأعلى الأصوات هجوما عليك كان صوتي.
- جاليليو : كان ذلك أمرا طبيعيا. لقد علمتك العلم، غير أنني أنكرت الحقيقة.
- أندريا : هذا يغير كل شيء. كل شيء تماما.
- جاليليو : صحيح؟
- أندريا : كنت.. تخفي الحقيقة. لكن عن العدو. في ميدان الأخلاق، وفي سائر الميادين، كنت أنت متقدما علينا بعدة قرون.
- جاليليو : وضح هذا، يا أندريا.
- أندريا : كنا، مع رجل الشارع، نقول: «سيموت ولكن لن يتبرأ من مذهبه». ثم جئت وقلت: «تبرأت، ولكني بقيت حيا». قلنا: «يداه قدرتان»، لكنك أحببت: «أن تكون قدرة أفضل من أن تكون فارغة».
- جاليليو : أن تكون قدرة أفضل من أن تكون فارغة. هذا ينبئ عن روح عملية. وهذا يشبه ميولي. العلم الجديد يقتضي أخلاقا جديدة.
- أندريا : كان من الواجب أن أكون أول من يعرف هذا. لقد كان عمري الحادية عشرة لما أنبعت إلى مجلس شيوخ جمهورية



البندقية العدسة التي اخترعها غيرك. وشاهدتك تستخرج من هذه الآلة.. نتائج خالدة. وأصدقاء هزوا رؤوسهم لما انحنيت أمام طفل فيرنتسه: لكن العلم كسب بذلك جمهوراً. وفي ذلك الوقت أيضاً كان الأبطال يثيرون فيك الضحك. كنت تقول: «إني أنزعج من الناس الذين يتألمون». «الشقاء ينتج عن سوء التقدير»، «أمام العقبات أقصر طريق بين نقطتين يمكن أن يكون الخط المنحني».

جالليو : أتذكر ذلك.

أندريا : ولما استحسننت - في سنة ٢٣ - أن تتبرأ من نقطة في مذهبك تتميز بالشعبية، كان واجبا عليّ أن أحزر أنك ستتخلص فقط من معركة سياسية لا أمل في الانتصار فيها، ابتغاء جعل المهمات الحقيقية في العلم تتقدم..

جالليو : وهذه المهمات هي...

أندريا : دراسة خواص الحركة، والحركة أمّ الماكينات، والماكينات هي وحدها القادرة على جعل الأرض قابلة للسكنى إلى الحد الذي معه يمكن الاستغناء عن السماء.

جالليو : آه، هكذا!

أندريا : لقد فزت بالفراغ اللازم لتأليف كتاب علمي كنت وحدك القادر على تأليفه. فلو أنك انتهيت على النار، في حالة من نار، لكان الآخرون هم الذين كسبوا.

جالليو : وهم الذين كسبوا. ولا يوجد عمل عملي يستطيع إنسان بمفرده القيام به.

أندريا : إذن لماذا تبرأت من مذهبك؟

جالليو : تبرأت لأنني كنت أخاف من الآلام البدنية.

أندريا : ليس هذا صحيحاً.

جالليو : لقد أروني أدوات التعذيب.



- أندريا : لم يكن ذلك منك إذن نتيجة حسابٍ قَدَّرته؟
- جالليو : لا .
- أندريا : (بصوت قويّ) ليس للعلم غير قانون واحد، هو: الإسهام في العلم.
- جالليو : وإسهامي قد قدّمته . فمرحبا بك في النهر، أي أخي في العلم، وابن عمي في الخيانة . أتأكل السمك؟ عندي سمك . والرائحة الكريهة لا تبعث من سمكي، بل منّي أنا . أنا أبيع بأبخس الأثمان، وأنت المشتري . من يقاوم عندما يرى الكتاب، هذه السلعة؟ سيتدفق الماء في فمك ويفرق اللعنت وعاهرة بابل الكبرى، البقرة القاتلة ذات الغلالة القرمزية، تفتح ساقها، وإذا بكل شيء قد تحول وتغيّر . ليتقدس اسم جماعتنا المحتالة، غاسلة العار، والخائفة من الموت .
- أندريا : الخوف من الموت أمر إنساني . وضروب الضعف الإنساني لا شأن لها بالعلم .
- جالليو : هذا غير صحيح! يا عزيزي سارتي، حتى في الحالة التي أنا فيها، أشعر بأنّي لأزال قادرا على أن أبين لك بياجيز ما له شأن وما ليس له شأن بهذا العالم الذي أسلمت أنت إليه روحك وبدنك . (لحظة صمت قصيرة . جالليو يضع يديه متقاطعتين على بطنه متخذا موقف الأستاذ) . في ساعات فراغي، وما أكثرها، راجعت حالتني من أولها إلى آخرها، وفكرت في الحكم الذي سيطلقه عليها العالم العلمي الذي أحسب نفسي لم أعد أنتسب إليه . وحتى تاجر الأقمشة مضطر ليس فقط إلى أن يشتري بثمن رخيص ويبيع بثمن غال، بل وأيضا إلى أن يعمل على أن تستطيع تجارة الأقمشة أن تنمو وتتسع من دون عوائق . ويبدو لي أن ممارسة العلم تتطلب لهذا الغرض شجاعة خاصة . إن العلم يعمل بواسطة معرفة يتم الحصول عليها بالشك . والعلم وهو يزود الجميع بمعرفة عن جميع الأشياء يهدف



إلى أن يجعل من الجميع «شكاكا». لكن الأغلبية العظمى من الناس قد أبقاهم الأمراء، وكبار الملاك، ورجال الدين في ضباب خَدَّاع من الخرافات والعبارات العتيقة التي تستر مؤامراتهم. وشقاء الأغلبية قديم قدم الجبال، ومنير الكنيسة وكرسي الجامعة يعلنان أن هذا الشقاء لا يمكن أن يزول، شأنه شأن الجبال. وأسلوبنا الجديد في الشك بعث الحماسة في نفوس الجماهرة العظمى، فانتزعوا من أيدينا التلسكوب (المقرب) وصوَّبوه إلى معذبيهم. والناس الأنانيون العنيفون، الذين تملكوا ثمار العلم بشراسة، شعروا في الوقت نفسه بنظرة العلم الباردة مصوبة نحو شقاء جاثم منذ آلاف السنين، لكنه مصطنع، تمكن إزالته بإزالتهم هم. فحاصرونا بالتهديدات والمناورات المفسدة، التي لا تستطيع النفوس الضعيفة مقاومة إغرائها. لكن هل نستطيع أن نتخلى عن الجماهير ونبقى مع ذلك علماء؟ إن حركات الأجرام السماوية صار من السهل إدراكها، أما بالنسبة إلى الشعوب فحركات سادتها بقي من المستحيل تقديرها. ولقد كسبنا الكفاح من أجل قياس السماء، وذلك بفضل الشك، ولكن كفاح ربات البيوت في إيطاليا من أجل قرح من اللبن سيضيع هباءً باستمرار، وذلك بسبب سذاجة الاعتقاد. والعلم، يا سارتي، يخوض كلا الكفاحين. والإنسانية وهي تتعثر في هذا السراب من الخرافات والعبارات العتيقة منذ آلاف السنين، ومن الجهل بحيث لا تنمي طاقتها الخاصة تنمية عميقة - هذه الإنسانية لن تكون قادرة على تنمية طاقات الطبيعة التي اكتشفتموها. من أجل ماذا تعملون أنتم؟ أعتقد أن الغرض الوحيد من العلم هو العمل على تخفيف عبء الحياة الإنسانية. لو اقتصر العلماء - بتخويف من السادة الأنانيين - على تكديس العلم من أجل العلم، فسيكون من الممكن تشويه العلم، وآلاتكم الجديدة لن تفيد إلا في خلق



متاعب جديدة. وربما استطعتم مع الزمن أن تكتشفوا كل ما يمكن اكتشافه، ومع ذلك فإن تقدمكم لن يكون غير مواصلة للسير، تاركين الإنسانية وراء ظهوركم بمسافات بعيدة. والانقطاع بينكم وبينها يمكن ذات يوم أن يصير من العمق بحيث تكون الصيحة أمام انتصار جديد جوابها هو صيحة فزع. بوصفي عالما كانت لديّ إمكانية فريدة. عشت في العصر الذي فيه وصل علم الفلك إلى الساحات العامة. وفي هذه الظروف الخاصة، كان ثبات إنسان واحد ربما أحدث اضطرابات هائلة. لو أنني أنا قاومت، لأمكن علماء الطبيعة أن يضعوا شيئاً شبيهاً بقسم أبقراط، قسم الأطباء، أعني التعهد القاطع بعدم استخدام العلم إلا في خير بني الإنسان! لكن على حسب ما تجري عليه الأحوال الآن، فإن كل ما يمكن أن نراه هو الحصول على جنس من الأقرام المخترعين، يمكن أن ندفع لهم الأموال لعمل أي شيء. وفضلاً عن ذلك، يا سارتي، صرت أعتقد اعتقاداً جازماً أنني لم أشعر قط بأنني في خطر حقيقي. وطوال عدة سنوات كنت قويا قوة السلطة. ووضعت علمي بين يدي أساتذة كي يفيدوا أو لا يفيدوا منه، أو ليسيتوا استخدامه، بحسب ما يخدم أهدافهم. (دخلت فرجينيا، حاملة صحننا، تتوقف) لقد خنت واجبات مهنتي، وإن رجلا صنع مثل صناعي لا يمكن قبوله بعد في جماعة رجال العلم.

فرجينيا : لقد قبلت في جماعة المؤمنين.

(تقترب، وتضع الصحن على المنضدة)

هذا صحيح. والآن عليّ أن أتناول الطعام. (أندريا يمد إليه يده. جاليليو يرى اليد، ولكنه لا يصافحه) أنت الآن أستاذ. فهل تخاطر بمصافحة يد مثل يدي؟ (يذهب نحو المنضدة). عابر مرّ من هنا وأرسل إليّ إوزتين. أنا دائماً أحب أطايب الطعام.

جاليليو



- أندريا : إذن لم يعد من رأيك أن عصرا جديدا قد بدأ؟
- جالليو : بلس! خذ حذرك تماما وأنت تخرق ألمانيا والحقيقة تحت ثيابك.
- أندريا : (وهو غير قادر على الرحيل) فيما يتعلق بتقديرك للمؤلف الذي تحدثنا عنه، لا أستطيع أن أقدم إليك جوابا. لكني لا أستطيع أن أتصور أن تحليلك القاسي هو الكلمة الأخيرة.
- جالليو : شكرا، يا سيدي.
(يبدأ في الطعام)
- فرجينيا : (وهي تصطحب أندريا إلى الخارج) نحن لا نحب زيارات معارفه القدماء، لأنها تسبب له تهيجا.
(أندريا يخرج. فرجينيا تعود)
- جالليو : هل لديك فكرة عن عسى أن يكون قد بعث بالإوزتين؟
- فرجينيا : من المؤكد أنه ليس أندريا.
- جالليو : ربما. كيف حال الليل؟
- فرجينيا : (وهي عند النافذة) صاف جدا.

* * *



(١٥)

(سنة ١٦٣٤. «كتاب الأقوال» لجاليليو يعبر الحدود
الإيطالية)

يا أعزائي احفظوا ذي الخاتمة:

عبر العلم الحدود، بينما

نحن طلاب المعارف

قد بقينا خلفها - أنا وهو.

فعلى نور العلوم - حافظوا!

من مزاياها استفيدوا، واحذروا

سوء الاستعمال خوفاً أن تصير

سَقَرًا، يُحْرَقْنَا، نُصَهَرُ فِيهِ

كُلْنَا نُصَهَرُ فِيهِ أَجْمَعِينَ

مدينة صغيرة على الحدود الإيطالية. الصباح الباكر.

بالقرب من حواجز المراقبة يلعب أطفال، وأندريا، بصحبة

حودّي ينتظر أن يفرغ حرس الحدود من فحص أوراقه.

يجلس على صندوق صغير ويقرأ مخطوطة جاليليو. وفي

الناحية الأخرى من الحدود توجد العربة)

الأطفال (وهم يغنون):

ماريًا بقميصٍ وردي

جلست، والله، على الصخر

فتلطح بالزبل وبالوحد

لكن شتاءً مبتردا

جعل المسكينة تلبسه

أولى التلطّيحُ من المِرْق



- حارس الحدود : لماذا تغادر إيطاليا؟
أندريا : أنا عالم.
حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) اكتب: «الغرض من السفر: عالم». عليّ أن أفتش أمتعتك.
(يفتش)
الطفل الأول : (مخاطبا أندريا) يجب عليك ألا تبقى جالسا في هذا المكان. (يشير إلى الكوخ الذي يجلس أمامه أندريا). هناك ساحرة تسكن.
الطفل الثاني : هذا غير صحيح. مارينا العجوز ليست ساحرة.
الطفل الثالث : بلى! إنها تطير في الهواء إبان الليل.
الطفل الأول : ولماذا لا يعطيها أحد في المدينة حتى قدح لبن، إذا لم تكن ساحرة؟
الطفل الثاني : لكن كيف تستطيع أن تطير في الهواء؟ لا يوجد إنسان يستطيع ذلك. (مخاطبا أندريا) هل يمكن هذا؟
الطفل الأول : (من فوق رأس الطفل الثاني) هذا جوزبي: وهو لا يعرف شيئا عن أي شيء، والدليل على ذلك أنه لا يذهب إلى المدرسة، وأنه ليست له سراويل مقبولة.
حارس الحدود : ما هذا الكتاب؟
أندريا : (دون أن يرفع عينيه) هذا كتاب للفيلسوف العظيم أرسطو.
حارس الحدود : (مرتابا) من هذا الرجل؟
أندريا : لقد مات منذ زمن.
(الأطفال يدورون حول أندريا سخريةً منه وهم يتظاهرون بأنهم يقرأون كتابا)
حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) انظر، هل في هذا الكتاب شيء عن الدين.



- الكاتب : (يتصفح أوراق الكتاب) لا أجد فيه شيئا .
- حارس الحدود : الواقع أنه لا فائدة في البحث هكذا . ما يريد الإنسان إخفائه لا يمكنه أن يعرضه هكذا . (مخاطبا أندريا)
- عليك أن توقع على أننا فتننا كل شيء .
- (أندريا ينهض مترددا، ويتبع حارس الحدود إلى داخل مركز الحدود، وهو مستمر في القراءة)
- الطفل الثالث : (مخاطبا السكرتير، وهو يريه الصندوق) هناك شيء آخر، ألا تراه؟
- الكاتب : لم يكن موجودا من قبل؟
- الطفل الثالث : العفريت هو الذي وضعه هناك . إنه صندوق .
- الطفل الثاني : لا . إنه يخص المسافر .
- الطفل الثالث : أنا لن ألمسه . لقد سحر خيول باسيّ Passi الحوذي . وأنا بنفسني نظرت من خلال الثقب الذي أحدثته عاصفة الثلج في السقف، وسمعت كيف كانت تسعل .
- الكاتب : (وكان قريبا من الصندوق، يتردد ويعود أدراجه) أمور عفاريت، أليس كذلك؟ على كل حال لا نستطيع أن نفتش كل شيء . أين نذهب؟
- (يعود أندريا ومعه إبريق من اللبن . يعود إلى الجلوس على الصندوق ويستأنف القراءة)
- حارس الحدود : (وهو يتبعه ومعه أوراق) أغلق الصناديق . هل كل الأمتعة عُلِّمت؟
- الكاتب : كلها .
- الطفل الثاني : (مخاطبا أندريا) قل لنا، وأنت رجل عالم: هل يمكن الإنسان أن يطير في الهواء؟
- أندريا : انتظر قليلا .



- حارس الحدود : تستطيع أن ترحل. (أخذ الحوزي الأمتعة. أندريا يأخذ الصندوق ويستعد للرحيل) قف! ماذا في هذا الصندوق؟
- أندريا : (أخذًا كتابه في يده) كتب.
- الطفل الأول : هذا صندوق الساحرة.
- حارس الحدود : غير معقول. كيف تستطيع هذه المرأة أن توجد صندوقًا؟
- الطفل الثالث : لأن العفريت يساعدها.
- حارس الحدود : (ضاحكا) هذا لا يخيل علينا هنا. (مخاطبا الكاتب) افتح هذا. (فتح الصندوق. دمدمة) كم عددها؟
- أندريا : أربعة وثلاثون.
- حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) كم من الزمن يستغرق فحص هذه؟
- الكاتب : (وقد بدأ يفحص من دون انتباه) كلها مطبوعة من قبل. ثم إن الأمر قد يؤخر إفطارك، ثم إذا كان عليّ أن أتصفح كل هذه الكتب، فمتى أستطيع أن أذهب إلى بيت باسي Passi الحوزي لأحصّل المبلغ المتأخر عليه من العوائد؟ سيبيع بيته بالمزاد...
- حارس الحدود : أه، صحيح، لا بد لنا من العمال. (يضرب الكتب بقدمه) أوه، ماذا يمكن أن يكون فيها؟ (مخاطبا الحوزي) اكسس!
- (أندريا يجتاز الحدود مع الحوزي الذي يحمل الصندوق. ولما وصل إلى الجانب الآخر من الحدود، وضع مخطوطة جاليليو في حقيبة سفره)
- الطفل الثالث : (مشيرا إلى الإبريق الذي تركه أندريا) انظر!
- الطفل الأول : والصندوق رحل. هأنت ذا ترى أنه العفريت!
- أندريا : (ملتفتا وراءه) لا، بل أنا. يجب أن تتعلم كيف تفتح عينيك. اللبن دفع ثمنه، وكذلك الإبريق. إنه من أجل المرأة العجوز. أه، يا جوزبي، لم أجب بعد عن سؤالك. لا يمكن الإنسان



أن يطير في الهواء بواسطة عصا . لا بد من آلة، لكن هذه
الآلة لم توجد بعد . ربما لن توجد أبدا، لأن الإنسان ثقيل
جدا . لكن لا أحد يدري . يا جوزبسي، لا يزال علمنا قليلا،
ولا يزال يعوزنا الكثير . الواقع أننا في البداية فقط .

* * *

هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحاً تعليمياً تربوياً فقط، بل كان مسرحاً يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت. وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديمياً. وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكرياً وأدبياً، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدوانى، والدكتور محمد موافى أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة

الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وأنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

بدر سيد عبدالوهاب الرفاعي

سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني

للتقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للتقافة والفنون والآداب

ص.ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**

دولة الكويت

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET